



المكتبة العامة لمكتبة الاسكندرية

رقم التسجيل : ١٧٥٠

رقم التسجيل : ١٧٥٠

مطبعة خان بكية مصر

قصص من الكتب المفدسة

تأليف

عبد المحمد بن عبد الوهاب



الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل مدني

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه

خطيئة ودم

(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب
الرحيم) •

« قرآن كريم »

كان كل شيء فضاء ، فلا هواء ولا ماء ، ولا أرض ولا سماء ،
ولا ليل ولا نهار ، ولا ظلمة ولا ضياء ، وكان الرحمن ما فوقه هواء ،
وما تحته هواء ، وأراد أن يخلق الكون فخلق الريح ، ثم خلق الماء
على متن الريح ، ثم خلق عرشه على الماء ، وسما الدخان
على الماء فسمى سماء ، واستوى الرحمن الى السماء وهي دخان ،
ثم رفع سمكها فسواها ، ثم فتقها ، فجعلها سبع سموات ، ثم
خلق الأرض فكانت رتقا ، لا ليل ولا نهار ، ثم خلق الليل فكان
الكون ظلاما في ظلام ، ثم قال للسماء :

— اطلعي شمسي وقهرى ونجومي .

فبزغت الشمس في رقعة السماء ، وطلع القمر وتلألأت
النجوم الآلاء ، ثم محا آية الليل ، فبقى النور وذهب الضياء ،
وجعل آية النهار مبصرة ، وقدر للكواكب منازلها ، فراحت كل
تجري لمستقر لها ، وهجم على الليل النهار ، فبدد ضياؤه الظلام ،
ثم دحا الأرض فانبسطت رقعتها ، ثم قال لها شققي انهارك ،
وأخرجي ثمارك .

فتدفقت الأنهار ، وأثبتت الأرض عشباً وبقلاً وشجراً ، ثم رسي
الجبال ، ثم خلق الطير والزواحف والدواب ، فراح الطير يرزف
بأجنحته في السماء ، وأخذت الزواحف تزحف على بطونها ،
وجعلت الدواب تدب على الأرض الفضاء .

خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه

من لغوب ، ثم استوى على عرشه تحف به ملائكته تسبح بحمده ،
وتقدس له ، وراح الليل يطلب النهار حثيثا ، فغشى الليل
النهار ، وباتت الدنيا فى ظلام ، ولما أشرف نور الصبح قال الله
لملائكته :

— إني جاعل فى الأرض خليفة .

فقال الملائكة :

— اتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك !
فقال لهم :

— إني أعلم ما لا تعلمون .

وقبض الله قبضة من جميع الأرض ، فكان فيها الأبيض
والأسود والأحمر ، والخبيث والطيب ، والسهل والحزن ،
ثم بليت القبضة حتى صارت طينا لازبا ، ثم صور الله الانسان ،
فكان جسدا من طين ، ثم ترك حتى صار حما مسنونا ، وبقي
حتى أصبح صلصالا ، فمرت به الملائكة ، ففرعوا منه . وكان
ابليس اشدهم فرما ، فراح يقترب منه ويضربه ، فيصوت الجسد
كما يصوت الفخار ، فكان يغمغم !
— الأمر ما خلقت !

وجعل ابليس يطوف به ، فلما رآه أجوف عرف انه خلق
لا يمالك ، فقال للملائكة فى استخفاف :
— لا ترهبوا هذا ، فان ربكم صمد وهذا أجوف ، لئن سلطت
عليه لأهلكته .

فقال الملائكة بعضهم لبعض :

— لا يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه .

وبقى جسد البشر مدة ، ثم جاء ربك والملائكة صفا صفا ،
ثم قال للملائكة :

— إذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .

فراح ابليس يقيس بين نفسه وذلك الجسد الذى سوى
من طين ، فرأى نفسه أشرف منه ، فهو من تار ، وأين الطين من
النار ؟ وما درى أن فى الطين الرزاق والحلم والنمو ، وفى النار
الطيش والخفة والسرعة والاحراق ، فاستكبر وعزم على ألا يسجد
مع الساجدين .

ونفخ الله فيه من روحه ، فجعل لا يجرى شيء منها فى
جسده إلا صار لحما ودما ، وجرت الروح أول ما جرت فى
بصره ، فراح ينظر الى جسده ، فأعجبه ما رأى من حسنه ،
فذهب لينهض فلم يقدر ، فلما سرت الروح فى بقية جسده ،
انتصب واقفا ، وسمى آدم ، لأنه من آدم الأرض خلق .
وسجد الملائكة لآدم إلا ابليس ، أبى واستكبر وكان من
الكافرين فقال الله له :

— ما منعك أن تسجد إذ أمرتك .

قال :

— أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين .

قال :

— فاهبط منها ، فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فاخرج انك
من الصاغرين .

قال :

— انظرنى الى يوم يبعثون .

قال :

— انك من المنظرين .

قال : فيما اغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم آتيتهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمنهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين .

قال : أخرج منها مذموماً مدحوراً ، لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين .

وأخرج إبليس منها ذليلاً ، وقال الله لآدم :

— إيت أولئك الملائكة ، فقل لهم : السلام عليكم .

فقالوا له : وعليك السلام ورحمة الله .

ورجع آدم الى ربه عز وجل ، فقال الله له :

— هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ..

— ٣ —

وإذا ربك أن يرى الملائكة أنهم ما كانوا صادقين لما قالوا : لا يخلق ربنا خلقاً الا كنا أعلم منه ، فنجلب من الأرض حيوانات البرية ، وطيور السماء ، ثم عرضها على الملائكة ، فقال :

— أنبئوني بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين .

قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت العليم

الحكيم .

قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم .

فجعل آدم يذكر اسم كل طير ، وكل زاحفة ، وكل دابة ،
فقال الله سبحانه :

— ألم أقل لكم ، إني أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون .

واسكن آدم الجنة ، فراح يضرب فيها وحيدا ، ثم وفد
عليه النوم ، فراح في سبات عميق . وشاء الله أن يخلق له
زوجة له يسكن اليها ، فأخذ ضلعا من أضلامه من شقه الأيسر ،
والأم مكانها لحما ، وادم نائم لم يهب من نومه ، وخلق الله من
ضلعه امرأة ، وجلست المرأة عند رأسه تتطلع اليه ، فلما هب
آدم من نومه ، رأى عند رأسه مخلوقة حلوة ، تديم النظر اليه ،
فرمقها في عجب ، وأحس نحوها عطفًا وانجذابًا ، فسألها
في دهش :

— ما أنت ؟

— امرأة !

— ولم خلقت ؟

— لتسكن إلى !

وراح ينظر اليها من رأسها الى قدمها في غبطة ونشوة ،
وأقبلت الملائكة عليهما ، وشاعوا أن يروا مبلغ علمه ، فسألوه :

— ما اسمها يا آدم ؟

— حواء .

— ولم سميت حواء ؟

— لأنها خلقت من شيء حي .

وجعل إبليس يجول خارج الجنة ، لا يجرؤ على الدنو منها ،
فقال الله الآدم :

— يا آدم ، ان هذا عدو لك ولزوجك ، فلا يخرجكما من

الجنة فتشقى ، إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ، وإنك لا تظلم فيها ولا تضحي .

وجعل آدم ينظر الى حواء وقد أحس غبطة ، فلم يعد يمشى فى الجنة وحشا ليس له من يؤنس ، فقد أنعم الله عليه زوجة ، بعض لحمه ودمه ، وأحبا يسيران عريانين ، لا يخجلان ، فما كانا يعرفان خيرا ولا شرا ، وقال الله لآدم :

— يا آدم ، اسكن أنت وزوجك الجنة . وكلا منها رغدا حيث شئتما ، ولا تقريا هذه الشجرة ، فتكونا من الظالمين .

ونظرت حواء الى الشجرة التى حرمها الله عليها ، فاذا هى بهجة للعيون ، وفتنة للناظرين ، ثم تحولت عنها ، وراحت وآدم يأكلان من ثمار الأشجار الأخرى ، وعاشا فى رغد من العيش ، وسعادة وهناء .

— ٤ —

طرد إبليس من الجنة ، فعزم على أن يوسوس لآدم وحواء ، وأن يزين لها معصية الله ، فيخرجهما من الجنة ، وحاول أن ينفلت الى الجنة غير مرة ، لينفذ أمنيته ، ولكن خزنة الجنة كانوا يردونه فى كل مرة ، فلم ييأس ، وفكر فى أن يعرض نفسه على دواب الأرض أيها تحمله حتى يدخل الجنة ، فيكلم آدم وزوجه ، فانطلق وعرض نفسه على الدواب ، غابت الدواب جبعا ذلك عليه ، فذهب الى الحية ، وكانت كاسية من أجمل الدواب ، تمشى على أربع قوائم ، فكلما فقال لها :

— أمتنعك من بنى آدم ، فأنت فى ذمتى ان أنت ادخلتنى الجنة .
فقبلت الحية ما عرض عليها ، فجعلته بين نابيين من أنبيائها ،
ثم دخلت به الجنة ولم يفتن الخنزرة الى ذلك . فلما اطمأن
ابليس الى أنه أصبح فى الجنة ، خرج من الحية ، وأسرع الى
آدم ، وراح يوسوس له :

— يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟

فأعرض آدم عنه ، ولكن ابليس استمر فى وسوسته :

— ما نهاكما ربكما من هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا
من الخالدين .

فلم يصغ آدم اليه ، وفر منه ، فأسرع ابليس خلفه ، واخذ
يقسم :

— والله انى لكما من الناصحين .

فوضع آدم أصبعه فى أذنه ، وأشاح بوجهه عنه ، فارتد
ابليس عنه وهو حسير ، وأيقن أنه ليس على أغراء آدم بقدير ،
ولكن ما لبث أن رأى حواء تتطلع الى الشجرة المحرمة ، فأسرع
اليها وقال لها :

— انتظرى الى هذه الشجرة ما أطيب ريحها ، وأطيب
طعمها ، واحسن لونها .

فتطلعت حواء اليها فى اشتياق واشتهاء ، ثم مدت يدها
اليها وتناولت منها ، واكلت وأسافت ما اكلت ، فالتفت الى
آدم وقالت :

— يا آدم كل فانى قد أكلت !

— لا

— كل ، لقد اكلت ولم تضرنى .

— لا

فتركته حواء وقد زوت ما بين حاجبيها ، وانتبذت مكانا قصيا ، وأحس آدم رغبة الى حواء ، فدعاها لحاجته ، فقالت :
— لا ! الا ان تأتى ها هنا !

فقام آدم ، وسار الى حيث كانت حواء ، وطوقها بذراعيه ، فأشاحت بوجهها عنه ، وأظهرت دلالا ، فلم يستطع آدم أن يصبر على دلالتها ، فمد يده الى وجهها النافر ، وأداره لتتلاقى عيناها بعينيها ، لعلها ترى ما فى عينيها من حب ، فلما التقت العيون قالت فى اغراء :

— لا ! الا ان تأكل من هذه الشجرة .

فأنهزت مقاومة آدم جميعا ، وقام الى الشجرة يتناول منها ويأكل ، فعرف كل شيء ، عرف أنه عريان ، كما عرفت حواء أنها عريانة ، فبدت لهما سواتهما ، وطلقا يخلصان عليهما من ورق الجنة ، وأقبل الرحمن ، فلما رآه آدم ، ذهب هاربا فى الجنة . ناداه ربه :

— يا آدم ، أمنى نفر ؟

— لا يارب ، ولكن حياء منك .

— ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ؟ ! لم أكلتها وقد نهيتك عنها ؟
فقال آدم :

— يا رب ، أظعمتني حواء .

فقال لحواء :

— أنت التى غررت عبدى ، فأنك لا تحملين حملا إلا حملته كرها ، فإذا أردت أن تضعى ما فى بطنك أشرفت على المسوت جرارا .
وقال للحية :

— أنت التى دخل الملعون فى بطنك حتى غر عيدى ، ملعونة
أنت حتى تتحول قوائمك فى بطنك ، ولا يكن لك رزق الا القراب ،
أنت عدو بنى آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحدا منهم أخذت
بعقبه ، وحيث لقيك شددخ رأسك .

فقال آدم وحواء فى استغفار :

— ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين .

فقال الله لآدم :

— أما كان لك فيما منحتك من الجنة وابحتك منها مندوحة
عما حرمت عليك ؟

فقال آدم فى انكسار :

— بلى يا رب ، ولكن وعظمتك ما حسبت أن أحدا يحلف بك
كاذبا .

فقال الله :

— فبعزتى لأهبطنك الى الأرض ، فلا تنال العيش الا كذا !

فقال آدم فى ذلة وتضرع :

— رب غفرانك ، رب غفرانك !

فقال الله :

— اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر
ومتاع الى حين .



وهبط آدم الى الأرض ، وعلى رأسه أكليل من شجر الجنة ،
والقى نفسه على قمة جبل فى الهند وحيدا ، فراح يتلفت الى اليمين
والى الشمال ، ويدور على عقبه ، ويمد بصره الى الأفق البعيد ،
فلا يجد الا الأرض والسماء ، فيحس رهبة ، لقد كان بجوار الرحمن
أما هائلا ، فصار طريدا هائلا على وجهه ، لا يدري ما يفعل
فى هذا الكون العريض ، كانت حواء الى جواره فى جنة النعيم ،
تقاسمه هناءه ، فما باله لا يجدها اليوم معه فى دنيا الشقاء
تقاسمه شقاءه ، لقد كانت سبب نكته وأس بلائه ، ولكنه ما كان
يحس نحوها حقدا أو بغضا ، بل كان يحن اليها ، وكانت أمنيته
الأولى على وجه الأرض ان يتلاقى وزوجه .

وهبط آدم من على الجبل حتى بلغ سفحه ، وجعل يتلفت
باحثا منقبا عن حواء ، ولكنه لم يجد لها من أثر ، فانقبض صدره ،
وسالت عبراته ، وجعل يبكى على الفردوس المفقود .

وهبطت حواء بجدة من أرض مكة ، فالتفت نفسها وحيدة فى
ذلك الفضاء العريض ، فجزعت ، وراحت الرياح تولول وتصفر ،
فأزداد فزعها وجزعها ، وسقط الليل فراح حواء تتلفت فى جزع
واضطراب لعلها تجد لآدم اثرا ، أو لعل آدم يند عليها فينقذها مما
هى فيه من عذاب ، ولكن انقضى شطر الليل ولم يظهر آدم ،
فجعلت تبكى حتى كاد قلبها ينصدع من البكاء .

وتصرم الليل وآدم قائم عند سفح الجبل ، وابتدأت الشمس
تبرز ، فهب من نومه يستقبل أول نهار يفد وهو على الأرض ،

ويرقب الشمس التي راحت تطل على الكون ، ويبس الاكليل الذي كان على رأسه فتحات ورقه ، وسقطت الأوراق على الأرض فنبتت طيبا في أرض الهند . وجعل آدم يضرب في الفضاء ، ويفظر الى سعة الأرض وبسطتها فلم ير فيها احدا غيره . فاستوحش وقال :

— يارب ، أما الأرضك هذه عامر يسبح بحمدك ويقديس لك غيري ؟

فسمع صوت الله يقول :

— انى ساجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدى ويقديسنى . وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى ، ويسبح فيها خلقى ، ويذكر فيها اسمى ، وساجعل من تلك البيوت بيتا اخصه بكرامتى ، واوثره باسمى واسميه بيتى ، اجعله حرما آمنا يحرم بحرمنه من حوله ومن تحته ومن فوقه ، فمن حرمه بحرمنى استوجب بذلك كرامتى ، ومن اخاف اهله فيه ، فقد اخفر ذمتى ، واباح حرمتى . اجعله اول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا ، يأتونه شعثا غبرا على كل ضامر من كل فج عميق ، يرجون بالتلبية رجيجا ، ويثجون بالبكاء ثجيجا ، ويعجون بالتكبير عجيجا ، فمن اعتمره ولا يريد غيره ، فقد وفد الى وزارنى وضافنى ، وحق على الكريم أن يكرم وفده وضيفه ، تعمره يا آدم ما كنت حيا ، ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة ، وقرنا بعد قرن .

واحس آدم حنيننا الى بيت الله هذا الذى بمكة ، واوحى اليه ان ينطلق الى البيت الحرام الذى اهبط له الى الأرض ، فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول عرش الله .

وراح آدم يطوى الأرض طيا ، حتى اذا بلغ مكة لمح امرأة على البعد تغذ السير ، فخفق قلبه ، واضطرب

نفسه ، فأسرع نحوها وقلبه في صدره كجناح خافق ، يكاد يقفز من فيه من شدة الفرح ، انها هي ، حواء نفسها ، الزوجة وحبيبة الفؤاد . ولما رآته حواء ، ارتمت في أحضانه تبكى وتنتحب فمضمها الى صدره في وله واشتياق .

لقد التقيا وتعارفا بمكة ، فسمى مكان تعارفهما عرفات .

— ٦ —

وانطلق آدم وحواء الى بيت الله ، واذا هو بالقسوة واحدة ، فراحا يطوفان ، ولما أتتا مناسك الحج ، عادا الى الهند ، فاتخذا مغارة يتأويان اليها في الليل والنهار ، وأحس آدم شيئا يعض أمعاءه ، وشعر بضعف وخور ، فلما جاءه جبرائيل وصف له ما يحس ، فقال جبرائيل له :

— انه الجوع !

فقال آدم في عجب :

— الجوع ! وما أفعل ؟

فأجابه جبرائيل :

— استطعم ربك .

وذكر آدم ما كان فيه من نعيم ، فبسكى وبكت حواء ، ورفع آدم وجهه الى السماء وجعل يدعو الله ان يطعمه ، وأخذ بطنه يصرخ به ، فأخذ في الابتغال والدعاء ، فبعث الله اليه مع جبرائيل بسبع حبات من حنطة ، فوضعهما في

يد آدم ، فنظر اليها آدم ، ثم رفع عينيه الى الملك واستفسر :

— ما هذا ؟

— هذا الذى أخرجك من الجنة .

— وما أصنع بهذا ؟ أكله ؟

— انثره فى الأرض .

فانثره آدم فأتبته الله من ساعته ، فنظر آدم الى الحنطة ،
ثم قال :

— أكله ؟

فقال له جبرائيل :

— احصده .

فقال :

— احصده ؟ كيف ؟

فأراه جبرائيل كيف يحصده ، فراح آدم يعمل ، فلما
انتهى من حصده جمعه ثم سكت ، وتطلع الى جبرائيل ،
فقال هذا له :

— أفركه .

فقال :

— أفركه ؟ وكيف أفركه ؟

فقال جبرائيل :

— أفركه بيديك .

فأخذ آدم يفركه بيديه ، وجعل العرق يتفصد منه ، ولما انتهى
قال لجبرائيل فى لهفة :

— أكله ؟

— أنره .

— وكيف أنروه ؟

فأراه جبرائيل كيف يذروه ، فجعل آدم يعمل وقد أحس تعباً ، ولكنه استمر في عمله ، فان الجوع يعضه وان صراخه لينبعث من جوفه ، وانه ليود أن يسكت ذلك الصراخ الآليم وان كد وتعب ، ولما انتهى من تزييته تنفس الصعداء ، فقد حسب أن تعبته قد انتهى ، وان جبرائيل سيأمره بتناول طعامه ، ولكن جبرائيل قال له :

— اطحنه .

فقال آدم في تبرم :

— وبم أطحنه ؟

فأتاه جبرائيل بحجرين ، فوضع أحدهما على الآخر وقال :

— بهذه .

فطفق آدم يطحن الحبات بين شقي الرحى ، وقد سال عرقه ، وبان عليه الكلال . . وتم الطحن ، وقبل أن يلتقط انفاسه المبهورة ، قال له جبرائيل :

— اعجنه .

فقال آدم في صوت خفيض، ذليل :

— وكيف أعجنه ؟

فأمره أن يجلب ماء ، وأن يضع الدقيق في وعاء ، وأن يب الماء عليه ، ثم أراه كيف يعجنه ، فآخذ آدم يعجن ، ولما نهى رفع رأسه وراح ينظر إلى جبرائيل ، فقال له جبرائيل :

— اخبزه .

— وكيف اخبزه ؟

— أوقد ناراً .

— وكيف أوقد ناراً ؟

— أجمع بعض الأغصان اليابسة .

فجمع آدم بعض أغصان ييسيت ، وجمع جبرائيل له الحجر والحديد فقدحه ، فخرجت منه النار ، فاشتعلت الأغصان ، فمد آدم يده وفبض على النار فصرخ ، فقد احترقت يده ، ونظر الى جبرائيل فقال هذا :

— لقد أحرقتك النار لأنك عصيت الله .

وأخذ آدم يخبز خبزه ، فلما انتهى قال له جبرائيل :

— الآن كل يا آدم !

وارتفع جبرائيل ، وأبتدا آدم وحواء يأكلان ، ولما انتهيا سكنت صراخ البطن وأبتدا صراخ الفكر ، قراحت الأفكار تتوافد على رأس آدم فتذكر فيما تذكر قول الله له :

— يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تضل فيها ولا تضحى .

فأنهمر الدمع من مقلتيه ، فقد انتهت أيام الجنة سراعا ، أيام الهناء والسعادة ، وأقبلت أيام الدنيا القاسية ، أيام الصخب والمتعب والنصب والشقاء .



وحملت حواء ، فقااست ما تقاسيه النساء فى الحمل ،
ثم جاءها المخاض ، فأشرفت على الموت مرارا قبل أن تضع
ما فى بطنها ، ثم وضعت توعمها ذكرا وأنثى ، وسمى الذكر قابيل ،
والأنثى هابيل ، ونشأ قابيل وكليما معا ، وكانت كليما تنمو حلوة
جذابة جميلة ، ومرت أيام تطلوها أيام ثم شهور تجد فى أثرها
شهور . فوضعت حواء توعمها آخر ذكرا وأنثى ، وكان الذكر
هابيل والأنثى لبودا .

وشب الأخوة الأربعة معا ، وكانت كلما مرت المسنون
تفتحت كلما وازدادت جاذبية وحسنا ، فكانت أجمل من
لبودا ، وأكثر فتنة وسحرا ، فتعلق بها قابيل وتدلّه بها
حبّا .

واشتد مساعد قابيل وهابيل ، فخرج قابيل لبذر
الأرض . فتسد كان على بذرها ، وخرج هابيل ليرعى
مائثيته ، كان على رعى المائثية ، وجعل كل يعمل عمله
حتى إذا ما غابت الشمس عن الكون عاد كل منهما الى الكهف
ليشارك الأسرة طعامها .

وحلّس حول الطعام آدم وحواء وأبناؤهما وكانت كليما
باهرة الحسن ، حلوة الملامح ، فجعل كل من قابيل وهابيل
يسترق النظر إليها ، وفطن آدم الى نظراتهما فعزم على أن يزوج
أبناؤه ، وقد كانت شريعته أن يتزوج الرجل أى أخواته شاء
الا توعمته التى ولدت معه : فقال :

— آن اوان زواج قابيل وهابيل ، فليتزواج قابيل من لبودا ،
وليتزوج هابيل من كليما .

فبدت الغبطة في وجه هابيل ، وامتعص قابيل ، وبان
الغضب في وجهه ، انه ليضن باخته على اخيه ، فلم يكتف سورة
غضبه بل انفجر صائحا :

— انا احق باختي .

فقال آدم ليهديء من ثورة ابنه :

— يا بني ! انها لا تحل لك .

فقال قابيل في اصرار :

— انها تحل لي ، انها اختي ، وانا احق باختي من هابيل .

ونظر قابيل الى كليما ، فبدت له اجمل واحلى مما كان
يراهها ، فعقد العزم على التشبث بها وعدم تركها لهابيل ، فآخذ
يردد :

— انها لي ، لي انا ، لن اتزوج الا كليما ، وليتزوج هابيل
من لبودا .

فبان على آدم التردد ، وآخذ يتطلع الى قابيل وهابيل ،
انه ليحس نحوهما عطفًا وحبًا ، انه لا يستطيع أن يرغب قابيل
على تزويج اخته التي يهواها ويحبها من هابيل ، فالتفت الى
قابيل وقال :

— يا بني ! فاقرب قربانا ويقرب اخوك هابيل قربانا ،
فأيكما قبل الله قربانه فهو احق بها .

وخرج آدم ليأتي مكة ليطوف ببيت الله ، وتأهب قابيل
وهابيل ليقربا قربانا ، فاقرب هابيل اكرم غفمه واسمنها واحسنها ،
طبيعة بها نفسه ، واقرب قابيل شر حرثه ، الكوثر والزوان غير

طيبة بها نفسه ، وكان الرجل اذا قرب قربانا مرضيه اليه عز وجل ارسل اليه نارا فآكلته ، فآخذ قابيل وهابيل ينتظران قضاء الله في قربانهما .

ومرت سويحات وهما ينتظران قضاء الله في اضطراب وقلق وخوف ، وكان هابيل أكثر اطمئنانا ، وأمر قلبا ، فقد كان صاحب حق ، فان الشريعة لتقضى بزواجه من كليما ، وكان قابيل باغيا ظالما ، لا يحب الا نفسه ، ولا يهتم من سواها ، فجعل ينتظر قضاء الله وقد بيت في نفسه أن لا يخضع لهذا القضاء ما لم يكن في جانبه .

وانقضت نار بيضاء من السماء كسهم انطلق من قوسه ، فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل ، فشكر هابيل ربه ، وضاق قابيل بالفيظ صدره ، وأحس دماءه تجري بالقتل والحقد ، وأعمى الغضب بصيرته ، وجاءه الشيطان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، وراح يوسوس له أن أقتل أخاك قبل أن يستحوذ على كليما ، ورأى بعين خياله لودا القبيحة الى جواره ، فثارت ثائرته ولم يستطع أن يكبت ما وسوس الشيطان به في صدره ، فنظر الى أخيه نظرة مقت وحقد وغضب وقال :

— لاقتلك !

فقال هابيل في اطمئنان ، وكان أشد من أخيه وأقوى :

— إنما يفعل الله من المتقين . لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك ، انى أخاف الله رب العالمين . انى أريد أن تبوء بائى وأثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين .

وأدار هابيل ظهره لأخيه وانصرف ، وراح قابيل يفكر فى ان ينقض على هابيل ويقتله ، ولكنه ثبت فى مكانه لا يريم حتى اختفى هابيل عن عينيه .

سار قابيل مطأطأ الرأس ، بأسر الوجه ، منقبض الصدر ، بعض على نواجذه غيظا ، يلتقط نفسه المكروب فى جهد ، فكأنما كانت يد قوية تضغط رقبتة ضغطا ، وجعلت الأفكار الخبيثة تتوافد على مخيلته توافد الموج ، فإذا ما تكسرت فكرة ، وفدت فكرة اعظم شرا واشد خبثا .

وبلغ قابيل الكهف ، ورأى كليما فاحس خزيا ، فان الله لم يتقبل قرمائه ، وقضى بزواجها من هابيل ، وتمدد لينام ، وكان المكان حالك الظلام . فأخذت الأفكار تنمو ، وراحت تتجسم فى مخيلته . فتعذبه وتضنيه : ان هابيل سيهنا بكليما الجميلة الفتاة الجذابة ، أما هو فيستقى بلبودا البغيضة القبيحة ، انه ليحس انه بأخته أولى ، لقد اتفقت السماء والأرض على تعذيبه ، فلن يخضع لمشيئة الأرض ، ولن يابه لحكم السماء ، ولن يترك كليما لهابيل أبدا ، وليكن ما يكون .

واستمر فى قلقه وأرقه ، يصفى الى شيطانه ، وشيطانه يلعب به ويمنيه ، وانقضى الليل وما انقضى عذابه فعزم على ان يضع لهذا الضنا حدا .

خرج هابيل كما اعتاد أن يخرج كل يوم ، وراح يرمى ماشيته ، وأقبل قابيل محطم النفس يحس كأنما عقدت فى صخره صخرة من الحقد والمقت ، ولح أخاه فى ماشيته فلم ير فيه الا سائب سعادته وهنائه ، فحمل صخرة واقترب من أخيه ثم ضربه بها ، فسقط هابيل مجذلا ، وسال أول دم على الأرض ،

وتعففت الأرض فلم تمتصه بل تركته ، انها لتترفع عن ان تشارك
الانسان جرمه وبغيه وطغيانه .

ونظر قابيل الى اخيه الذى اتكفا على وجهه فاقد الحراك ،
وقد انقشع المقت عن صدره ، فقد شفى غليله ، فما درى مايفعل
بذلك الجسد الفانى ، وانقضت ساعات وقابيل امام اخيه المجدل
حائر . واقبل غرابان ، وراحا يقتتلان ، فجعل قابيل يرقبهما فقتل
احدهما الآخر ، فلما سقط المقتول على الأرض لم يتركه القاتل فى
القضاء ، بل عمد الى الأرض ، وراح يحفر له فيها ، ثم جذب
المقتول ووضع فى الحفرة ، وواره بالتراب ، فلما رأى قابيل ذلك
غمغم :

— يا ويلتى ! أعجزت ان تكون مثل هذا القراب فأوارى سوءة
أخى ؟ .

ثم نهض وطفق يحفر لأخيه ، ثم واره فى قبره .
وعاد آدم من مكة ، وانطلق الى كهفه ، فلما رآه قابيل
قادما أحس بوجلا . فأخذ بيد أخته كليما وقر من وجهه ، فأسرع
آدم الى الكهف ، فعلم بمقتل هابيل ، فأحس حزنا يقطع ثياب
قلبه ، والدمع يسبح من مقلتيه ، فهول فى غضب خلف قابيل .
فراه هابلا من النجيل آخذا بيد أخته ، فصاح به فى حنق :
— اذهب ، فلا تزال مرعوبا لا تأمن من تراه .

ابن الذبيحين

« وابن الجارية أيضا ساجعه أمة لأنه
من نسلك » .

(التوراة)

« مالك يا هاجر ، لا تخافى لأن الله قد
سمع لصوت الفلام حيث هو ، قومي احملى
الفلام وشدى يدك به ، لآتى ساجعه أمة
عظيمة »

(التوراة)

— ١ —

خرج ابراهيم من المعبد وهو شارد القلب ، فقومه جاكفون
على عبادة التماثيل ، وان عقله لينفر من تلك الالهة التى لا تسمع
اذا دعوها ، ولا تنفع ولا تضر ، وظل يفكر ويقلب وجهه فى
السّموات والأرض ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال :

— هذا ربى .

فلما افلى قال :

— لا أحب الأملين .

وجعل يقلب وجهه فى السماء ، فلما رأى القمر بازغا قال :

— هذا ربى .

فلما أقل قال :

— ان لم يهتدي ربي لآكونن من القوم الضالين .
وعاد الى أهله ، وهو فى حيرة من أمره ، وانقضى الليل ، وجاء
النهار ، فخرج ، فلما رأى الشمس بازغة قال :
— هذا ربي ، هذا أكبر .

فلما أقلت قال :

— يا قوم انى برىء مما تشركون .
واهتدى الى من فطر السموات والأرض ، فامتأ قلبه ايمانا .
ونزلت به سكينة ، وانطلق الى المعبد فآلفى أباه وقومه يعبدون
التمائيل ، فقال لهم :

— ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟

قالوا :

— وجدنا آباءنا لها عابدين .

قال :

— لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين .

قالوا :

— اجئتنا بالحق أم انت من الملاحين ؟

قال :

— بل ربكم رب السموات والأرض الذى قطرهن ، وأنا
على ذلكم من الشاهدين .

— بل هذه الأصنام آلهتنا يا ابراهيم .

— هل يسمعونكم اذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون ؟

— هذه آلهتنا يا ابراهيم ، نظل لها عاكفين .

— فانهم عدو لى الا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو
يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسسقنى ، واذا مرضت فهو

ميشفين ، والذي يميّنتى ثم يحيين ، والذي اطمع ان يغفر لى
خطيئتى يوم الدين .
— منعبدوها وسفّظ على عبادتها ، اننا ونجدنا آباءنا كذلك
يفعلون .
— تالله لا كيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين .

— ٢. —

جاء يوم العيد ، وتاهبوا للخروج الى ظاهر البلد ، وجاء
الى ابراهيم ابوه ، وسأله ان يخرج معهم ، فنظّر نظرة فى
النجوم ، فقال :
— انى سقيم .
وخرج الناس وبقى ابراهيم ، حتى اذا غابوا عن عينيه
ذهب الى المعبد مسرعا مستخفيا ، وانطلق فى البهو العظيم ،
فألغى الأصنام وبين أيديها الوان من الأطعمة قدمها الناس قربانا
اليها ، فقال لها متحكما :
— الا تاكلون ؟ مالكم لا تنطقون ؟
فراغ عليهم ضربا باليمين ، فكسرها بقدمه فى يده ، فجعلها
حطاما ، الا كبيرا لهم ، لعلهم اليه يرجعون ، وذهب الى الكبير ،
 ووضع فى يده القدم .
ورجع الناس من عيدهم ، وانطلقوا الى المعبد ، فراعهم
ما حل بالهتهم ، قالوا :
— من فعل هذا بالهتنا ، انه لمن الظالمين .
قال بعضهم :

- سمعنا فتى يذكرهم ، يقال له ابراهيم .
- فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون .
- وجاء ابراهيم ، وحشر الناس في المعبد ، قالوا :
- أنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟
- قال :
- بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم أن كانوا ينطقون .
- فأدركت القوم حيرة ، فاطرقوا ثم قالوا :
- لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .
- افتعبدون من دون الله ما لا ينفعمكم شيئا ، ولا يضركم ؟
- أف لكم ولما تعبدون من دون الله ! أفلا تعقلون ؟
- فأقبلوا إليه يسرعون ، قال :
- أتعيبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون .
- فغلبوا ، فعدلوا عن المناظرة ، وأرادوا أن يسنروا هزيمتهم
- فلجئوا إلى القوة ، قالوا :
- ابنوا له بنيانا ، فالقوه في الجحيم
- وصاح صائح :
- حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . .
- فشرعوا يجمعون حطباً ، ثم عمدوا إلى جوبة عظيمة فوضعوا
- فيها ذلك الحطب ، وأطلقوا فيه النار ، فاضطربت وتأججت ،
- واندفع لهيبهنا يتراقص كأنه السنينة الشياطين ، ثم وضلوا .
- ابراهيم في منجنيق وأطلقوه ، فانطلق حتى وقع في النار وهو
- يقول :
- اللهم انك في السماء واحد ، وأنا في الأرض واحد
- أعبدك .
- قال الله :

— يا نار ، كوني بردا وسلاما على ابراهيم .
ووقف الناس ينظرون ، وقد علامهم الدهش ، لانهم وجدوه
والنار حوله لا تصيب منه شيئا ، ونظر ابوه ، فلما رأى ابنه فى
النار لا تؤذيه ، قال :
— نعم الرب ربك يا ابراهيم .

— ٣ —

وبلغ الملك ان النار كانت بردا وسلاما على ابراهيم ، فلم
بصدق ما بلغه ، فخرج فى رجاله الى حيث كانت النار فتأجج
شررها يتطاير ، وأحس حرارتها تلفح وجهه ، فمد بصره ، فرأى
ابراهيم يتصبب عرقه ولم يحرق منه سوى وثاقه ، فأحس
قهرا ، وزاد فى قهره ان رأى الناس يتهايمسون ، مخشى ان يفتنهم
ذلك الشاب الذى جاء يدعوهم الى اله غيره . فقد كان يدعى
انه ربهم العظيم .

وأمر الملك الناس ان يخرجوه ، فدنا بعضهم من النار ،
فشمعوا بلفحها يكاد يشسويهم ، فوقفوا بعيدا لا يقدر
على الوصول اليه ، وارتفعت هتافاتهم تدعوه ان يخرج
اليهم .

وخرج ابراهيم من النار لم يمسسه شيء من حرها ،
فانطلقت اليه أمه تعتقه فى حبا ، وتقبله فى حنان ، وهى تبكى
لا يرقا لها دمع . وذهب اليه أبوه وقد انتفتت فى جوفه مشاعر
الأبوة الرقيقة الحانية .

وجىء به الى الملك ، فقال له فى كبرياء

— من ربك هذا الذى تدعو اليه ؟
 قال ابراهيم :
 — ربي الذى يحيى ويميت .
 فقال الملك فى استخفاف :
 — انا احيى واميت .
 — لا تستطيع .
 — سقري .
 وجاء الملك برجلين حكم عليهما بالموت ، وقال :
 — اقتل هذا واعفو عن هذا .
 فقال ابراهيم :
 — هذا تشغيب .
 فقال الملك مكابرا :
 — الا ترى يا ابراهيم اننى احيى واميت !
 وتطلق وجه الملك ، وانتسم الناس ابتغاء مرضاته ، وقال
 ابراهيم :
 — فان الله يأتى بالشمس من المشرق ، فأت بها من المغرب .
 فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين .

— ٤ —

هجر ابراهيم قومه فى الله ، وهاجر من بين اظهرهم ، وخرجت
 معه امرأته سارة ، وابن اخيه لوط ، فقد آمن به ، حتى اذا بلغوا
 سام ، اوحى الله اليه :
 — انى جاعل هذه الارض لخلفك بعدك

فأبنتى إبراهيم مذبحاً لله شكراً على هذه النعمة ، وضرب
قبة ، وعاش يعبد ربه ، ونزل بالبلاد قحط وشدة وغلاء ، فحمل
إبراهيم سارة وأرسلها إلى مصر ، ونزل بالقرب من قصر فرعون .
ورأى غلمان فرعون سارة ، وكانت ذات جمال ساحر ،
فذهبوا إليه ، وقالوا له :

— نزل هنا رجل معه امرأة من أحسن النساء .
فأرسل إليه ، فدخل إبراهيم على فرعون وهو خائف ،
فقال له :

— من هذه معك ؟

— أختى .

— فأرسل بها إلى .

فرجع إبراهيم إلى سارة وهو حزين ، فقالت له :
— ماذا قال لك ؟

— سألتني عنك ، فقلت أنك أختى ، وأنه ليس اليوم مسلم
غيرى وغيرك وأنت أختى ، فلا تكذبينى عنده .

وذهبت سارة إلى القصر وهى تدعو الله :

— اللهم إن كنت تعلم أنى آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت
فرجى إلا على زوجى ، فلا تسلط على الكافر .

ودخلت عليه ، فالتصفت عيناها سرورا ، فقد كان جمالها
أسرا ، وحسبها باهرا ، ودعا منها ، وأراد أن يمد يده إليها
فأحس كأنها شات يده ، فارتاع ، فقالت له سارة :
— هذا من فعل ربي .

يا آدمي الله لى ولا أضرك .

فدعت له ، فعادت يده كما كانت ، فمدها اليها فشلت ،
فقال لها :

— ادعى الله ولا أضرك .

فدعت له ، فعادت يده كما كانت ، فراح يمسدها اليها
فشلت .

فقال لها في توصل :

— هذا حق ، هذا من عند ربك ، ادعى الله لى ولن
أضرك .

فدعت له ، فلما أرسل ، نادى أدنى حشمة فقال :

— ما أرسلتم الى الا شيطاننا ، أرجعوها الى ابراهيم ،
وأعطوها هاجر .

ورجعت سارة الى زوجها وخلفها هاجر ، فلما دنت من خيمته
الفته يصلى ، فلما احس بها انصرف ، واقبل عليها يسألها عما
حدث ؟ فقالت :

— كفى الله كيد الظالم ، واخدمنى هاجر .



خرج ابراهيم ومسارة من مصر ، وفي رفقتها هاجر
المصرية ، ونزلوا بركة الشام . وتوالت السنون ، وراحت
سارة تتطلع الى هاجر ، فالتفت ماء الشسباب يترشق في
وجهها . ونبتت في ذهنها فكرة ، ان زوجها دعا ربه ان يهب
له ذرية من الصالحين ، وهى عجوز عقيم ، وزوجها شيخ

كبير ، فلماذا لا تهب له هذه الجارية يتزوجها ، فيرزقه الله الذرية الصالحة !

ودخلت على ابراهيم وقالت :

— انى وهبت لك هاجر .

فنظر اليها وفى عينيه سؤال ، وقالت :

— انى اراها امرأة وضيئة فلعل الله يرزقك منها ولدا نقر

به عينا .

وتزوج ابراهيم هاجر ، فحملت منه ، ففرح ، وخيل لسارة أن هاجر ارتفعت نفسها ، وتعاطفت عليها ، فلم تطق أن تكتم غيرتها فكأنت تشكوها الى زوجها .

وضمت هاجر اسماعيل ، نطاف بالدار الفرح ، وسرت سارة ، ولكن سرعان ما غاض فرحها ، فقد كأنت تشتبهى أن يكون الولد منها .

ومرت الأيام ، واسماعيل يقرعرع ، وسارة ترقبه وفى قلبها حزن ، فقد حرمت أن يكون لها من بعلها ولد .

وراح الناس ينزلون على ابراهيم ، فقد أوسع الله عليه ، وتقضت خمس عشرة ليلة ولم ينزل به أحد ، فقد حبس الضيف ، فشق ذلك عليه ، وهبط الليل ، فاقود نارا لعل احدا يأتيه ، وجلس أمام قبعته ، واذا برجلان قادمين ، فلما راوه قالوا :

— سلاما .

قال :

— سلام قوم منكرون .

فراغ الى اهله ، فجاء بعجل سمين ، فقربه اليهم ، فلم يأكلوا ، قال :

— الا تاكلون ؟

ونظر اليهم فلما رأى ايديهم لا تصل اليهم نكرهم ، وأوجس
منهم خيفة ، وقال :
— إنا منكم وجلون .
— لا تخف ، أنا أرسلنا الى قوم لوط .
كانت مسارة قائمة ، فلما رأت خوف زوجها ضحكت ، لأنها
فطنت الى ان الرجال رسل الرحمن ، قالوا :
— إنا نبشرك بغلام عليم .
فلما سمعت مسارة البشرى قالت :
— يا ويلتى إله وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا ، ان
هذا لشيء عجيب .
وقال ابراهيم :
— أبشروني على أن مسنى الكبر ، فهم تبشرون ؟
قالوا :
— بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين .
قال :
— ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون .

— ٦ —

حملت مسارة ووضعت اسحاق ، ففرحت به ، وفرح به أبوه :
وتوجه الى الله يشكره :
— الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ،
ان ربي لسميع الدعاء .

ورأت سارة أن تتخلص من اسماعيل وأمه ، فلما دخل
ابراهيم عليها قالت فى غضب :
— اطرده هذه الجارية وابنها .
— له ؟

— أن ابن الجارية لا يرث مع ابني اسحاق .
سواء ابراهيم ما سمع ، وأحس مرارة ، فما كان يظن
أن الأمر يصل الى أن تطلب سارة اخراج هاجر وابنها من
الثمام ، وكان لكلامها وقع ثقيل فى نفسه ، ففكر فى ألا يجيبها
الى طلبها ، وفيما هو فى حزنه وتفكيره ، أوحى الله اليه أن
استمع الى سارة ، ولا تحزن على اسماعيل وأمه ، وأخرج بابنك ،
فسأباركه وأجعله أمة عظيمة .

وتأهب ابراهيم للخروج بزوجه وابنه ، فآخذ خبزا وحمل
قربة ماء ، وانطلق حيث أوحى الله اليه أن ينطلق ، حتى اذا
بلغ مكة ترك هاجر واسماعيل وتأهب للعودة ، فهرعت هاجر
اليه ، وقالت فى فزع :
— الى من تكلنا ؟

فلم يتكلم ابراهيم ، وظل فى صمته ، فقالت :
— الله أمرك بهذا ؟

— نعم .

— أذن لا يضيعنا .

وانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ،
استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا :

— ربنا انى أسكنت من ثرىتى بواد غير ذى زرع عند بيتك
المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى
اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون .

عاشت هاجر واسماعيل فى قلب الصحراء ، فى رعاية الله ، وتصرمت الايام وهما فى عريشهما ، ونفذ ما كان معهما من ماء ، فعمطشت وعمطش ابنها ، وجعلت تنظر اليه يتلوى ، فانطلقت كراهية ان تنظر اليه ، فوجدت الصفا اقرب جبل فى الأرض يليها ، فقامت عليه ، واستقبلت الوادى تنظر هل ترى احدا ، فلم تر احدا ، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف ذراعيها ، ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى اذا جاوزت الوادى ، ثم اتت المروة ، فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا ، فلم تر احدا ، واستقرت تهول فى فزع واعياء بين الصفا والمروة ، ثم ذهبت الى اسماعيل لتري الا يزال حيا ، فرأت تحت قدميه ماء ، فقد فجر الله له زمزم ، فانكبت على الماء وجعلت تغرف منه ، تروى ظمائها ، وتملا سقاءها .

ومرت رفقة من جرهم مقبلين ، فنزلوا فى اسفل مكة ، فراوا طائرا عائفا ، فتعجبوا وقالوا :

— ان هذا الطائر ليدور على الماء ، لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء .

فانطلقوا ليروا ما هناك ، فراوا زمزم وهاجر عندها ، فقالوا لها :

— تأذنين لنا ان ننزل عندك ؟

— نعم ، ولكن لا حق لكم فى الماء .

— نعم .

فنزلوا وارسلوا الى اهلهم ، فنزلوا معهم حتى صار
بهم اهل ابيات منهم ، وشب اسماعيل بينهم ، وتعلم العسريية
منهم .

وأعجبهم حين شب ، فزوجه منهم ليتحقق وعد الله بأن
يباركه ويجعله أمة عظيمة .

- ٨ -

أحس ابراهيم شوقا الى ابنه ، فتأهب للخروج ، وأخبر
سارة بخروجه ، فشاعت أن تثبطه غيرة من هاجر ، فأخبرها
أنه لن يزيد على السلام ، واستطلاع الحال .

وخرج ابراهيم فأتى مكة ، وذهب الى زمزم ، فالتقى اسماعيل
ببئر نباله تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه قام اليه ، فاعتنقا
في شوق ، وراحا يتحدثان ، وانطلقا الى الخيام .

ونام ابراهيم ، فرأى في المنام أنه يذبح ابنه ، ولما كانت
رؤيا الأنبياء وحيا ، فقد صدق الرؤيا ، وعزم على أن يمثل
لأمر الله ، ودعا اسماعيل ، وقال له :

— يا بني ، انى أرى في المنام انى أذبحك ، فانتظر ماذا
ترى .

فقال اسماعيل :

— يا أبت ، أفعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من
الصابرين .

— يا بنى خذ الحبل والمديّة .
 وانطلقا ، وفى الطريق اعترضهما ابليس فى هيئة رجل ،
 ودنا من ابراهيم وقال له :
 — أين تريد أيها الشيخ ؟
 — أريد هذا الشعب لحاجة لى فيه .
 — تريده لتذبح ابنك ، لعل الشيطان جاعك فى منامك ،
 غامرك بذلك ؟
 فعرفه ابراهيم ، فقال له :
 — اليك عنى ، أى عدو الله ، فوالله لأمضين لأمر ربى .
 وسار ابراهيم مطرقا ، واسماعيل خلفه يحمل الحبل
 والشفرة ، فاعترضه ابليس وقال له :
 — أتدرى أين يذهب بك أبوك ؟
 — نعم ، أدرى .
 — أتدرى أنه يزعم أن ربه أمره بأن يذبحك ؟
 — فليفعل ما أمره الله ، سمعاً لله وطاعة .
 وانطلقا حتى اذا بلغا مكانا تصيا وقفا ، وقد دثر السكون
 مسكون رهيب ، ووقف ابراهيم ينظر الى ابنه وقد تفجرت فى
 جوفه عواطف متباينة ، انه يحس حيا طاغيا لابنه ، ويحس رغبة
 فى تنفيذ أمر ربه ، وجعل يرمق ابنه الذى سيذبحه برهة ، فقال
 اسماعيل :
 — يا أبت ، ان اردت ذبحى ، فاشدد رباطى ، لا يصيبك منى
 شىء فينتقم أجري ، فان الموت شديد ، واشحذ شفرتك حتى
 تجهز على فتريحنى .
 والقاء على وجهه وقلبه ينفطر حتى لا ينظر الى وجهه ،
 خشية أن تدركه رقة تحول بينه وبين أمر الله ، وكان على

اسماعيل قميص ابيض ، فقال :
— يا ايت ، انه ليس لى ثوب تكفنتى فيه غير هذا ، فاخلعه
هنى .
وراح اسماعيل يخلع قميصه ، وابراهيم يغالب عواطفه
ويقول :

— نعم البعون انت يا بنى على امر الله .
وشحذ شئنه فكأنما كان يقطع بها مهجته ، واضجع ابنه ،
وهم بذبحه ، فسمع مقاديا ينادى :
— يا ابراهيم ، قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين ،
ان هذا لهو البلاء المبين .

فالتفت ابراهيم ، فاذا بكبش ابيض اقرن ، قد بعثه الله
غدية لاسماعيل ، فامتلا فؤاد ابراهيم نشوة ، وأحس كأنما انقل
الدنيا انزاحت عن صدره ، واكب على ابنه يقبله مغتبطا وهو
يغمغم ودموعه تجرى على لحيته البيضاء :
— يا بنى اليوم وهبت لى .

— ٩ —

دثر مكان البيت المقدس ، واصبح موضعه اكمة حمراء ،
فأوحى الله الى ابراهيم : ان ابن لى بيتا ، فذهب الى ابنه
اسماعيل ، وقال له :
— ان الله عهد الينا ان نطهر بيته للطائفين والعاكفين والركع
السجود .

فأطلقا الى مكان البيت ، فجعل ابراهيم يبنيه ، واسماعيل
يناول الحجارة وهما يبتهلان :

— ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين
لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ، وارنا ناسكنا ، وتب علينا انك
انت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم
آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم .
واراد ابراهيم ان يجعل للناس علما يبتدئون الطواف منه ،
ويختمون به ، فقال لابنه :

— يا بنى اطلب لى حجرا حسنا اضعه ههنا .
فراح اسماعيل يبحث ثم عاد بالحجر الأسود ، فوضعه
ابراهيم موضعه ، وبنى عليه ، ولما اتم ما امر به قال :
— رب ، قد فرغت .
قال :

— اذن فى الناس بالحج .
— اى رب ، ومن يبلغ صوتى ؟
— اذن وعلى البلاغ .
— اى رب ، وكيف اقول ؟
— قل : ياايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ،
فاحيوا ربكم .

فوقف ابراهيم على المقام يؤذن فى الناس بالحج ، فجاء
الناس من كل فج عميق .
ومرت الأجيال ، وتكاثر ذرية اسماعيل تحقيقا لوعد الله ،
وتلبية لدعوة خليله ، وبقي الحرم آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ ،
تقد اليه امة ، وتذهب عنه امة من ذرية اسماعيل .

وجاءت جرهم ، واستخفت بأمر البيت الحرام ، فارتكبوا فيه المعاصي ، وخشى رئيسهم أن يسلبوا الكعبة ، وكان بهما غزالتان من ذهب ، ودروع وأسياف وأموال ، فعمد إليها ودفنها في زمزم وطم البئر واعتزل قومه .

وجاءت خزاعة وأخرجت جرهم من الحرم ، ولم تكن تدرى أمر زمزم ، فبقيت مطمئنة مجهولة ، وحفرت آبار أخرى للناس .

وتصرمت السفون ، وفتتها الأجيال ، وأصبح عبيد المطلب سيد قريش ، وفي ذات يوم دخل إلى الحجر ونام ، وفيما هو في نومه إذ أتاه آت فقال له :

— احفر طيبة .

— وما طيبة ؟

ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد ، رجع إلى مضجعه فنام ، فجاءه ، فقال له :

— احفر برة .

— وما برة ؟

ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد ، رجع إلى مضجعه ، فنام ، فجاءه فقال له :

— احفر المصنونة .

— وما المصنونة ؟

ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد رجع الى مضجعه ، فنام ، فجاءه فقال له :

— احفر زمزم ، انك ان حفرتها لا تقدم ، وهي ميراث من أبيك الاعظم ، لا تنزف أبدا ولا تنم ، تسقى الحجيج الاعظم .

— واين هي ؟

— بين الفرس والدم ، عند قرية النمل ، حيث ينقر الفسراب الاعصم .

فلما كان الغد ، ذهب عبد المطلب ووحيدته الحارث الى قرية النمل ، فوجد غرابا ينقر بين الصنمين اساف ونائلة ، فجاء عبد المطلب بالمعول ، وقام ليحفر ، فقامت اليه قريش فقالوا :

— والله لا نتركك تحفر بين وثنينا اللذين نحر عندهما .

فقال عبد المطلب لابنه الحارث :

— امنع عنى حتى احفر ، والله لامضين لما امرت به .

فالتفت القوم الى عبد المطلب وفي عيونهم هزة وسخرية ، انه ليس له الا الحارث ، وانى للحارث ان يمنع عنه ، فقال له عدى بن نوفل ساخرا :

— يا عبد المطلب ، ستطيل علينا وانت نذ لا ولد لك ولا مال ، وما انت الا واحد في قومك !

فغضب عبد المطلب وقال لعدى :

— اتقول هذا وقد كان نوفل ابوك في حجر هاشم !

— وانت ايضا كنت في يثرب عند اخوالك من بني النجار ، حتى ردك عمك المطلب .

فقال عبد المطلب في غضب :

— او بالقلبة تعيرنى ، فله على النذر لئن آتانى الله عشرة
من الأولاد الذكور ، لأنحرن أحدهم عند الكعبة .

فكف قومه عنه ، وظل يعمل حتى نبع الماء ، فاعترفوا
بزمزم لعبد المطلب ، لا يخاصمونه فيها أبدا .

وكرت السنون ، وصار أولاد عبد المطلب عشرة ، وكان
قد نسي نذره ، فدخل لينام ، وإذا بهاتف يأتيه ، كما جاء جده
إبراهيم خليل الرحمن من آلاف السنين :

— انبج احد اولادك وفاء لنذرك .

وكما أطاع إبراهيم وحى الله ، أطاع عبد المطلب رؤياه ،
فجمع أولاده ، وخرج إلى السادن يضرب القداح عليهم ، فخرج
القدح على أصغرهم عبد الله ، وكان أحب ولده إليه ، فأخذه
بيده ، كما أخذ إبراهيم إسماعيل ، وأخذ الشفرة ، ثم أقبل
به على اساف ونائلة والجموع خلفه ، لترى عبد المطلب يذبح
حبيبه ، ارضاء لربه .

وبلغ سادات قريش ما اعتزم عليه عبد المطلب ، فخرجوا
من انديتهم مذعورين يخشون أن تصبح هذه العادة سنة فيهم ،
وبلغ بنى مخزوم أخوال عبد الله ، ما عقد الشيخ عليه العزم ،
فانطلقوا إليه ، فالفوه قد ألقى ابنه عبد الله على الأرض ووضع
رجله على عنقه ، وأخذ الشفرة ليذبحه ، وقبل أن يذبحه ظهر
سادات قريش يتصايحون :

— لا تفعل حتى تستفتى فيه ، لئن فعلت هذا ، لا يزال
الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه .

وقال بنو مخزوم :

— والله ما أحسنت عشرة أمه !

فأمر عبد المطلب على أن يوفى بنذره ، فقالوا له :

— فلنأت كاعنة خبير فנסألها ، فإن امرتك بذبحه ذبحته ،
وإن امرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته .

وتجهزت الرواحل ، وانطلقوا إلى خبير ، ودخل عبد المطلب
وهو يرجو في نفسه أن تجد متفذا لنذره ، وجعل يقص عليها
قصته حتى إذا ما انتهى ، تطلع إليها في لهفة ، فقالت في
هدوء :

— أرجعوا عني اليوم حتى يأتي تابعى فأسأله .

فتركوها وخرجوا ينتظرون الفد ، وانقضى الليل في قلق
وارق ، ويأس ورجاء ، حتى إذا تنفس الصبح خرجوا إليها ،
فاستقبلتهم فأحسنست استقبألهم ، ثم ابتدأت شفتأها تتحركأن ،
فتعلقت العيون بهما ، قالت :

— قد جأني الخبر ، كم الدية فيكم ؟

— عشرة من الأبل ؟

فقالت لعبد المطلب :

— تخرج عشرة من الأبل وتقده ، وكلما وقعت القدأح
على أبئك ، تزيد عدد الأبل حتى تخرج القدأح على الأبل .
فسكنت الطمأنينة نفوس القوم ، وأحسوا رآحة ، فقد انقضت
حياة عبد الله .

ورأح عبد المطلب يضرب القدأح ، وما زال يزيد عشرة عشرة
حتى بلغت مائة ، فخرجت القدأح على الأبل ، فصأح القوم في
سرور :

— لقد رضى ربك .

فقال عبد المطلب :

— لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرأت .

فضرب ثلاث مرات ، فخرجت القداح عليها ثلاث
مرات ، فاطمأنت نفس عبد المطلب ورضيت ، وراح يفحس
الأبل المائة في ابتهاج ، وتركها للناس يأكلون ، لا يصد
عنها أحدا .

- ١١ -

وخرج عبد المطلب الى اليمن في رحلة الشتاء ، فنزل على
حبر من اليهود يقرأ الكتاب ، فالتفت الحبر الى عبد المطلب
وقال :

— ممن الرجل ؟

— من قريش .

— ان في احدي يدك ملكا ، وفي الأخرى نبوة ،
وانتهت أيام التجسار ، فعاد عبد المطلب الى مكة ،
وكلمات الحبر تفد الى ذهنه كلما خلا بنفسه ، وخطب
عبد المطلب الى بنى زهرة ، فخطب هالة بنت وهب لنفسه ،
وخطب آمنة بنت وهب لابنه الذبيح عبد الله ، وتزوجا وأولما
في ليلة واحدة .

وتأهبت العير للخروج الى الشام ، فخرج عبد الله وقومه
للتجارة ، فلما فرغوا من تجارتهم انصرفوا فمروا بالمدينة ، وكان
عبد الله يحس مرضا ، فتخلف عند أخواله بنى النجار ، ثم
ما لبث أن مات قبل أن يشهد وليسده الذي حملت به آمنة
بنت وهب . ونام عبد المطلب في الحجر ، فرأى رؤيا هالته ،
فقام الى كاهنة قريش يقص عليها ما رأى :

— انى رأيت الليلة ، وانما نائم فى الحجر ، كان شجرة .
نبتت قد نال راسها السماء ، وضربت بأغصانها المشرق .
والمغرب ، وما رأيت نورا أزهر منها ، ورأيت العرب والعجم
ساجدين لها ، وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ،
ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها ، ورأيت قوما من
قريش يريدون قطعها ، فاذا دنوا منها أخسروا شساب ، لم
أر قط أحسن منه وجها ، ولا أطيب منه ريحا ، فيكسر أظفرهم ،
ويقطع أعينهم ، فرسعت يدي الأبال منى نصيبا فلم أنله ، فانتبهت
مذعورا فزعاً .

فتغير وجه الكاهنة ، ثم قالت :

— لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق
والمغرب .

وجاء البشير إلى عبد المطلب بأن آمنة وضعت غسلا ،
فظهر البشر فى وجهه ، وقام من مجلسه منطلقا إلى دار
آمنة ، ليرى حفيده ، وقد عزم أن يسميه قثم ، لأن ابنه
قثم قد مات ، وهو ابن تسع سنين ، وقد خلف له حزنا
شديدا ، فأراد أن يسمي حفيده باسمه تخليدا لذكرى
ابنه ، فلما دخل على آمنة ، وأخذ الوليد بين يديه ، التفت إلى
أمه وقال :

— لقد سميت قثم .

فقالت آمنة :

— أمرت فى منامى أن أسميه محمدا .

وفى اليوم السابع أمر عبد المطلب بجزور فنحرت ، ودعا
رجالا من قريش ، فجاءوا وأطعموا ، وجيء بالمولود فابتهجوا
به ، وسالوا عبد المطلب عن اسمه ، فقال :

— محمد .

فنظر القوم بعضهم الى بعض فى عجب وقال أحدهم :

— ولم رغبت عن اسماء آبائك ؟

— ليكون محمودا فى السماء لله ، وفى الأرض لخلقه .

وانصرف القوم ، وما دار بخلد أحدهم ان ابن الذبيحين
الذى ولد هو المبشرى التى بشر الله بها هاجر واسماعيل يوم
قال سبحانه : « قومى احملى القلام وشدى بدك به ، الانى
ساجعله امة عظيمة » وأنه دعوة ابراهيم التى دعاها يوم كان
يرفع القواعد من البيت : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو
عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . انك انت
العزیز الحكيم) .



موسى

(واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا
وكان رسولا نبيا ، وناديناه من جانب الطصور
الأيمن وقربناه نجيا . ووهبنا له من رحمتنا
أخاه هارون نبيا) .

« قرآن كريم »

- § -

أرسل يوسف يدعو إليه أباه وأهل بيته ، فوجد بنو إسرائيل
الى مصر مع يعقوب ، ونزلوا بها ، وراحوا يتكفلون فى ربوعها ،
ويستولون على منابع الثروات فيها ، وما تصرمت ثلاثمائة سنة
حتى امتلأت مصر بهم ، وأصبحت ثروتها فى أيديهم .

ورأى فرعون مصر أن اليهود صاروا مسادتها ، فالأراضى
أصبحت ملك يمينهم ، والصناعات تحت سيطرتهم ، والأموال
تتسرب من جيوب الشعب الى خزائنها ، فأوجس خيفة من
اشتداد شوكتهم ، أنهم غرباء عن البلاد ، فما يدريه إذا ما شبت
حرب بينه وبين أعدائه ، أن يتضموا اليهم ، ليسلبوه مقاليد الحكم
والسلطان !

وفكر فرعون ، فرأى أن يجردهم من أملاكهم ، وأن يصادر أموالهم ، وأن يسومهم سوء العذاب ، فضم أراضيتهم إلى أراضيه ، وأموالهم إلى بيت ماله ، وجعلهم خدما له ، وصنّفهم في أعماله ، ففريق يبنون له المدن والمعابد ، وفريق يحرقون له أراضيه ، وفريق يزرعون ويحصدون .

أصبح بنو إسرائيل في مصر عبيدا أذلاء ، يقاسون التهن والاضطهاد ، وعلى الرغم من الضنك الذي كانوا يعيشون فيه ، كانوا يتناسلون ويتكاثرون ، فأقلق تكاثرهم فرعون ، فراح يفكر فيما يفعله ليستأصل هؤلاء الذين هيجوا مخاوفه ، وليوقى نفسه ومملكته ثورة العبيد .

واهتدى فرعون إلى فكرة ، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته ، فقال لهن :

— لا يولدن على أيديكن غلام من بنى إسرائيل ، إلا قتلنموه .
وذاع ذلك الأمر في مصر ، فغشى بنى إسرائيل حزن عميق .

— ٢ —

راح رجال فرعون والقوابل يدورون على الحبالي من بنى إسرائيل ، ويعلمون ميقات وضسعهن ، فلا تلد امرأة ذكرا إلا ذبحسه أولئك الذباحون ، وحملت امرأة صالحة من المسبرانيات ، وكانت في قصر فرعون ، فركبها الهيم ، كانت تخشى أن تضسع ولدا فيذبحه المصريون ، فاحترزت وأخذت تخفى أمارات الحمل ، فلما جاءها المخاض وضسعت

طفلها دون أن تلمس أحدا لمعاونتها . وأحببت المرأة وليدها ، وأجج ذلك الحب الخطر المسلط عليه ، أنها لتخشى أن تنفده فى أى لحظة . أن هو إلا أن يرفع صوته بالبكاء ، حتى يقتحم رجال فرعون عليها مخدعها ، وينزعوه من بين أحضانها ، ليذبحوه ذبح الأنعام .

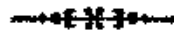
كانت المرأة وابنتها الكبرى التى تعمل بالقصر تتساوبان رعائيته ، وهى ذات ليلة وضمت الأم وليدها فى حجرها ، ورفعت عينيها الى السماء تلمس من الله عوناً ، فأوحى اليها :

— أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه ، فألقيه فى اليم ، ولا تخشى ولا تحزنى ، أنا رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين . ومرت ثلاثة أشهر ، والأم ترعى ابنها وخوفها يتزايد ، وقطنت الى أنها لن تستطيع أن تخفيه عن العيون المربصة بأبناء اليهود . فعزمت أن تنفذ ما أوحى به اليها ، فجاءت بسفط من الردى ، ووضعت ابنها فيه ، ثم ألقت به فى النهر ، وما حمله التيار وبعد عنها حتى همت بالعدو خلفه ، والبحث عنه ، لولا أن ربط الله على قلبها ، وألهمها الصبر والامثال لأمره .

ونادت أخته وقالت لها :

— اتبعى أثره ، لتعلمى خبره .

فسارت أخته على الشاطئ ، وهى ترمقه من طرف عينيها ، وتظاھر أنها غافلة عنه ، حتى لا يتكشف أمرها ، وحمله التيار وانطلق الى جناح القصر المعد للحريم .



- ٢ -

خرجت آسية امرأة فرعون وجواربها يغتسلن في النيل ،
فلمحن بين الأشجار سغطا به غلام صغير ، فهرعت احداهن
اليه وانتشلته ، فارتفع بكاء الطفل ، ومس أذنى آسية ،
فقال : -

— هذا بكاء طفل صغير .

وجاءت الجارية اليها تحمله وتقول :

— هذا طفل القى به أهله في النيل .

نظرت آسية اليه ، فوقعت عليه رحمتها ، وأحبته ، فضمته
اليها وقبلته ، فلما رأت أخته ذلك اكتفتها راحة ، ونزل بقلبها
الطمأنان ، ودفنت ترقب ما يكون .

ودخلت آسية الى القصر ، وجسواربها حولها ، وأقبل
فرعون ، فلما رأى الطفل تحركت غلظته ، فقال :

— ما هذا ؟

— طفل التقطناه من اليم .

— انه ابن من أبناء المبرانيين ، اقتلوه .

— ارحمه يا مولاي ، انه طفل صغير .

— اقتلوه .

— قرة عين لى واك . لا تقتلوه ، حسى ان ينفعنا أو نتخذه

ولدا .

وظلت تدافع عن الطفل ، وتلتمس من فرعون أن يبقيه .
واستمرت ترجوه وتلحف في الرجاء وتستغويه آياه ، حتى لان
لنوسلاتها ووهبه لها .

فرحت آسية بالطفل الذي استحيته ، وحملته وضمته
إليها وقد تحركت فيها احساسات الأمومة الرعوم ، وبكى الطفل
فالتصت له لرضعات ، فلم يأخذ من أحد من النساء ، وجعل
النساء يفتدن ، لينزلن عند فرعون في الرضاع ، ولكن الطفل
استمر في بكائه وامتناعه عن أن يلتقم ثدي احداهن .

وانشفت آسية على الطفل ، وحارت في أمره ، فدنيت أخته
منها ، وقالت لها :

— هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ؟

فانظرت آسية إليها وقد شاع في وجهها أمل ؟

— أتعرفين أهل هذا الغلام ؟

— لا أعرفهم ، ولكن أعرف امرأة سالحة ، فلعله يأخذ
ثديها .

— اذهبي ، واتي بها .

وذهبت أخته تحت الخطأ ، وقلبها يخفق في مرج ، حتى
إذا بلغت غرفتها في القصر صاحبت بأها :

— ابشري ، جاءك الفرج ! انهم يلتصونك لترضعيه .

وانطلقت الأم بلها اضطراب ، ولكنه اضطراب لذيد
يخدر المشاعر والحواس ، ودخلت على وليدها ، وكادت
فرحتها تفضح خبيئة نفسها ، وكادت تغتم في وجد ،
وهي تضمه الى الصدر الملهوف : « ولدي ، ابني الحبيب »
وكادت تصرح به لولا أن ربط الله على قلبها لتكون من
المؤمنين .

وناولته ثديها ، فأخذه ، فأثرق وجه آسية بالفرح . ونزل
بقلب أمه سكينه ، وأطرقت برأسها شكرا لله ، فقد رده الله
إليها ليكون من المرسلين .

— ٤ —

جلست آسية تنظر إلى الطفل الذى تعلق به مؤادها ،
والذى فجر فى نفسها ينابيع الحنان والرأفة ، فشساعت فى
نفسها نشوة ، وأراحت أن تدعوه باسمه ، ولكنها لم تعرف
بماذا تدعوه ، وفكرت فى أن تطلق عليه اسما ، أنها وجدته
بين الماء والشجر ، وراحت تردد بلغتها مساء وشسجر :
موشا ، ماء وشجر : موشا ، لماذا لا تدعوه موشا ، (مساء
وشجر) ، واستراحت إلى ذلك ، فنهضت إلى الغمام
تنافيه :

— تعال يا موسى ، تعال يا موسى يا حبيبي .

وحملته وقبلته وجعلت تداعبه ، وهى تحس احساسات
فياضة صافية طاهرة .

وترعرع موسى فى قصر فرعون ، يركب مراكب فرعون ،
ويلبس ما يلبس فرعون ، وكان الخدم يدعونه موسى بن
فرعون ، ولكن موسى كان يعرف أهله ، وكان يعرف أنه من بنى
إسرائيل ، وكانت أسعد أويقات صباه تلك السويحات التى
يمضيها مع أخيه هارون .

ولما بلغ أشده وأستوى آتاه الله حكما وعلما ، وفى ذات
يوم أقبل موسى إلى القصر ، ولما لم يجد فرعون سال عنه ،

فَقِيلَ لَهُ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى مَنفَ ، فَرَكِبَ مُوسَى فِي أَثَرِهِ ، وَدَخَلَ
مَنفَ فِي نَصَفِ النَّهَارِ . وَتَدَا أَغْلَقَتْ أَسْوَاقُهَا ، فَبَيْتُهَا هُوَ يَمْشِي
فِي فَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ ، إِذْ رَأَى رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، أَحَدُهُمَا مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ ، وَالْآخَرُ مِنْ قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، فَاسْتَفَافَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ
عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوهِ ، فَوَكَزَهُ مُوسَى ، فَخَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ :

— هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، أَنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ .

وَرَفَعَ وَجْهَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ :

— رَبِّ اأْنِي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَاغْفِرْ لِي .

فَغَفَرَ لَهُ ، أَنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، قَالَ :

— رَبِّ ، بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ .

— ٥ —

أَصْبَحَ الصَّبَاحَ ، فَخَرَجَ مُوسَى إِلَى الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ،
أَنَّهُ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنُ وَمَلَأُوهُ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ هَذَا الْقَتِيلَ إِنَّمَا
قَتَلَهُ مُوسَى فِي نَصْرَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ
لَشَكَّوْا فِي أَنَّهُ مِنْهُمْ ، وَلَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْقَى فِي الْقَصْرِ ، لِيَعْمَلَ
عَلَى مَا فِيهِ مَصْلَحَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

وَفِيمَا هُوَ مُنْطَلِقٌ يَتَلَفَّتْ ، رَأَى ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ الَّذِي نَصَرَهُ
بِالْأَمْسِ يَقْسِئُ رِجْلًا آخَرَ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ ، فَلَمَّا رَأَى مُوسَى
اسْتَصْرَخَهُ :

— مُوسَى ، انصُرْنِي يَا مُوسَى .

فبان في وجه موسى الغضب ، وقال للاسرائيلى -
- انك لغوى مبين .

واقبل نحوهما ، فلما لمح الاسرائيلى الشر في عينى موسى
فرق منه ، وفر من وجهه وهو يقول :
- اتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس ، ان تريد
الا أن تكون جبسارا في الأرض ، وما تريد أن تكون من
المصلحين .

سمع المصرى ما قاله الاسرائيلى ، فذهب الى القصر ،
وافشى أن موسى هو الذى قتل الرجل ، وبلغ النبأ مسامع فرعون ،
فغضب وصاح :
- خذوه واقتلوه بجنايته .

وكان أحد أنصار موسى عند فرعون لما أصدر أوامره بقتله ،
فخرج يغذ السير ، وجاء الى موسى رجل من أقصى المدينة.
يسمى ، وقال له :

- ان الملا يأترون بك ليقتلوك فاهرج .

فوقف موسى يتسلف في حيرة ، لا يدري الى أين
يذهب ، انه لو بقى في مصر لقبض عليه فرعون ، ونفذ
فيه القتل ، ليس أمامه الا الخروج ، فانطلق هاربا لا يلوى
على شيء .

سار موسى في حلقة الليل ، وفي رائحة النهار ، يضرب
في الصحراء لا يسكت صراخ بطنه الا ورق الشجر ، ولا
يطفى ظمأه الا ما يصادف من الآبار ، لم يكن يعرف طريقه
لأنه لم يخرج قبيل ذلك من مصر ، ولما توجه تلقاء مدين
قال :

- عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل .

بلغ موسى مدين ، وقد نال منه التعب والجوع ، ورأى شجرة فوقها تحتها يستظل بها ويستريح ، ومد بصره فإذا جماعة من الرعاة يسقون ، فذهب ليرد الماء فوجد من دونهم امرأتين تكفكمان غنهما أن تختلط بغمم الناس ، فاقترب موسى منهما وقال :

— ما خطيكما ؟

قالتا :

— لا نسقى حتى يصدر الرعاة ، وأبونا شيخ كبير .

نظر موسى فوجد الرعاة قد وضعوا على قم البئر صخرة عظيمة ، فتقدم مرفع الصخرة وحده ، وكان لا يرفعها الا عشرة ، ثم استسقى لهما ، وسقى غنهما ، ورد الحجر كما كان .

وقولى موسى الى ظل الشجرة ، ويطنه لاصق بظهره من الجوع ، وقال :

— رب ، انى لما انزلت الى من خير فقير ؟

وعادت الفتاتان الى أبيهما ، فلما رآهما قال لهما :

— ما بالكما قد عدتما اليوم سريعا ؟

قالتا :

— عاوننا رجل كريم على سقى غنمنا .

وقالت صفورة ، ابنة الشيخ الصغيرة :

— يلوح يا أبى أنه جائع مكدود .
فأمرها الشيخ أن تذهب إليه فتدعوه ، فجاءت تمشى على
استحياء ، حتى إذا بلغتته وهو فى ظل الشجرة ، قالت له :
— ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا .
قام معها ، وقال لها :
— أمضى .
فمشيت أمامه ، فضربتها الريح ، فبدت مفاتن جسمها ،
فقال لها :
— أمضى خلفى ودلبنى على الطريق ان أخطأت .
واستمر فى سيره حتى دخل على الشيخ ، وراح يقص
عليه ما حدث له فى مصر . فلما انتهت من قصته ، قال
الشيخ له :
— لا تخف ، نجوت من القوم الظالمين .
وقدم الطعام لموسى ، فلما شبع قام لينصرف ، فقالت صفورة
ابنة الشيخ الصغيرة :
— يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القسوى
الأمين .
فقال لها الشيخ :
— وما علمك بهذا ؟
فقالت صفورة :
— انه رفع صخرة لا يطيق رفعها الا عشرة .
— وما أدراك بأمانته ؟
— أتى مشيت قدماه ، فلم يحب أن يخوننى فى نفسى ،
وأمرنى أن أمضى خلفه .
فذهب الشيخ إلى موسى وقال له :

— ائى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين ، على أن تاجرئى
ثمانى حجج ، فان أتممت عشرةا فمن عندك ، وما أريد أن أشق
عليك ، ستجدنى أن شاء الله من الصالحين .
فقال له موسى :

— ذلك بينى وبينك ، أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على ،
والله على ما نقول وكيل .
وتزوج موسى من صفورة ، وقد أكر نفسه للشيخ ثمانى
سنيين أو عشرةا على عفة فرجه ، وطعام بطنه .

— V —

رعى موسى للشيخ عشر سنيين ، وكان يعاوده فيها الحنين
الى أهله ، فلما أتم الأجل قال لصفورة :
— اشتقت الى أمى وإلى أخى هارون ، فتأهبى للخروج الى
مصر ، فان لى فيها شيعة وأنصارا .

وتأهب موسى وزوجته وأولاده للخروج ، حتى اذا آذنت
ساعة الرحيل ودعوا الشيخ وانطلقوا يضربون فى البيسداء ،
حتى بلغوا جانب الطور الأيمن فى عشية شاتية شديدة
البرودة .

وجاء الليل ، وأرخى سدوله ، وأخذت السماء تبرق وترعد
وتمطر ، فراح موسى يدور ببصره فى الفضاء ، فأتس من جانب
الطور نارا ، فقال لأهله :

— امكثوا ائى أنست نارا ، لعلى أتيكم منها بخبر ، أو جذوة
من النار لعلكم تصطلون .

وانطلق موسى في وادي طوى يتوكأ على عصاه صوب
النار ، فلما جاءها نودى أن: بورك من في النار ومن حولها
وسبحان الله رب العالمين . فحسب موسى ، وفر مغزوعا ،
ولما أفرخ روعه عاد ثانية إلى النار ، فلما أتاه نودى من
شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة : أن يا موسى
انى انا الله رب العالمين .

وفر موسى مرعوبا ، وما بعد عن النار حتى عاد إليه روعه ،
مدنا منها ، فلما أتاه نودى :

— يا موسى ، انى انا ربك فاخلع نعليك ، انك بالواد المقدس
طوى ، وانا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اننى انا الله لا اله
الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى ، ان الساعة آتية أكاد أخفيها
لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها
واتبع هواه فتردى .

وخلع موسى نعليه ولم يذهب عنه روعه ، فقال له الله
مؤنسا :

— وما تلك بيمينك يا موسى ؟

— هى عصاى اتوكأ عليها ، وأهش بها على غنمى
ولى فيها مآرب أخرى .
قال :

— القها يا موسى .

فألقاها فإذا هى حية تسعى ، فلما رآها تهتز كأنها جان
ولى مدبرا ولم يعقب . فناداه ربه :

— يا موسى لا تخف ، انى لا يخاف لدى المرسلون ، أقبل
ولا تخف انك من الآمنين .

فلما رجع ، ورأى الحية تسعى ، بقى على خوفه ، فقال
الله له :

— خذها ولا تخف ، سنعيدها سيرتها الأولى .

فمد يده الى الحية فاذا هى قد عادت عصا كما كانت ، وقال
له الله :

— اسلك يدك فى جيبك فخرج بيضاء من غير سوء ، واضمم
اليك جناحك من الرهب .

فوضع موسى يده فى جيبه وأخرجها ، فاذا هى تفلأ كالقمر
بياضا من غير سوء ، وشغل فكره بالعصا التى صارت حية
تسعى ، وبيده التى أضاعت كالبدر ، فقال الله له :

— فذائك برهانان من ربك الى فرعون ومائه ، انهم كانوا
قوما فاسقين .

وعلم موسى ان الله أرسله الى فرعون الطاغية ، فقال :

— رب ، اتى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون . وأخى
هارون هو أفصح منى لسانا ، فأرسله معى ردأ يصدقنى ،
انى أخاف أن يكذبون .

قال :

— سنشد عضدك بأخيك ، ونجعل لكنا سلطانا ، فلا يصلون
اليكما بأياتنا ، أنتما ومن اتبعكما الغالبون .
— اذهب الى فرعون اته طغى .

فقال موسى فى ابتهاال :

— رب ، أشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، وأحلل عقدة
من لسانى يفتقها قولى .



— ٨ —

وسار موسى وأهله حتى دخلوا مصر خلصة ، وذهب إلى
أبيه ، فترت به عينا ، وانتظر حتى جاء هارون ، فقام الأخوان
بتعائن ، وراح موسى يقص على أخيه قصته ، ثم قال له :
— يا هارون انطلق معي إلى فرعون ، أن الله قد أرسلنا
إليه .

فقام هارون ليذهب مع أخيه . فهبت أمهما إليهما
فصبح :

— انشدكما الله أن لا تذهبا إلى فرعون فيقتلكما .

فقال موسى لأمه :

— لا تخافى ولا تحزنى ، أن الله معنا ، لقد قال : اذهبا
بآياتنا أنا معكم مستمعون ، فأتيا فرعون فقولوا : أنا رسول
رب العالمين ، أن أرسل معنا بنى إسرائيل .

فقالت له أمه :

— أخشى عليكما من فرعون .

فقال لها موسى :

— اطمئنى ، لقد بعثنى الله لأخلص بنى إسرائيل من العذاب

ن .

وتحرك موسى وهارون للذهاب ، فقالت لهما أمهما :

— انتظرا حتى الصباح .

— سنذهب إليه الآن .

وذهبا الى القصر ، والتمسا مقابلة فرعون ، فقبل لهما :
 — ماذا تريدان ؟
 — أنا رسول رب العالمين .
 وقيل لفرعون ان بالباب مجنونا زعم انه رسول رب العالمين .
 فقال فرعون :
 — ادخلوه . .
 ودخل موسى وهارون على فرعون ، فنظر فرعون الى موسى
 مليا وقال :
 — ماذا تريد ؟
 — أنا رسول رب العالمين ؟ ان ارسل معنا بنى اسرائيل .
 وعرف فرعون موسى ، فقال له في استخفاف :
 — ألم نربك غيفا وليدا ، ولبثت غيفا من عمرك سنين ، وفعلت
 فعلتك التي فعلت ، وأنت من الكافرين .
 عرف فرعون موسى ، وتذكر انه قتل رجلا من رجاله وفر ،
 وأنه يأتيه الساعة ليقول له انه رب العالمين ، فجعل يرمقه في
 زراية ، فقال موسى :
 — فعلتها اذا وأنا من الضالين ، قفرت منكم لما خفتكم
 فوهب لى ربى حكما ، وجعلنى من المرسلين .
 قال فرعون :
 — وما رب العالمين ؟
 قال :
 — رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين .
 قال لمن حوله :
 — ألا تسمعون ؟
 قال موسى :

— ربكم ورب آبائكم الاولين .
قال فرعون لمن حوله :
— ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون .
قال موسى مستأنفا حديثه :
— رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون .
وتضايق فرعون ، فحشر فنادى فقال :
— انا ربكم الاعلى . يا ايها الملا ما علمت لكم من اله
غيرى .

— ٩ —

وعاد موسى وهارون يلتمسان الاذن لهما بالدخول على
فرعون ، ولم يجرؤ احد ان يرفع الى فرعون طلبهما ، وفى
يوم ذكر له اصحابه ان الرجلين اللذين جاءا يدعوانه الى
الهما واقفان ببابه ، فامر بالسماح لهما بالدخول ، فلما مثلا بين
يديه ، قال موسى :

— يا فرعون ، انى ادعوك الى الله .
فتقال فرعون فى غلطة :
— لئن اتخذت الها غيرى الاجعلتك من المسجونين .
قال موسى :

— او لو جئت بشيء مبين ؟
— فأت به ان كنت من الصادقين .

فالتقى عصاه ، فاذا هى تعبان مبين ، ونزع يده فاذا هى
بيضاء الناظرين .

فنظر فرعون مدهوشا ، فقال له موسى وهارون :
— انا رسولا ربك ، فأرسل معنا بنى اسرائيل ، ولا تعذبهم ،
قد جئناك بأية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ، انا قد
أوحى اليك ان العذاب على من كذب وتولى .

وسكن روع فرعون ، فعاد الى استخفافه ، قال :
— فمن ربكما يا موسى ؟

قال :

— ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى .

قال :

— فما بال القرون الاولى ؟

قال :

— علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ، الذى جعل
لكم الارض مهذا ، ويسلك لكم فيها سبلا ، وانزل من السماء
ماء ، فأخرجنا به ازواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا انعامكم
ان فى ذلك لآيات الاولى التى ، منها خلقتناكم وفيها نعيدكم ،
ومنها نخرجكم تارة اخرى .

فقال فرعون فى غيظ :

— اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى ؟ فلنأتيناك
بسحر مثله ، فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت
مكثنا سوى .

قال :

— موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى .

تأهب المصريون للعيد ، وخرجوا مبكرين وانطلقوا الى
الساحة الكبرى ، فان اليوم هو اليوم الذى جعله موسى بينه
وبين فرعون موعدا . وجاء السحرة الذين جمعهم فرعون من
انحاء مملكته ، واصطفوا صفوفا ، وجاء فرعون ووزيره هامان
وملية القوم ، وتصعدوا المكان ، وقال فرعون للسحرة :

— انثوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى .

وخرج موسى ومعه اخوه يتكئ على عصاه ، حتى اتى الجمع ،
وفرعون فى مجلسه مع اشراف اهل مملكته ، فاقبل موسى على
السحرة وقال لهم :

— ويلكم ! لا تفتروا على الله كذبا ، فيسحقكم بعذاب ، وقد
خاب من افترى :

فاختلف السحرة فيما بينهم ، فقال قائل منهم :

— هذا كلام نبى .

وقال قائل :

— هذا ساحر .

وقال بعضهم :

— هذان ساحران يريدان ان يخرجاك من ارضك بسحرهما .

واقبلوا على موسى وقالوا :

— يا موسى ، اما ان تلقى واما ان نكون اول منلقى .

قال :

— بل القوا .

فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا
بسحر عظيم . فنظر موسى فإذا حبالهم وعصيهم يخيل
إليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة ، فأوحى
الله إليه :

— موسى : لا تخف ، أنك أنت الأعلى ، والحق ما في
يمينك تلقف ما صنعوا ، إنما مستمعوا كيد ساحر ، ولا يفلح
الساحر حيث أتى .

فالتقى موسى عصاه ، فإذا هي تلقف ما يأفكون ، فوقع
الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فقلبوا هنالك ، وانقلبوا
صاغرين .

والتقى السحرة ساجدين ، قالوا :

— آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون .

وثار فرعون ، وزاد في ثورته أن موسى هزمه على مرأى
من الملأ ، وأن السحرة سجدوا لإلهه والناس ينظرون ، فخشي
أن تشتعل الفتنة ، وأن يفلت زمام الشعب من يده ، فقال
للسحرة .

— آمنتم له قبل أن آذن لكم ، إنه لكبيركم الذي
علمكم السحر ، فلا تقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ،
ولا تصلبنكم في جذوع النخل ، ولتعلمن أننا أشد عذابا
وأبقى .

وكأنتن حلوة الايمان قد مست قلوب السحرة ، فلم يفزعوا
لما قال فرعون : بل قالوا له على أطمئنان :

— لم نسؤ ترك على ما جاء من البينات والذي فطرنا ،

فما قاض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، أنا
آمننا بربنا ليفقر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله
خير وأبقى ، أنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها
ولا يحيا ، ومن يأت به مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم
الدرجات العلى ، جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها ، وذلك جزاء من تزكى .

— ١١ —

وضاق فرعون بموسى ذرعاً ، أنه يدعو الناس الى الله .
غير آلهة الفراعين ، وأنه يفتن الفقراء والمستضعفين ، وإن
الناس يلتفون به ويعجبون ، وراح فرعون يفكر فيما يفعله وقد
علاه الهم ، وقال الملكاً من قوم فرعون :

— أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ، ويذكرك
وآلهتك ؟ .

قال :

— سنقتل أبناءهم ، ونستحيي نساءهم ، وأنا فوقهم .
قاهرون .

وأمر فرعون بقتل أبناء بنى إسرائيل ، فنزل بهم كرب
شديد ، فقال موسى لقومه :

— استمعينوا بالله واصبروا ، إن الأرض يورثها من يشاء من
عباده ، والعاقبة للمتقين .

وزاد اضطهاد فرعون لهم ، فجاءوا موسى يقولون :
ضيق :

— أودينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا .
قال :

— عسى ربكم أن يهلك عدوكم ، ويستخلفكم فى الأرض ،
فيُنظر كيف تعملون ؟

وجلس فرعون على عرشه مهموماً ، أن قتل أبناء اليهود
لم يرحه من متاعب اليهود ، فطن إلى أنه لن يستريح مادام
موسى يسعى فى الأرض ، فالتفت إلى من عنده وقال :

— ذرونى أقتل موسى ، وليدع ربه ، ائى أخاف أن يبدل
دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد .

وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه :

— اتقون رجلاً أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات
من ربكم ، وإن يك كاذباً فعليه كذبه ، وإن يك صادقاً يصيبكم
بعض الذى يعدكم ، أن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ،
يا قوم ، لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من
بأس الله أن جاعنا .

فقال فرعون فى اعتداد :

— ما أرىكم إلا ما أرى ، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد .
وقال الذى آمن :

— يا قوم ائى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل
دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، وما الله يريد
ظلماً للعباد ، ويا قوم ائى أخاف عليكم يوم القناد ، يوم تولون
مدبرين مالكم من الله من عاصم ، ومن يضل الله فما له من هاد .
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم فى شك مما جاءكم
به ، حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ، كذلك
يضل الله من هو مسرف مرتاب . الذين يجادلون فى آيات

الله بغير سلطان اتاهم كبير مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار .

والتفت فرعون الى وزيره وقال :

— يا هامان ، ابن لى صرحا لعلى ابلغ الأسباب أسباب السموات ، فأطلع الى إله موسى ، وانى لأظنه كاذبا .

فنظر هامان الى فرعون وفى عينيه حيرة ، فقال فرعون
فى كبرياء :

— ما علمت لكم من إله غيرى ، فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى .

وقال الذى آمن :

— يا قوم اتبعونى اهدكم سبيل الرشاد . يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ، وان الآخرة هى دار القرار . من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ، يرزقون فيها بغير حساب .

ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة ، وقدمونى الى النار ، تدعونى الاكفر بالله ، واشرك به ما ليس لى به علم ، وانا ادعوكم الى العزيز الغفار . لا جرم أن ما تدعونى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وأن مردنا الى الله ، وأن المسرفين هم أصحاب النار ، فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض امرى الى الله ، وان الله بصير بالعباد .

دخل موسى على فرعون يطسلب منه تخليص بنى اسرائيل من العبودية وأن يرسلهم معه ليثركوا مصر ، فقال له فرعون :

— اذا تركتهم لك ، فمن يحرق لى ارضى ، ومن يسقى زرعى ، ومن يصنع لى اللبانات لأبنى صرحى ، لا يا ساحر ان اطلق لك عبيدى ، فادع ربك ليخلصهم من يدى .

واخذ الله مصر بالسنين ونقص من الثمرات ، فتفشيت المجاعة فى البلاد ، وانتشر الجوع ، وخشى فرعون العواقب ، فبعث الى موسى وقال له :

— ادع ربك يرفع عنا هذا البلاء .

— واذا رفعه عنكم ، أرسل معى بنى اسرائيل ؟

— أرسلهم معك .

ودعا موسى ربه ، فجاء الخصيب وعم الرخاء ، ودخل موسى على فرعون يستنجزه وعده ، فأبى فرعون واستكبر وقال له :

— ما اصابنا الجذب الا بشؤمكم ، وما فعل الهك لنا شيئا ، اخرج من عندى فما كنت لأطلق لك عبيدى .

وهطلت الأمطار غزيرة ، فأتلفت الزرع ، وحاك الضيق بالبلاد ، وفزع فرعون وبعث الى موسى وقال له :

— ادع ربك يرفع عنا هذا البلاء .

فدعا موسى ربه ، فرفع مقتله عن البلاد ، وذهب موسى الى
فرعون يستنجزه وعده ، فأبى فرعون وتكبر وقال :

— لن أتركهم لك حتى أبني صرحي وأصعد الى السماء وأسمع
ربك الذى يأمرنى بأن أرسلهم معك .

وسلط الله الجراد ، فلم يترك زرعاً ولا ثماراً ، ولا سبداً
ولا لبداً ، فجزع فرعون ، وفزع الى موسى :

— ادع لنا ربك يرفع عنا هذا البلاء .

— أو ترسل بنى اسرائيل معى ؟

— أرسلهم .

فلما رفع الله عنهم نقيته ، عاد فرعون الى الاستكبار وقال
لموسى :

— مهما تأتينا من آية لتسخرنا بها فما نحن لك بمؤمنين .

وسلط الله عليهم القمل ، فسقطوا فريسة المرض الفتاك ،
وانتشر فيهم الموت ، فكان يحصدهم حصداً ، فجزع فرعون وفزع
واهلك الى موسى ، وقالوا :

— يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ، لئن كشفت عنا
الرجز لنؤمن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل .

فلما كشف الله عنهم الرجز الى أجل هم بالقوه ، اذا هم
ينكثون ، فأرسل الله عليهم الضفادع والدم ، فهرعوا الى موسى
وقالوا :

— يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ، اننا
لنهدون .

فلما كشف الله عنهم العذاب اذا هم ينكثون ، ونادى فرعون
فى قومه ، قال :

— يا قوم ، اليس لى ملك مصر ، وهذه الأنهار تجرى
من تحتى أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين
ولا يكاد يبين ، فلولا التى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه
الملائكة مقترنين .

فاستخف قومه فأطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين .

— ١٣ —

ما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون
وملئهم أن يفتنهم ، وأن فرعون لعال فى الأرض ، وأنه لمن
المسرفين .

ونفذ صبر بنى اسرائيل ، فالحن تنزل بهم ، والبسلايا
تنساقط عليهم ، ورجال فرعون يسومونهم العذاب ، فقزعوا
الى موسى يطلبون منه أن يدعو الله ليخلصهم من محنتهم العظيمة ،
فقال لهم :

— يا قوم ، ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ، ان كنتم
مسلمين .

فقالوا :

— على الله توكلنا ، ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين ،
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين .

فسأوحى الى موسى وأخيه أن تبالا لقومكما بمصر
بيسوتا ، واجعلوا بيوتكم قبلة واقموا الصلاة وبشر
المؤمنين .

فراح موسى وهارون ينفذان وحى الله ، فانخذوا لبنى اسرائيل
بيوتا متميزة فيما بينهم ، ليكونوا على اهبة الرحيل اذا امروا به
ليعرف بعضهم بيوت بعض .

وقال موسى :

— ربنا انك اتييت فرعون وملاؤه زينة واموالا فى الحياة
الدنيا ، ربنا ليضلوا عن مسبيلك ، ربنا اطمس على اموالهم ، واشدد
على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم .
قال :

— لقد اجييت دعوتكما ، فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون .

وناهب بنو اسرائيل للخروج سرا ، ولكن كيف يخرجون وهم
ارقاء ، للأرض ملاصقون ؟ ذهب موسى واكابر بنى اسرائيل الى
فرعون يرجونه فى ان ياتن لبسنى اسرائيل فى الخروج الى
عيد لهم ، فلم يقبل ، فظلوا به يرجون ويلحون فى الرجاء حتى
قبل وهو كاره .

فرح بنو اسرائيل لقرب الخلاص ، فراحت الاسرائيليات
يستعرن حليا من جاراتهن المصريات للترين بها فى العيد ،
فاعرنهن شيعا كثيرا ، ولما جن الليل ، ونشر رداءه الاسود
يحجب كل شيء ، خرج بنو اسرائيل يتسللون ، واجتمعوا
خارج المدينة وانطلقوا طالعين الشام .

واغذوا السير ، ليفروا من الطاغية الذى استعبدهم واذلهم ،
وانطلقوا مهطعين لا يلوون على شيء ، واقترب مؤمن آل فرعون
من موسى وقال له :

— يا موسى ، اين امرت .

— البحر .

وجاء المسوكلون باذلال بنى اسرائيل الى القصر يسعون
ويقولون :

— خرج بنو اسرائيل الى العيد ، ولم يعودوا الى اعمالهم ،
فضياع الملك لم يعد فيها من يحرثها ومن يزرعها ومن يجنى
ثمارها ، وذاع في مصر ان موسى قد خرج ببني اسرائيل ، فخرج
التاس من دورهم فزعين على حليهم التي استعارها منهم اليهود ،
وهاجت البلاد وماجت وجمع فرعون جنوده ، وانطلق في أثر
الفارين ليعيدهم الى اراضيهم ، ولينقذ من ايديهم ذهب البلاد
الذي سلبوه .

ملا الحق فرعون ، واشتد غضبه ، فشرع في استحثاث
جيسته ليلحق الهاربين ويمحقهم ، فأوحى الله الى موسى ان
أسر بعبادي انكم متبعون .

فراح موسى يجد السير ، ولكن ما أن اشرقت الشمس
حتى كان جنود فرعون يلوحون في الأفق القريب ، وتراعى
الجمعان ، ولم يبق الا المقاتلة والمجادلة والمحسامة ، فتلفت
أصحاب موسى وهم خائفون فالبحر أمامهم والجبال الشاهقة
من يسرتهم وعن أيانهم ؟ فوقع الذعر في قلوبهم وهرعوا الى
موسى يصرخون فرما :

— انا لدركون .

فقال موسى في ثبات :

— كلا ان معي ربى سيهدين .

وتقدم الى البحر وأواجه تتلاطم كالجبال ، وقال :

— ههنا أمرت .

وجعل بعض ارجال يقتحمون بأفراسهم البحر مرارا
ليسلكوه ، ولكنهم كانوا يرتدون خائبين ، وتفاقم الأمر ،

واقترب فرعون وجنوده فى جددهم وحديدهم وغضبهم
وحنتهم ، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، فعند ذلك
أوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فلما ضربه
انفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، فالتحق بنو اسرائيل فيه
مسرعين ، فلما جاوزوه وخرج آخرهم منه ، وكان ذلك عند قدوم
أول جيش فرعون اليه ، فأراد موسى أن يضرب البحر بعصاه
ليعود سيرته الأولى ، فأوحى الله اليه :

— واترك البحر رهوا ، انهم جند مفرقون .

واقبل فرعون وهو على حصانه حتى وقف على شفير
البحر ، فلما رآه منفلقا وقف ينظر مدهوشا ، وفكر فى أن
يحجم ، ولكنه لم يشأ أن يظهر أمام جنوده رعيدا ، فالتحق البحر
وانطلق وتدفق جنوده خلفه ، حتى إذا كانوا جميعا فى البحر ،
ارتطم البحر كما كان ، وأخذت الأمواج لتقاذف الجنود ، ورفعت
فرعون وخفضته ، حتى إذا أتركه الغرق قال :

— آمنت أنه لا إله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا
من المسلمين . وآمن ولم يكن ينفسه إيمانه ، وكان هو وجنوده
من المغرقين ، وابتلعهم اليم ، فما بكت عليهم السماء والأرض ،
وما كانوا منظرين .



انتقم الله من فرعون وجنوده ، فأغرقهم في اليم ، لأنهم كذبوا
بآياته ، وكانوا عنها غافلين ، وجاوز بنو اسرائيل البحر فأتوا
على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فجاءوا الى موسى وقالوا له :
— اجعل لنا الها كما لهم آلهة .

فغضب موسى وقال لهم :

— انكم قوم تجهلون ، ان هؤلاء متبر ما هم فيه ، وباطل
ما كانوا يعملون .

أغير الله أبغىكم الها وهو فضلكم على العالمين ؟ !

وسار موسى بقومه صوب بيت المقدس ، انه لا يستطيع ان
يدخلها حتى يتأهل أهلها ، فقال :

— يا قوم ، اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء ،
وجعلكم ملوكا ، وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ، يا قوم
ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ، ولا تترددوا على
أدباركم ، فتقلبوا خاسرين .
قالوا :

— يا موسى ، ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى
يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون .

قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما :

— ادخلوا عليهم الباب ، فاذا دخلتموه فانكم غالبون ،
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين .

قالوا :

— يا موسى ، انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا اننا ههنا قاعدون .

قال :

— رب ، انى لا املك الا نفسى واخى ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين .

قال :

— فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين .

وبقى بنو اسرائيل فى البرية ، فى صحراء سيناء القاحلة الماحلة ، وراحوا يبحثون عن الماء ، فلم يجدوه ، فاجاعوا الى موسى فيزعرون اليه ، فاستسقى موسى لقومه ، فقال الله له :

— اضرب بعصاك الحجر .

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وكان اسباط اليهود اثنى عشر سبطا ، فكان لكل سبط عين تنبجس . واحسسوا الجوع ، فهرعوا الى موسى يلتمسون الطعام ، فدعا موسى ربه ان يطعمهم فأنزل عليهم المن والسلوى ، وضجر كثير من بنى اسرائيل بحياتهم الجديدة ، فاجاعوا الى موسى ، وقالوا له :

— يا موسى ، لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك ان يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها .

فغضب موسى ، وقال لهم فى سخرية :

— اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير ، اهبطوا مصرا
فان لكم ما سألتم .
فما ان صكت سحريته آذانهم ، حتى زاغت أبصارهم ثم
أطرقوا فى خجل شديد .

— ١٥ —

وواعد الله موسى ثلاثين ليلة وأتمها بعشر ، فتم ميقات ربه
أربعين ليلة ، وقال موسى لأخيه هارون :
— اخلفتى فى قومي وأصلح ، ولا تتبع سبيل المفسدين .
وانطلق موسى ليقات الله الى جبل طور سيناء ، فكلمه
ربه ، فناداه وناداه ، وقربه وأدناه ، فطمع موسى فى أن يرى
الله ، فقال :

— ربى ، أرنى انظر اليك .
قال :

— لن قرأتى ، ولكن انظر الى الجبل ، فان استقر مكانه
فسوف ترأتى . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى
صعقا ، فلما أفاق قال :

— سبحانك تبت اليك وأما أول المؤمنين .
قال :

— يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ،
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين .
وكتب الله له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا

لكل شيء ، وتنساول موسى الألواح ، وراح يقرأ ما كتب فيها
وقد أرهفت حواسه : ان الله يأمره ان يسبحه ويقده
لا اله الا هو ، ولا يشرك به شيئاً ، ولا يقتل النفس التي
حرم الله ، ولا يحلف باسمه كاذباً ، ويأمره بالمحافظة على
السبع ، وأن يكرم أباه وأمه ، ليطول عمره في الأرض ،
ولا يقتل ، ولا يزني ، ولا يسرق ، ولا يشهد على صاحبه
شهادة زور ، ولا يمد عينه الى بيت صاحبه ، ولا يشتهي
امراً صاحبه ، ولا عبده ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ،
ولا شيئاً من الذي لصاحبه .

وقال الله لموسى :

— ما أعجلك عن قومك يا موسى ؟

قال :

— هم أولاء على اثرى ، وعجلت اليك رب لترضى .

قال :

— فانا قد قتنا قومك من بعدك ، وأضلهم السامري . فارجع
موسى الى قومه غضبان أسفا .

— ١٦ —

ذهب موسى ليقصات ربه ، وكان موسى قد وعدهم ثلاثين
ليلة ، فلما انقضت تلك الليالي ولم يعد ، جاء السامري
وقال لهم :

— ان موسى قد احتبس عنكم ، انه ليس برابع اليكم ،
فينبغي لكم ان تتخذوا الها .

وفكر بنو اسرائيل فيما يقسول السامري ، انهم طلبوا من موسى ان يجعل لهم الها كما للأقوام الذين مروا بهم آلهة ، ولكن موسى أبى وها هو ذا موسى قد ذهب ، فما الذى يحول بينهم وبين صنع الاله ، وأعجبته الفكرة ، فوافقوا السامري على ان يصنعوا بأيديهم الها .»

كان السامري صسائفا ماهرا ، فآخذ منهم الحلى التى استعاروها من المصريين ، وصنع لهم عجلا له خوار ، فاجتمع القوم يعبدونه ويقولون :

— هذا الهكم واله موسى نفسه .

فقال لهم هارون :

— يا قوم . انما فتنتم به ، وان ربكم الرحمن . فاتبعونى واطيعوا امرى .
قالوا :

— لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى .

ورجع موسى الى قومه غضبان أسفا ، فبلغ سمعه أصوات عزف ، فانطلق الى الصوت ، فاذا القوم يعزفون ويرقصون حول العجل - فصاح فى غضب :

— بثسما خلقتهم من بعدى ، اعجلتم امر ربكم .

والقى الألواح وقال :

— يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ؟ أنطال عليكم العهد أم أردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم ، فآخلفتم موعدى !
قالوا كاذبين :

— ما آخلفنا موعداك بملكنا ، ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم ، ففقدناها .

فتضايق موسى من هؤلاء الذين تحسرجوا من تملك حلى

المصريين التي سلبوها ، ولم يتخرجوا من عبادة العجل ،
وذهب يبحث عن هارون ، فلما وجدته أخذه برأسه يجره اليه
ويقول :

— يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعن ،
انعصيت امرى ؟

— يابن ام ، ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلوننى ،
فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين .

وجره موسى من شعره وهو يقول :
— هلا قاتلتهم اذ علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على
كفرهم ؟

— يابن ام ، لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، انى خشيت أن
تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى .

فرفع موسى وجهه الى السماء وقال :
— رب اغفر لى والاخى ، وادخلنا فى رحمتك وانت ارحم
الراحمين .

وبعث الى السامرى ، فلما جاء قال له :

— فما خطبك يا سامرى ؟

قال :

— بصرت بما لم يبصروا به ، بصرت بجبريل ، فقبضت
قبضة من أثره ، فنبذتها وطرحتها فى العجل ، فأصبح له
خوار .

— ولماذا فعلت ذلك ؟

— كذلك سولت لى نفسى .

قال :

— اذهب ، فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس . وأن

لك موعدا لن تخلفه ، وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ،
لنحرقنه ، ثم لننصفه فى اليم نسفا .
ونصف موسى العجل وقال لقومه :
— انما الهكم الله الذى لا اله الا هو ، وسسع كل شئ
علما .

وأطرق بنو اسرائيل خجلا ، فقال موسى لهم :
— يا قوم ، انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا
الى بارئكم ، فاقتلوا انفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم .
فأصبحوا وقد أخذ من لم يعبد العجل فى أيديهم السيوف ،
ثم مالوا على عابديه فقتلوه . ولما سكت عن موسى الغضب
أخذ الألواح ، وفى نسختها هدى ورحمة للذين لربهم يرهبون .
ورأى بنو اسرائيل أن يستغفروا ربهم ، فكلما موسى ،
فاختار موسى سبعين رجلا من علماء بنى اسرائيل ،
وانطلقوا ليعتذروا عن بنى اسرائيل ، واقربوا من الجبل ،
فصعد موسى يكلم ربه ، وصعد بنو اسرائيل يسمعون ،
وجعل موسى يعتذر عن عبادة العجل ، ثم رجع الى قومه ،
فقالوا له :

— لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة .
فانقضت عليهم صاعقة من السماء ، فماتوا جميعا . فقال
موسى لربه :

— رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى ، اتهلكننا بما
فعل السيئهء منا ، ان هى الا فتنتك ، تضل بها من
نشاء ، وتهدى من تشاء ، أنت ولينا ، فاغفر لنا وارحمنا
وأنت خير الغافرين .
قال :

— عذابى أصيب به من أنساء ، ورحمتى وسعت كل
شئ .
وظل موسى يناجى ربه حتى بعثهم من بعد موتهم .

— ١٧ —

أصبح القوم فاذا بشيخ مقتول ومطروح فى مجمع
الطرق ، واذا بناس ملتفون حوله يتخاصمون فيه ، كل
منهم يدعى أن الآخر قتله ، وجاء ابن أخيه يصرخ ويظلم ،
فقالوا :

— مالكم تختصمون ولا تأتون نبي الله ؟
فجاء ابن أخيه ، وشكا أمر عمه الى موسى ، فسال
موسى :

— أئشد الله رجلا عنده علم من أمر القتل إلا أعلمنا به .
فلم يقل أحد شيئا ، وحار الناس فى أمر القتل ،
فقالوا لموسى :

— يا موسى ، اسأل ربك فى هذه القضية .
وذهب موسى يناجى ربه ، ثم عاد الى قومه وقال :
— أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .
قالوا :

— اتخذنا هزوا ؟

قال :

— أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .

قالوا :

— ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟

قال :

— انه يقول انها بقرة ، لا فارض ولا بكر ، عوان بين ذلك ،
فافعلوا ما تؤمرون .

قالوا :

— ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ،

قال :

— انه يقول انها بقرة صفراء ، فاقع لونها تسر
الناظرين .

قالوا :

— ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ، ان البقر تشابه علينا ،
وإننا إن شاء الله لمهتدون .

قال :

— انه يقول انها بقرة ، لا ثلول تثير الأرض ولا تمسقى
الحرث ، مسلمة لاشية فيها .

وراحوا يبحثون حتى وجدوها ، قالوا :

— الآن جئت بالحق .

فذبحوها وهم مترددون ، ثم أمرهم ان يضربوا القتيل ببعضها ،
فلما ضربوه ببعضها أحياء الله تعالى ، فقام وهو تشخب
أوداجه ، فسأله موسى :

— من قتلك ؟

قال :

— قتلنى ابن أخى هذا الذى يصرخ ويتظلم ، قتلنى لبرث
مالى ، وسقط ميتا كما كان .

قام موسى خطيبا في بني اسرائيل ، فسئل :
— أي الناس أعلم ؟

فقال :

— أنا .

فعتب الله عليه ، وأوحى الله اليه :

— ان لي عبدا بمجمع البحرين ، هو أعلم منك .
— يا رب وكيف لي به ؟

— تأخذ معك حوتا ، فتجعله بمكمل ، فحيثما فقدت الحوت ،
فهو ثم .

فأخذ حوتا فجعله بمكمل ، ثم انطلق وانطلق معه فتاه ،
حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناما ، واضطرب
الحوت في المكمل ، فخرج منه وسقط في البحر ، فأتخذ سبيله في
البحر مربا ، واستيقظا فانطلقا حتى اذا أحسا تعباً ، قال
موسى لفتاه :

— آتينا فداعنا ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا .

فذهب فتاه ، فلم يجد الحوت ، فعاد اليه وقال :

— أرايت اذ أوينا الى الصخرة ، فأتى نسيت الحوت ،
وما أنسانية الا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله في البحر
مجباً .

فعلم موسى أن ذلك المكان هو الذي سيجد عنده الرجل
الصالح ، فقال :

— ذلك ما كنا نبيغ .

فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة ، فاذا رجل
مسجى بثوب ، فسلم عليه موسى ، فقال الرجل :

— واني مقرئك السلام .

— أنا موسى .

— موسى نبي اسرائيل ؟

— نعم ، أتيك لتعلمني مما علمت رشدا .

قال :

— انك لن تستطيع معي صبرا ، وكيف تصير على ما لم تحط

به خبرا ؟

قال :

— ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك امرا .

قال :

— فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه

ذكرا .

فانطلقا يمشيان على شاطئ البحر ، فمرت سفينة ، فركبوا
فيها ، فقصد الرجل العالم الى لوح من ألواح السفينة وقلمه ،
فقال له موسى :

— قوم حملونا بغير نول ، عمدت الى سفينته فخرقتها ،

لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئا امرا .

قال :

— ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ؟

قال :

— لا تؤاخذني بما نسيت ، ولا ترهقني من أمري

عسرا .

وجاء عصفور ، فوقف على حرف السفينة ، فنقر في البحر
نقرة ، فقال الرجل العالم :

— ما علمي وعلمك في علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور
من هذا البحر .

ثم خرجا من السفينة ، فبينما هم يمشيان على الساحل
اذ بصر الرجل بفلان يلعب مع الفيلان ، فآخذ رأسه بيده فقتله ،
فقال له موسى :

— أقتلت نفسا زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئا نكرا .
قال :

— ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ؟
قال :

— ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ، قد بلغت من
لدنئ عذرا .

فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها ، فأبوا ان
يضيفوهما ، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض ، فأقامه فقال
له موسى :

— قوم اتيناكم فلم يطمعونا ولم يضيفونا ، ولو شئت لاتخذت
عليه اجرا .
قال :

— هذا عراق بيني وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم
تستطع عليه صبرا : اما السفينة فكانت لمساكين يعملون
في البحر ، فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل
سفينة غصبا ، اذا مر بها يدعها بعييها فاذا جاوزهم
أصلحوها فانتفعوا بها . اما الفيلان فكان أبواه مؤمنين ،
فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكسرا ، فأردنا أن يبدلهما ربهما

خيرا منه زكاة واقرب رحما . واما الجدار فكان لفلانين
يتيمين فى المدينة ، وكان تحتيه كنز لهما ، وكان أبوهما
صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ، ويستخرجا كنزهما
رحمة من ربك ، وما فعلت شيئا من تلقاء نفسى ، وما فعلته
عن أمرى ، بل بأمر ربك ، ذلك تأويل ما لم تستطع عليه
صبرا .

- ١٩ -

وكان قارون من قوم موسى وكان حسن الصوت ، اذا
قرأ التوراة خشعت له القلوب ، وكان مؤمنا ، فاعطاه الله
من فضله ، وآتاه من الكنوز ما أن مفاتحه لتتوء بالعصبة
أولى القوة ، وأحب ماله ، فغفل به عن العبادة وبغى .

وفى يوم خرج فى موكب عظيم ، فى ثياب فاخرة ، تجرى
أمامه المراكب ، ويحف بموكبه الخدم والحشم ، فنظر الناس اليه
مدهوشين ، وقال الذين يريدون الحياة الدنيا :

— يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ، انه لذو حظ عظيم .

وقال الذين أوتوا العلم :

— ويلكم ! ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها
إلا الصابرون .

وجاء أناس صالحون من قومه فوجدوه عاكفا على الشراب
وتحصيل اللذات ، فقالوا له :

— لا تفرح بما أوتيت ، وتفخر على غيرك ، ان الله لا يحب
الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك

من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين .

فقال لهم قارون :

— انما اعطاني الله هذا لعلمه انى استحقه ، وانى اهل له ، ولولا انى حبيب اليه لما اعطاني هذا المال الوفير .

— ان الله ند اهلك من قبلك من هو اشد منك قوة ، واكثر جمعا .

وظل قارون يخرج على قومه في زينة يفتنهم ، وظل في لهوه وعبثه ، فراح موسى يؤنيه ، ويدموه الى انفاق ذلك المال في سبيل الله ، ولكن قارون صم اذنيه عن ان يسمع نصحه ، وضاق بذلك النصيح ، فراح يفكر في القضاء على موسى ، فاستدعى امرأة بغيًا ، واعطاها مالا ، على ان تقول لموسى وهو في مالا من الناس : انك فعلت بى كذا وكذا .

وجاءت اليه المرأة وهو قائم في قومه ، فقالت له :

— يا موسى ، لقد جئت اشكو الى الناس ما فعلته بى .

فقال لها موسى :

— وماذا فعلت بك ؟

— فعلت بى كذا وكذا .

فأرعد موسى من الفرق ، وظل في اضطرابه فترة ، ثم أقبل عليها يستحلفها ، ويسألها عما حملها على افتراء ذلك البهتان الكبير ، فقالت المرأة في ندم :

— يا موسى ، حرضنى على ذلك قارون .

فخر موسى لله ساجدا ، ثم انطلق الى قارون وقال له :

— ما حملك على هذا ؟

— يا موسى ، اما لئن كنت فضلت على بالنبوة ، فلقد

فضلت عليك بالمال ، وما انت بخير منى ، ولن شئت لتخرجن
فلتدعون على ، ولادعون عليك .
فخرج موسى من قومه ، وخرج قارون من قومه ، فقال له
موسى :

— تدعو أو اكون أول من دعا ؟

فقال قارون :

— ادعو أنا .

ووقف قارون يدعو الله أن ينزل غضبه بموسى وقومه ، فلم
يستجب الله دعاءه ، فقال موسى :

— ادعو ؟

قال :

— نعم .

فقال موسى :

— اللهم مر الأرض فلتطخ اليوم .

فخسف الله به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه
من دون الله ، وما كان من المنتصرين .

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون :

— ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ،
أولاً أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكانه لا يفلح الكافرون .



— ٢٠ —

بقى اليهود في التيه لا يفكرون في الدخول الى الأرض المقدسة ، فانها محرمة عليهم أربعين سنة ، وممرت السفون ، ومات هارون ، فحزن بنو اسرائيل عليه ، فقد كان عليهم ليئا ، ومات بعده موسى ، فمشق ذلك عليهم ، وراحوا يبيكونه ، والتفوا حول فتاه يوشع بن نون ، وما انقضت سنون التيه حتى قادهم يوشع لحرب الجبارين والدخول الى أرض فلسطين .

— ❦ —

داود

(وانكر عبدنا داود ذا الأيد أنه أواب ،
انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والأشراق ، والطير محشورة كل لله أواب .
وشددنا ملكه ، وآتيناه الحكم وفصل الخطاب)
« قرآن كريم »

- ١ -

خيمة الرب التي يعبد فيها يهوذا اله اسرائيل غارقة في
الدنس ، فالكاهن عالى اتخذ خدمة المعبد تجارة لجميع الأموال ،
ووقف أبناؤه ببابها لتحصيل اللذات ، أنهم يترصدون الفتيات
الاسرائيليات الجميلات ليضاجعهن قبل الدخول للعبادة
والاستغفار ! وان عالى ليعلم بما يأتيه أبناؤه ، فلا يزجرهم
وقد تفشست الفاحشة في بنى اسرائيل ، وصارت طابع
الجميع .

وكان يعيش في تلك الخيمة شمويل ، ذلك الغلام الهابط
من نسل النبوة ، الذي وهب حياته لعبادة الله ، فكان يدعو
بقلب طاهر ، ولولا ذلك الغلام المبارك لأنزل الله عذابه بالخيمة
الغارقة في المعاصي والمنكرات .

وفي ذات ليلة دخل شمويل لينام الى جنب الشيخ

عالي ، وفيما هو غارق في نومه ، بلغ سمعه صوت أشبه بصوت
الشيخ يدعوهُ :

— شمويل .. يا شمويل .

فهب الغلام فزعا الى الشيخ فقال :

— يا ابتاه ! دعوتني ؟

فنظر الشيخ الى الغلام في انكار ، ثم قال له :

— يا بني أرجع فقم .

فرجع شمويل غنام ، واذا بصوت الشيخ يدعوهُ :

— شمويل .. يا شمويل .

فهب الغلام فزعا الى الشيخ فقال :

— يا ابتاه ! دعوتني ؟

فقال له الشيخ وهو نائم :

— أرجع فقم ، فان دعوتك الثالثة فلا تجبني .

فرجع شمويل وما ان داعبه النوم حتى سمع صوتا أشبه
بصوت الشيخ يدعوهُ :

— شمويل ... يا شمويل قم .

فقام ونظر أمامه ماذا بجبريل يحادثه :

— اذهب الى قومك ، فبلغهم رسالة ربك ، فان الله قد

جعلك فيهم نبيا .

وظل جبريل يوحى اليه ما شاء الله ان يوحى اليه .

واصبح الصبح فقال عالي لشمويل :

— ماذا حدث البارحة ؟

فقال شمويل :

— لقد أوحى الله الي انه سينزل غضبه عليك وعلى بيتك %

جزاء لسكونك على ما يفعله أبناؤك من المنكرات .

فأطرق الشيخ مليا ثم قال :

— أتوب الى الله ، وأقرب له قربانا .

— لن يكفر عن خطاياكم شيء .

فقال حالي في استسلام :

— هو الله ، يفعل ما يشاء .

- ٢ -

صار شويل نبيا لليهود ، يدموهم الى عبادة الله ،
وهجر السيئات ، فكانوا يصفون الى دعوته ويعجبون بها ،
ولكنهم ما كانوا يعملون على اتباعها ، فقد غرتهم الدنيا ، وصاروا
عبدا للذات .

وكانت العداوة قائمة بين الفلسطينيين وبنى اسرائيل
فكانت الحرب تنشب بينهما في كل حين ، تاهب الفلسطينيون
لقتال اليهود ، واستعد بنو اسرائيل للنزال ، ودارت معركة
بين الجمعين ، فانهزم اليهود وانكسروا ، وقتل منهم خلق
كثير .

واجتمع تسيوخ اليهود يفكرون فيما ادى الى هزيمتهم
المنكرات وأخذوا يتشاورون ، فأرجعوا سبب تخلى الله عنهم
الى أنهم خرجوا للقاء أعدائهم دون أن يأخذوا معهم التسابوت
المبارك ، الذي وضعوا فيه الألواح المقدسة ، وبقيّة

مما ترك موسى وآل هارون . انهم ما حاربوا اعداءهم
ومعهم التابوت الا ايدهم الله بنصر من عنده ، فبعثوا
الرجال ليحضروه ، ليبدل خوفهم امانا ، ويقلب الهزيمة
نصرا .

وجيء بالتابوت ، فدبت الحماسة في صدور اليهود ،
فنهقوا مستبشرين ، فتجاوب الهتاف في ارجاء المكان ، وبلغ
مسمع الفلسطينيين ، فأشاع الخوف بينهم ، وزاد في
خوفهم علمهم ان اليهود قد احضروا التابوت الذي به
ينصرون .

وقام رجل بين الفلسطينيين يحسبهم ويحضرهم على
القتال ، فقال لهم :

— يا قوم ، لقد جاءكم اعداؤكم بالهزم لقتالكم ، فاذا
أصابكم الوهن ، فستهزمون وتصبحون عبيدا لليهود بعد
ان كانوا عبيدا لكم ، فحاربوا عن نسائكم وابنائكم واعراضكم .

وهجم الفلسطينيون على الأعداء هجوم الليوث ، ففر اليهود
مفزعين ، فقد كانت قلوبهم خواء ، وما كانت هتافتهم المدوية
للتابوت الا صيحات جوفاء ، أطلقتها الحناجر لذهب في الهواء .

تداعى اليهود قتلى تحت سيوف الفلسطينيين ، ونجا بجلده
من أطلق ساقية للريح ، وسقط التابوت غنيمة باردة في أيدي
الأعداء ، واستمر الهاربون في جريهم ، حتى ابتعدوا عن ميدان
الطعن والنزال .

ودخل رجل المدينة وهو ممزق الثياب ، يعلو رأسه التراب ،
وفي وجهه هلع واضطراب ، فقام الناس اليه يسألونه :
— ماذا وراءك ؟

فقال وهو يتلفت كأنما يعدو خلفه مارد جبّار :
— الهزيمة والانكسار .
فارتجت المدينة بالصياح ، وبلغت الأصوات مسامع على ،
فقال :

— ماذا جرى ؟ ماذا جرى ؟
وكان الرجل قد وصل الى على ، فقال للشيخ الجالس على
كرسيه :

— هزمنا هزيمة منكرة .

— وماذا فعل الناس ؟

— قتل منهم الآلاف .

— وأبنائي ؟

— قتلوا جميعا .

— والتابوت ؟

— اخذه الأعداء .

وبان في وجه الشيخ القهر الشديد ، وعلاه عبوس ، ومال
الى الوراء في ضيق ، فسقط عن كرسيه ، فوقع على رأسه ودقت
عنقه أمام خيمة الرب ، في نفس المكان الذي كان يضطجع فيه
أبناؤه مع فتيات إسرائيل الجميلات ، الواقفات للعبادة
والاستغفار ؟



- ٣ -

ومرت السنون ، وشمويل يدعو اليهود الى الله ، وفي ذات يوم جمعهم ، وقال لهم :

— توبوا الى الله ، واخلصوا له ، وانزعوا من عبادة البعليم والعشتاروت والآلهة الغريبة التي لا تنفعكم ولا تضركم ، واعبدوه وحده يخلصكم من اعدائكم ، وينصركم عليهم .
فقالوا له :

— تبنا الى الله وانبنا .

فأمرهم أن يصوموا ذلك اليوم ، تطهيرا لنفوسهم ، وتقربا الى الله ، ليؤيدهم بنصر من عنده ، ودارت المعارك بين بنى اسرائيل واعدائهم ، فانتصر اليهود ، لأن شمويل طهرهم من رجسهم ، وبث فيهم روح التضحية والاقدام . وأصبح شمويل شيخا ، فاجتمع اكابر بنى اسرائيل يديرون قداح الراى بينهم ، ثم ذهبوا الى نبيهم وقالوا له :

— يا شمويل ، أصبحت شيخا وقد جئناك لنبتدعوك ربك ، ليجعل علينا ملكا يحكمنا ويجمعنا حوله ، بكل شعوب الارض ، ويقودنا لنقاتل في سبيل الله .
فقال لهم شمويل :

— اننى ان ذهبت اترككم الله وهو خير راع لكم .
فقالوا له :

— يا شمويل اننا نعلم ذلك ، ولكننا نريد ملكا يلم شملنا ، ونلتف حوله .

فقال لهم شمويل ليردهم عن رأيهم :

— اتعملون ماذا يفعل الملك فيكم ؟ سيأخذ أبناءكم ليركضوا أمام مراكبه ، ويجعل لنفسه آلاف الخدم والعبيد ليحسروا أرضه ، ويحصدوا حصاده ، ويأخذ بناتكم سرارى وحظايا ، ويستولى على أجود أراضيك ليمنحها عبيده ، ويسخر عبيدكم وجواريك ليعملوا فى أرضه ، وستصبحون جميعا عبيدا له ، وستضربون إلى الله إن يخلصكم منه ، ويومها لن يسمع الله دعاءكم .

فقالوا له :

— يا شمويل ، اننا نعلم كل ذلك ، اننا نقبله . ان كل ما نبقيه أن يكون علينا ملك ، يجمع كلمتنا ، ويقودنا لقتال أعدائنا الذين أذلونا .

فقال لهم شمويل :

— هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟

فقالوا له :

— وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا .

وراح شمويل يصلى لله ويدعوه أن يجيب رغبة قومه ، وفيما هو فى دعائه أوحى الله إليه أنه سيجعل طالوت عليهم ملكا ، فخرج شمويل إلى قومه ، وقال لهم :

— يا قوم ، ان الله استجاب لدعائنا ، وسيسيعث لنا ملكا .

فقالوا له فى لهفة :

— من هو ؟

فقال شمويل فى هدوء :

— طالوت .

فانبعث من الناس أصوات استنكار ، فقد كان طالوت رجلاً فقيراً ، وقال بعضهم :

— كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟

قال شمويل :

— ان الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يعطي ملكه من يشاء ، والله واسع عليم .

وقال قائل منهم :

— وما أدراك ان الله اختار طالوت ليكون ملكا علينا ؟

فقال لهم نبيهم :

— ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت ، فيه سكينة من ربكم ، وبقيّة ما ترك آل موسى وال هارون ، تحمله الملائكة ، ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين .

وانتظر بنو اسرائيل آية الله ، واذا بهم يجدون التابوت امامهم فنرحوا وهتفوا بحياة طالوت ، الملك الجديد .

— ٤ —

جمع طالوت بنى اسرائيل حوله ، وراح يقودهم من نصر الى نصر ، وجاءه شمويل يوماً وقال له :

— ان الله يأمرك ان تذهب الى العماليق وأن تحاربهم ، فاذا انتصرت عليهم فاذبح رجالهم ونساءهم وأطفالهم وأبقارهم وجمالهم وحميرهم ، ولا تدع لهم شيئاً .

فجمع طالوت جموعه وانطلق لقتال العماليق ، فهزمهم ،
واسر أجاج ملكهم ، ودخل اليهود مدنهم ، فلما وجدوا الأبقار
والجمال والخراف تحرك فيهم طمعهم ، وعز عليهم أن يقتلوا
هذه الأنعام تنفيذا لأمر الله ، فراحوا يقتلون الأغنام الهزيلة ،
ويسوقون أمامهم العجول الحنيذة ، والأبقار الجسيمة ، والجمال
الكريمة ، والخراف السمينة .

وجاء شمويل ودخل على طالوت ، فقام طالوت اليه ،
وقال له :

— أنت رجل مبارك ، أمرتني بما أوحى الله اليك ، فخرجت
إلى العمالة وهزمتهم ، ونفذت إرادة الله .
فقال شمويل :

— ولكنك لم تنفذ أوامر الله ، أفنى أسمع رغاء الإبل ،
ورغاء الشاء .

— لقد أخذ الشعب هذه الأغنام لتذبح تقربا لله .

— أن تصدع لأوامر الله خير من أن تقترب إليه بذبيحة .

— أفنى أتوب إلى الله .

— وأجاج ملكهم ، لماذا أسرته ولم تقتله .

— وجدت أن في أسره إذلالا له .

— اقتله ، اقتله الآن .

— أفعل .

— أصبحت ملك إسرائيل يوم كنت متواضعا في نفسك ،

فما الذي غرك لتعصى أوامر الله ؟

— سألتزع إلى الله أن يغفر لي خطيئتي ، تعال ابتهل إليه

معى أن يعفو عني .

فقال شمويل :

— لا اذهب مع من عصى أوامر الرب ،
واراد شمويل أن ينصرف ، فأمسك طالوت بذيل جيبته
فتمزق .
فقال شمويل :
— يمزق الله ملكة بني إسرائيل عنك .
فقال طالوت مقبولا :
— لقد أخطأت ، والآن فأكرمني أمام شيوخ شعبي ،
وأمام إسرائيل ، وارجع معي فأسجد لله وأدعوه أن يغفر
ذنبى .
وسجد شمويل وطالوت لله يلتمسان غفرانه .

— ٥ —

دخل طالوت قصره ، فأحس انقباضا ، ان كلمات
شمويل لترن في أذنيه موحشة مخيفة : « يمزق الله ملكة
بني إسرائيل عنك » ماذا لو استجاب الله دعاء نبيه ؟ انه
كان رجلا فقيرا وان الله أكرمه حتى صار ملكا ، وانه قد الف
عيشة الملوك ، وانه ليجز في نفسه أن تزول عنه أبهة الملك
والسلطان .

وبقى طالوت قلقا حزينا ، فلما دخل عليه غلمانهم أنكروه ،
وقالوا له :

— روح عن نفسك يا مولانا .

فقال طالوت :

— ان الأفكار السود تعيث بي .

— أبعث الى رجل يحسن الضرب على العود ، يبدد من حولك هذه الكآبة .

نقال احد الفلماني :

— أعرف غلاما يرعى الغنم ، يحسن الضرب على العود .
إذا غنى أصغى الكون ، وخشعت القلوب ، أن صوته عذب لا يحاكيه صوت في الوجود .

— على بهذا الغلام ؟

فخرج العبيد يبحثون عن داود حسنى إذا عثروا عليه عادوا به الى الملك ، وراح طالوت ينظر اليه ، فارتاح الى منظره ، كان أشقر جميلا ، وكانت عيناه زرقاوين ، وكان في وجهه صفاء يمكن صفاء نفسه ، وكان قصيرا ولكنه ما كان قميئا .

وأخذ داود يضرب على العود ، وما انبعثت الأنغام حتى أحس طالوت كأنما السحر يسرى في الهواء ، وشعر بالضيق يجلو عن صدره ، وبالنشوة تمشى في أوصاله ، وارتفع صوت داود العذب الحنون بمجد الله :

يا رب ! ما أعظم أسمك في الأرض
ويا لسرعة جلالك فوق السموات
الأطفال والرضع يسبحون بحمدك
وطيور السماء تقديس لك
والقمم والنجوم صنع يمينك
يا رب . ما أجد اسمك في الأرض

وإذا بطالوت يشعر بروحه تهيم في ملكوت السماء ، أنه يحس كأنما خلق خلقا جديدا ، فالراحة تلفه ، والنشوة تسكب فيه ، والطمأنينة تغشاه .

أمر طالوت بنى إسرائيل أن يستعدوا لقتال أعدائهم ، فتأهب
اليهود للقتال ، وخرج فيمن خرج أخوة داود ، أما هو فبقى
يرعى غنم أبيه ، وقبل أن ينطلق الجيش ، قال طالوت لجنوده :

— ان الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس منى ، ومن
لم يطعمه فانه منى ، الا من اغترف غرفة بيده .

وسار الجيش حتى اذا وصلوا الى النهر ، راح الرجال
يشربون منه ، وعصوا أمر طالوت الا قليلا منهم ، فأمر طالوت
من عصوه أن يقفلوا راجعين ، لأنه لا خير فى جنود لا يطيعون
أوامر قائدهم .

وعبر طالوت والذين معه النهر ، وأصبحوا أمام جيش جالوت
حاكم الفلسطينيين ، فلما راوا جيش جالوت الجرار ، مشى
الرعب فى أوصالهم ، وقالوا :

— لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده .

فقال المؤمنون الذين يظنون أنهم ملائكة الله :

— كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع
الصابرين . وانطلق جيش طالوت حتى أصبح أمام جيش جالوت ،
فدعا المؤمنون ربهم :

— ربنا افرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على
القوم الكافرين .

بدأت المناوشات بين الجيشين ، فكان الرجال يخرجون

للرجال ، وبرز من بين صفوف الفلسطينيين ملكهم جالوت ،
وكان طويلا جدا ، فى وجهه صرامة ، يبعث منظره الرعب فى
القلوب ، ويزلزل الأرض تحت اقدام الأبطال الصناديد .

ووقف يتألق فى الشمس فى زهو ، وعلى رأسه خسوة
من نحاس تتلألأ فتنبعث منها أشعة تشيع فى صفوف بنى إسرائيل
رعبا شديدا ، وكان يخيّل لبنى إسرائيل أن درعه النحاسية حصن
منيع ، وكان فى يده رمح هائل يترجح على سفاته المنون ، وصاح
فى صوت يقصف كالرعد :

— يا طالوت لم يقتل قومى وقومك ، اخرج لقتالى أو اخرج
لى من شئت ، غلبتك كان المسلك لى ، وان تلتنى كان
الملك لك .

وساد فى ميدان القتال سكون رهيب ، ولف الخسوف
معسكر اليهود ، فما كان أحد منهم يجرؤ على أن يفكر فى
التقدم لقتال ذلك الجبار الزهيب ، وصاح طالوت فى
جنوده :

— من يخرج لقتال جالوت ؟

فلم يخرج أحد ، فما كان أحد ليرمى نفسه فى أحضان
الموت عن طواعية . وتقدم جالوت صوب صفوف اليهود ،
فتأخروا مرعوبين ، مضحك جالوت ، وجلجلت ضحكاته ،
وانبعثت الهتافات من صفوف جنوده ، وتطايرت عبارات الزرابة
والاستخفاف .

ومرت الأيام وجالوت يسبز كل يوم بين الصفوف يدعو
الرجال للقتال ، فلا يجرؤ أحد على أن يخرج له ، فحسز
ذلك فى نفس طالوت ، وأراد أن يشجع الرجال على الخروج

لقتال ذلك الطاغية الذى يسخر منهم كل يوم ، فصاح فى جنوده :

— من يقتل جالوت كرمته وزوجته ابنتى ، وجعلت بيت أبيه حرا فى اسرائيل .

فلم يفر ذلك الوعد احدا من بنى اسرائيل ، فقد كانوا على يقين من أن من يخرج لقتال جالوت سيزف الى الموت قبل أن يزف الى ابنة طالوت .

وانقضى اربعسون يوما على الحسرب وجالوت يخرج كل يوم بين الصفوف يتسابق فى الشمس فى زهو ، وعلى رأسه خوذته المتألثة التى تبعث الرعب فى قلوب بنى اسرائيل ، وفى يده رمحه الهائل الذى يترجح على سنانه المنون ، ويصيح بالرجال الصناديد أن يخرجوا لقتاله ، فلا يجرؤ احد على الخروج . كانت سخرية جالوت بهم مريرة ، تحز فى نفس ملكهم طالوت .

ترك داود غنمه ، وذهب ليرى اخوته المحاربين ، ويطمئن عليهم ، ويقدم لهم بعض الطعام ، وبلغ داود ساحة القتال فوجد الجيوش قد اصطفوا للنزال ، وقد برز جالوت بين الصفوف ، واخذ يصيح فى زراية واعتداد :

— اما من احد يريد أن يقاتلنى ؟

انكمش اليهود ، ولم يتقدم منهم احد ، فأحس داود دماؤه تثور فى عروقه ، وتتدفق حارة الى رأسه ، فما بال هؤلاء الرجال يحجمون عن قتال ذلك الرجل ، فانطلق داود من بين الصفوف كعاصفة مزمجرة ، وصاح :

— انا اناطلك .

فهرع اخوة داود اليه ، وصاحوا به :

— امجنون أنت ؟ انه جالوت .
 — ان من هو أقوى من جالوت يؤيدنى .
 — عد الى غنمك يا داود ، انك تقدم على الانتحار .
 وتقدم طالوت منه وقال له :
 — انك غلام وهو رجل حرب منذ صباه .
 — دعنى يا مولاي أقتله ، ان الله معى .
 فقال له طالوت :
 — اذهب والله يرعاك .
 والبس طالوت داود ثيابه ، وجعل خسوذة من نحاس
 على رأسه ، والبسه درعا ، وقلده سيفا ، وهسم داود
 بالسير ، ولكنه لم يقدر ، فنزعها داود عن نفسه ، وقال
 لطالوت :
 — انى اجيد استعمال المقلع ، فما صوبته الى شىء
 الا أصبته .
 وتقدم داود فلما رآه جالوت غلاما صغيرا ، نظر اليه فى
 استخفاف وقال له :
 — يا فتى ارجع ، فتى لا أريد ان أقتلك .
 فقال داود فى حزم :
 — لا ، بل أنا أقتلك .
 وساد المعسكرين هدوء ، واشرابت الأعناق ، وشخصت
 الأبصار ، وأخرج داود من جرابه حجرا ، ووضع فى المقلع
 ثم أداره وأرسل الحجر ، فأصاب به عين جالوت فسقط ، فأسرع
 داود اليه ، وقعد على صدره وحز رأسه ، فانبعثت أصوات
 الهلع من صفوف الفلسطينيين ، وانبعثت أصوات التهليل من
 صفوف بنى إسرائيل .

قتل داود جالوت ، فزلزل ذلى قلوب الفلسطينيين ، فما
دار بخلدهم أن غلاما يقدر على ملكهم الجبار العتيد ،
وبعث ذلك فى صدور بنى اسرائيل الحماسة فحشدوا على
اعدائهم الخكير ، واعملوا فيهم القتل حتى قروا من امامهم
مهزومين .

— V. —

وعاد طالوت منتصرا ، فخرج بنو اسرائيل لاستقباله ،
وراحت الاسرائيليات يرقصن ويغنين فرحات مستبشرات ،
واخذن يتسعدن ان الملك ضرب اعداءه ، وأن داود استحق
أن يتزوج ربوات ابنة الملك ، فأحس طالوت بعض الكدر ،
فما كان داود الا راعيا يرعى الغنم ، لا يليق أن يصاهر
الملك ، ونسى طالوت أنه كان سقاء قبل أن يختاره الله ملكا لبنى
اسرائيل .

كان داود متواضعا فى نفسه ، فلم يلتمس أن ينفذ الملك
وعده ، ويزوجه ابنته ، أنه ما خرج لقتال جالوت طمعا فى
ربوات ، ولكنه تقدم لقتله ارضاء لاله اسرائيل .

وعين طالوت داود قائدا لجيوشه ، فكان لا يخرج الى
غزوة الا عاد منها منتصرا ، واشتهر داود وعلا ذكره ،
أحبه الشعب حبا جما ، ورأى الملك أن يصاهره ، فبعث اليه من
قول له :

— ان الملك يوافق على أن يعطيك ابنته ميرب لو طلبتها
زوجة لك .

فقال داود فى صدق :

— ومن انا حتى اصاهر الملك ؟

وتزوجت ابنة الملك الكبرى من رجل اخر ، واستمر داود
فى غزواته ، ودخوله وخروجه امام الشعب ، فأصبح محط آمال
الاسرائيليين ، وشغفت ميكال ابنة الملك به حبا ، فأرسلت الى
أبيها من يذكر له أن ميكال ابنته تهوى داود ، ولا تطيق العيش
بعيدة عنه ، فبحث طالوت اليه الرسل يقولون له :

— ان الملك يحبك وتقدرك ، وانه يرى أن يزوجك ابنته ميكال
أظهرا الإعجاب به بك ، ومكافأة لك على الوفاء والاخلاص .

فقال داود :

— ومن انا حتى اصاهر الملك ؟

— انك قائده المظفر ، الذى يسير النصر فى ركابه ، انك
طالع السعد فى مملكته .

— اننى رجل فقير ، وليس من الهين على رجل مثلى أن
يصاهر الملوك .

— انك رجل حرب قدير ، وبمثلك توطد العرش .

واستمر الرسل فى اقناع داود بقبول الزواج من ميكال التى
تحبه ، حتى اقتنع ، وتم الزواج ففرحت ابنة الملك العاشقة ،
وزاد داود بتلك المصاهرة علوا ورفعة فى أمين بنى اسرائيل .



زاد داود علوا ورفعته في عين بني اسرائيل ، وزاد حب الشعب له ، فأحس طالوت عوامل الغيرة تتحرك في نفسه ، وأخذت الغيرة تزداد حتى فكر طالوت في قتل داود .

كانت تلك الفكرة تراوده وتستقوى عليه وتستبد به ، وفي ذات ليلة أفضى الى يوناتان ابنه وولى عهده ، انه سيقتل داود ، ليبقى على الملك في أسرته ، فداود أصبح خطرا على العرش ، ان قلوب الشعب تلقف حوله ، وأن الزمن حليفه ، فإذا ما ترك حيا فلن يحول بينه وبين الملك حائل .

كان يوناتان يحب داود حبا جما ، ويقدر موأهبه ، فهرع اليه وقال له :

— أبى يلتمس الليلة قتلك ، فاهرب من وجهه الى الخلاء ، واختبئ فإذا أسفر الصبح عن وجهه ، خرجت أنا وأبى الى قرب مخبئك وتحادثنا عنك فتسمع ما يدور بيننا من حديث .

وهرب داود من وجه طالوت ، فلما أصبح الصبح خرج طالوت وابنه وأقبلا حتى وقفا بالقرب من مخبأ داود ، وقال يوناتان :

— ليت الملك لا يخطيء في حق عبده داود ، لأن داود لم يخطيء في حقك ، انه ليقتل قصارى جهده أرضاء لك ، لقد شهر نفسه في يدك سيفاً على أعدائك ، وأنزل بهم

الهِزَائِم ، انك لا ترضى أن تريق دما بريئا . تذكر أن الرب
الذى اختارك ملكا على هذا الشعب يرقب أعمالك ، ويعرف
ما تخفيه فى صدرك .

فاطرق طالوت قليلا وقد أحسن ندما على ما سكر فيه ،
فقال :

— أقسم أن لا أمد يدي إلى داود . بأذى ما حييت .

وعاد طالوت وابنه إلى القصر يتسامران ، وخرج داود
من مكمنه وانطلق إلى الملك ، فقابلته باشا مرحبا .

وخرج داود لقتال الفلسطينيين ، فضربهم وانتصر عليهم ،
وعاد إلى بنى إسرائيل مظفرا ، فاستقبلوه استقبالا فخما رائعا ،
وبلغت مسامع طالوت هتافات الجماهير ، فتحركت الغيرة فى
صدره ، وراحت تعذبه وتضنيه .

وجلس داود يوما إلى الملك يشجيه بصوته الحنون ،
وكان الملك مطرقا وفى يده رمح ، لم يكن يصفى إلى الصوت
العجيب الذى ينفث السحر ، بل كان يصفى إلى شيطانته
الذى كان يوسوس له أن يقتل من سلبه حب شعبه ، ورفع
الرمح وطعن داود ، ولكنه أخطأه ، فنهض داود وفر من
وجهه .

هرب داود إلى بيته ، وذهب إلى ميكال ، بقص عليها
خبره ، فقالت له ميكال :

— اننى أعرف أبى ، أهرب بنفسك الليلة ، لأنه سيبحث
فى أثرك من يقاتلك .

وهم داود بالخروج ، فقالت له ميكال :

— لا تخرج من الباب ، أن عبيد أبى يرصدونك ، ويرقبون
خروجك ليقتلوك ، تعال .

وساعدته على الخروج من كوة في الحائط ، فانطلق هاريا من الموت الذي ينتظره عند الباب .
ووضعت ميكال في فراش داود تمثالا ، وغطته بغطائه ،
لتخدع الرجال الواقفين بالباب يتجسسون . وارسلت الشمس
اشعتها الاولى ، فسمعت ميكال طرقا على الباب فذهبت لتحدث
عبيد ابوها ، فلما انفرج الباب قالت للرسل الذين ارسلهم
الملك :

— ماذا تبغون ؟

— ان مولانا يطلب داود .

فقالت ميكال في هدوء :

— ان زوجي مريض .

وعاد الرسل الى الملك ، فامرهم ان ياتوا اليه بـداود في
فراشه ، وقلل الرسل عائدين ، وما دخلوا حجرة داود حتى
وجدوا التمثال في استقبالهم .

واشتد غضب طالوت ، وصاح بابنته :

— لماذا اطلقت عدوي حتى تم من يدي .

فانبرت الزوجة المحببة تدافع عن زوجها ، ولكن ذلك
الدفاع لم يذهب بغضب الملك ، فبعث رسله ينقبون عن
داود .

وجاء اليه رسله يخبرونه بمكانه ، فخرج اليه في
جنوده ، وما ان وصل الى حيث كان حتى وجده والنبي
شمويل يصليان لله في خشوع ، ويشع من المكان نور الهي
عجيب ، وتطوّف به نفحات ربانية تغمر بالايان القلوب ، فانقشع
الحقد عن صدره ، وهبت عليه نسائم الرحمة ، وتذكر ما فعله
الله له ، وانه اكرمه وجعله ملكا على شعبه ، فخلع ثيابه ، وذهب
يصلي لله ، يدعو في ذلة وانكسار .

قابل داود يونانان وقال :
— ماذا جئيت حتى يلتبس أبوك قتلى ؟
فقال له يونانان :
— سابعك الله ، ان أبى قد عفا عنك .
— اننى احس الشر يحيط بى من كل مكان .
— ان أبى لا يفعل شيئاً الا أخبرنى به ، فلو كان ينوى قتلك
حدثنى عن ذلك .
— لقد علم أبوك حبك لى ، فأخفى عنك عزمه .
فأطرق يونانان قليلاً ثم قال :
— وماذا ترى ؟
— ان غدا أول الشهر ، وان على أن أشارك الملك فى
مجلسه فى الوليمة التى يعدها كل شهر ، ولكننى أرى أن
أتخلف من هذه الوليمة ، فإذا سأل أبوك عنى ، فقل له : ان
داود استأذنتنى فى الذهاب الى بيت لحم ، ليقدم قرباناً الى
الرب ، فإذا قال الملك : « حسناً » ، كان ذلك دليل الرضا
والسلام ، أما اذا غضب وثرر كان ذلك آية على ما يضمّر لى
من شر .
واتفقا على أن يختبئ داود حتى يكشف يونانان خبيثة نفس
أبيه ، ويخبره بما يضمّر له . قال داود لصديقه :

— أخشى إذا جئت الى أن يبعث المسلك رجاله في أترك
يعقبونك ليهتدوا الى مكانك .
فقال يونانان وهو يفكر :
— فماذا نفعل ؟

فقال داود وهو يضغط على يد صديقه في ولاء : والله
لا أدري .
فقال يونانان :

— أخرج مع غلام من غلماني فإذا كان الملك راضيا عنك ،
فسأرمي سهامي وأمر الغلام أن يلتقط السهام القريبة منه .
أما إذا كان الملك حاقدا عليك ، فأمر غلامي أن يلتقط السهام
التي تجاوزته .

وانطلق داود يختبئ ، وذهب يونانان الى القصر ، ووافى
ميعاد الوليمة ، فجلس الملك في صدرها ، وجلس كل في مكانه ،
وبقى متعده داود خاليا ، ومرت اليوم الأول ، ولم يقل الملك شيئا ،
وجاء اليوم الثاني ، وجلس كل في مكانه ، وبقي مقعد داود خاليا ،
فقال الملك :

— أين داود ؟ غاب اليوم ، وغاب الأمس .

فقال يونانان :

— التمس داود مني أن أسمح له بالذهاب الى بيت لحم ،
ليقدم الى الرب قربانا . وسألني أن يذهب ليرى اخوته ،
فأذنت له .

مغضب طالوت غضبا شديدا ، وصاح بآبائه :

— يا أحمق ، ألا ترى أنه ما دام داود يمشي على وجهه
الأرض ، فلن تتربع يوما على عرشك ؟ ! أبعث من يأتي به ،
الأقنطه .

— كيف تقتله ولم يفعل ما يوجب القتل ؟ حرام أن تهدر
دماء بريئا .

— اقنى أقتله من أجلك .

— لا أرضى أن تسفك الدماء باسمى .

— عزيز على أن أرى الملك يفلت من بين أصابعك ، وأنا
أنظر لا أفعل شيئا .

— أين ذهبت حكمتك . . أنسيت أن الله يعطى الملك من
يشاء ؟

— أن حكمتى تهيب بى أن أقتله ، إذا تربع على العرش ،
فلن يتركك تمشى فى الأرض يوما ، سيقتلك ويقتل أسرتك جميعا ،
فما كان لملك جديد أن يترك أحدا دون ذبح من أسرة من سبقه ،
أننى سأقتله لأحييكم جميعا .

فقال يونان وهو يغادر المكان :

— لن أسمح بذلك ما دام فى عرق ينبض .

وانقضت الليلة ، وبزغت الشمس تريق ضياعها على الكون ،
وخوج يونان و غلام صغير يحمل قوسه وسهامه ، وما أن
بلغ مكان اختفاء داود حتى تناول القوس ، ووضع فيه السهام ،
وأطلقها بعيدا ، وصاح بغلامه :

— التقط السهام التى تجاوزتك ، أسرع ، اركض ، لا تقف .
وفهمها داود ، فخرج على حذر ، وانطلق وهو يترقب ، فالملك
حاقد عليه يريد اغتياله ، لقد أصبح طريد القانون ، فراح يحدث
الخطا هاربا بحياته .



اصبح داود طريد القانون ، انه عرضة للقبض عليه في
أية لحظة ، وتنفيذ القتل فيه ، وان من يسدى له صداقته
يعرض نفسه للمهالك ، واستقر في مزاره حتى وصل الى نوب
مدينة الكهان ، ودخل على أخيك الكاهن ، فاضطرب الكاهن
لما رأى داود قد دخل عليه وحيدا ، فما اعتاد أن يراه الا في
جنده وابته ، وأوجس خيفة ، فقال له في ريب :

— لماذا أنت وحدك ؟

فقال داود في همس كأنما يفيض الى الكاهن بسر :

— أمرني الملك أمرا وأوصاني ألا أعلم به أحد ، لذلك خرجت
وحدي ، حتى لا يقطن أحد الى خروجي .

وتلفت داود ثم قال :

— يمكنك أن تمدني بطعام ؟

— ليس عندي الا الخبز المقدس .

وقدم له من الخبز الموضوع على مذبح يهوذا ، فلما تناول
الخبز قال :

— يمكنك أن تمدني بسلاح ، لأنني خرجت على عجل

دون سيف أو رمح ؟

فقال كاهن نوب :

— ليس عندي الا سيف جالوت الذي قتله ، فان رأيت
أن تأخذه فخذ .

فقال داود :

— على به ، انه سيف بتار .

وخرج داود لينضم الى اهله ، وما نرى ان احد خدم
طالوت كان في المعبد يسترق السمع ، ويعبد عليه حركاته
وسكناته .

وانضم الى داود اهله ورجاله والساخطون الثائرون على
الحكم ، وراح الرجال يتقاطرون عليه حتى اشستد ساعده ،
واحتفى بالجبال ، فلما بلغ طالوت خروج الرجال الى غريمه ،
وقف في رجاله وقال لهم :

— ما لقلوبكم قد تغيرت على ، وما بالكم تخفون عني ان
ابنى قد تعاهد مع داود ، ما بال افئدتكم قد تحجرت ، ايمفحكم
داود جميعا حقولا وكروما ، وينصبكم رؤساء على الجند ؟ ! ماذا
فعل لكم داود حتى اصبحت قلوبكم معه .

فتقدم الخادم الذي رآه في المعبد ، وقال في هدوء :

— رأيت داود في نوب يتحدث مع أخيك ، وقد أعطاه الكاهن
مئونة وسيفه جالوت .

فبعث الملك من يحضر له أخيك وجميع أهل بيته ، فلما
مثلوا أمامه ، قال الملك للكاهن في غضب :

— ما الذي جعلك تتآمر على ، وتتحالف مع عدوى ؟

— حاشاي ان أفعل ذلك يا مولاي .

— منحت داود طعاما ، وأعطيتنه سيفا ، ونفحتنه
ببركتك .

— من من رعاياك أكثر إخلاصا لك من داود ؟ انه زوج
ابنتك .

.. انه عدوى .

— ما كنت أعرف يا مولاي شيئا من ذلك .
ولم يصغ طالوت اليه ، وقال في غضب :
— فلتمت أنت وأهل بيتك .
وصاح طالوت في خدمه :
— اقتلوا هؤلاء الذين تأمروا على الملك مع داود .
وقف الخدم مشدوهين ، فما كانوا يظنون أن يأمر طالوت بقتل
رهبان الرب ، وفطن طالوت الى ترددهم ، فصاح بهم :
— اقتلوهم .
ولكن أحدا من الخدم لم يتقدم ، فصاح في الخادم الذي
أقشى سر داود :
— اقتلهم أنت .
وتقدم الرجل يقتل اخیالك وأهل بيته ، ولم يشف ذلك
الدم المسفوك غليل الملك ، فبعث جنوده الى نوب مدينة الرهبان ،
فيضربوا أهلها بالسيف ، فسقط الرجال والنساء والأطفال
صرعى ، ولم ينج إلا غلام انطلق يخبر داود بما حل بنوب : مدينة
الرهبان .

— ١١ —

وتراعى الى داود أن الفلسطينيين قد أغاروا على قعيلة ،
الواقعة على الحدود بين أراضي إسرائيل والفلسطينيين ،
فقال لرجاله أن يتأهبوا للخروج لقتال الفلسطينيين ، فقال له
رجاله :
— أننا هنا خائفون نترقب ، نخشى أن يهبط علينا طالوت

وجنوده ، فكيف تريد أن نذهب الى قتال الجبارين ؟

فقال داود لرجاله :

— سنخرج للقتال ، وسننتصر على اعداء اسرائيل .

فقال الرجال في اضطراب :

— كيف نغادر الحصون لنذهب الى مدينة لها ابواب واسرار ؟

— اوحى الى اننا منتصرون .

وخرج داود وضرب اعداءه ، وساق امامه الغنائم والاسلاب ، وبلغ طالوت أن داود ورجاله الثائرين قد دخلوا قعيلة ، فأيقن أنهم قد وقعوا في يده ، فما أسر أن يحاصرهم في مدينة ذات اسوار وابواب ، ولكنه ما أن بلغ المدينة حتى ألقى داود ورجاله قد خرجوا منها هاربين .

واحتفى داود في الغاب ، واذا برجل غريب قادم ، فامتدت الأعناق ، وشخصت الأبصار ، واذا بصالح يصيح .
— انه يونانان .

فهرع داود للقاء صديقه الحميم ، وتعانق الصديقان ، وقال يونانان :

— لا تخف ، ان يد أبى لن تصل اليك ، وستصبح ملك اسرائيل ، وسأصبح خليفتك .

وتعاهد الصديقان أمام يهوذا أن يخلص كل منهما لأخيه ، ثم قفل يونانان عائدا الى القصر ، وبقي داود هائما في الغاب .
كان داود ورجاله يسكنون الكهوف ، وفي ذات يوم خرج طالوت في ثلاثة آلاف رجل يطلب داود ، واستمر في تنقيبه حتى بلغ الكهوف ، وأحس التعب بمشي في أوصاله ، فدخل الى كهف وتام .

كان داود ورجاله فى ذلك الكهف ، فلما راوا طالوت نائما
قالوا لداود :

— هذا هو طالوت قد ساقه الله اليك ، قم فاقتله .

فقال داود فى اخلاص :

— حاش ان اقتل رجلا اختاره الله ملكا لبني اسرائيل .

وهم الرجال بالانتفاض على ملكهم ، فقال لهم زاجرا :

— حذار ان يمسسه احدكم بسوء .

وسار داود على حذر حتى اقترب من طالوت الغارق فى
سباته ، قطع طرف جبنه ، ثم عاد الى مكانه ينتظر استيقاظ
الملك .

قام طالوت من رقادته ، و انطلق صوب باب الكهف ، وما ان
خرج منه ، حتى مس اذنيه صوت يناديه :

— مولاي ! مولاي .

فقال طالوت فى عجب :

— هذا صوت داود . انت داود ؟

— انا داود عبدك المخلص ، لماذا تلقى السمع يا مولاي الى
من يوسوسون لك اننى ابغى ان امد لك يد الاذى ، ان الشر
يا مولاي لا يصدر الا عن الاشرار ، اننى لا احمل لك الا الحب
والاخلاص ، لو كنت اريد بك شرا ، فقد كنت اليوم تحت
رحمتي ، فما كان ايسر ان اقتلك ، ولكنى ما كنت امد يدى الى
من اختاره الله ملكا علينا . انظر يا سيدى الى طرف جبتك ،
قطعته الانك على ولائى ، كانت روحك تتارجح على طسرف
سيفى ، فوهبتها لك ، وانت تقطع القنار ، وتتجشم المتاعب
لتسلبنى روحى وما اسأت اليك . انى اتركك لله يحكم بيننا وهو
خير الحاكمين .

فانهمرت دموع طالوت وقال :

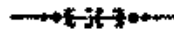
— أنت أبر منى يا داود ، ظفرت بى وعفوت ، قابلت الاساءة
بـالاحسان . يا للروح الخبيثة التى حلت بى ، كانت تهتف بى
ان اقتل داود ، ولكن ماذا فعل داود ؟

اننى اسأت اليك يا ولدى ، وان الغضب اعمانى حتى قتلت
رهبان الرب دون ذنب ارتكبه . سأبتل الى الله ، وادعوه
عله ان يغفر لى ذنبى .

ووقع فى طلب طالوت التوبة ، وندم واقبل على البكاء وكان
كل ليلة يخرج يبكى وينادى :

— انشد الله عبدا علم ان لى توبة الا اخبرنى بها .
فقال له قائل :

— هل تدري ما مثلك ، انما مثلك مثل ملك نزل قرية
عشاء ، فصاح الديك لتطير منه ، فقال : لا تتركوا فى القرية
ديكا الا ذبحتموه ، فلما اراد ان ينام ، قال : اذا صاح الديك
نايقظونا حتى نخرج ، فقالوا له : وهل تركت ديكا يسمع صوته ،
وانت هل تركت عالما فى الارض تساله هل لك من توبة ؟
فازداد حزنه ، وانطلق يسح دموع الندم .



وخرجت جحافل الفلسطينيين لقتال اسرائيل ، وتأهب
طالوت وجنوده للحرب ، ودارت المعركة رهبة قاسية ،
طالوت يقاتل في حرارة ، ليكفر عن نفيه ، انه كان متأهبا
بوجود بدمه ، لعل الله يغفر له دماء الرهبان الزكية ، التي
سالت كالأنهار في نوب .

واقضعت قلوب بنى اسرائيل امام هجوم الفلسطينيين
الرهيب ، فولوا مدبرين ، وثبت طالوت وأبناؤه للقتال ، وراح
يوناثان يحارب في قوة ويأس ، يذب عن أبيه .

سقط يوناثان صريعا ، فأحس طالوت كأن خناجر تمزق
فؤاده ، وسقط أبناؤه حوله يخطبون في دماهم ، قراح يئن
كوحش جريح ، وأصابه سهم في عنقه ، فسأل دمه غزيرا ،
فالتفت الى حامل سيفه وقال له :

— اسئل سيفك وأطعنني به ، فإنه أكرم لى أن أموت بسيفك
من أن أموت بسيفك هؤلاء الأوغاد .

فقال له الرجل وقد اتسعت عيناه رعبا :

— مولاي ، حاشاى أن أفعل ما يؤذيك .

فصاح به طالوت :

— اضرب .

فقال الرجل في مزع :

— لا أستطيع .

فأخذ طالوت منه السيف ، وثبته في الأرض ، وجعل

طرفه المذنب مى قلبه ، ثملقى بنفسه عليه ، غلظ نفسه
الآخر ، وراى حامل السيف ما حل بمولاه ، فألقى نفسه على
سيفه ، فسقط الى جواره . يشاركه الممات .

وجاء الفلسطينيون . يبسلبون القتلى . ، فوجدوا طلالت
صريعا . ، فحزوا رأسه ، ونزعوا سلاحه ، وراحوا يطوفون
بالرأس فى الاسواق ، وهم يتصايحون فرحا ، وفى ذلك
الوقت كان رجل من الاسرائيليين يفر مذعورا كأنما يقتفى اثره
الشياطين .

أقبل الرجل وقد ثقب ثيابه ، يحشو التراب على رأسه ،
فهرع داود اليه وقال له :

— من اين انت ؟

— هربت من عسكر اسرائيل .

— كيف خلفتهم ؟

— فر الناس من المعركة مهزومين ، وقد سقط الرجال قتلى ،
وصرع طلالت وابنه يوناتان .

وشعر داود بالحزن يعتصره ، وفاضت فى نفسه مشاعر
الحب للملك الراحل ، وليوناتان الصديق ، فراح يندبهما فى صوت
حزين :

مجدك يا اسرائيل صريع على شوامحك .

كيف سقط الجبابرة !

لا تذكروا هذا النبا فى جت .

ولا تذيعوه فى شوارع أشقلون .

لئلا تفرح الفلسطينيات .

لئلا تشمت بنات الأجلاف .

يا جبال جبلوع .

لا تدعى الظل ولا المطر تتساقط عليك .
 ولا المراعى تنبت على سفوحك .
 لأن هناك القى مجن الجبابرة .
 مجن طالوت دون أن يمسح بالدهن المقدس .
 ان الحبيبين طالوت ويوناثان لم يفترقا فى حياتهما .
 وما هو ذا الموت يجمع بينهما .
 كأننا أخف من النسور ، وأشد من الليوث .
 يا بنات اسرائيل ابكين على طالوت بالدمع الهتون .
 طالوت الذى دثركن فى الديباج .
 وجعلكن ترفلن فى ثياب موشاة بالذهب .
 كيف سقط الجبابرة فى وسط المعمة .
 يا يوناثان ، ي من قتلت مل .
 أن حزنى عميق عليك يا يوناثان .
 كنت لى حبيبا .
 وكان حبك لى عجيبا ؛
 يفوق حب النساء .
 كيف سقط الجبابرة .
 وتكسرت أدوات القتال ١ ٤

— ١٣ —

العسنون تمر ، وداود فى عاصمة ملكه حبرون يحكم
 عشيرته ، وابن طالوت على بنى اسرائيل ، وفى ذات يوم جاء
 الناعى ينهى إليه ابن طالوت ، فعلم داود أن موعد تنصيبه ملكا
 على اسرائيل كلها قد حان .

وجاء اكابر بنى اسرائيل اليه يدعونه ، ليكون ملكا على كل الارض ، ونودى به على اسرائيل ، ولما كانت حبرون لا نصح لتكون عاصمة للمملكة كلها ، خرج داود وزوجاته ورجاله وجنوده وانطلقوا الى حصن اورشليم .

واوحى الله اليه :

— يا داود ، انا جعلتك خليفة فى الارض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ، بما نسوا يوم الحساب .

وقسم داود الدهر ثلاثة ايام ، يوما يقضى فيه بين الناس . ويوما يخلو فيه لميادة ربه ، ويوما يخلو فيه لنسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وفى ذات يوم خلا بنفسه يتعبد ، فراح بقرا الصحف الاولى فوجد فيها فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب . فرفع وجهه الى السماء وقال :

— يارب ارى الخبر كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى ، فأعطنى مثل ما أعطيتهم ، وأعمل بى مثل ما فعلت بهم :

— ان آباءك ابتلوا ببلايا لم تبطل بها ، ابتلى ابراهيم بذبح ابنه ، وابتلى اسحاق بدهاب بصره ، وابتلى يعقوب بحزنه على ابنه يوسف ، وانك لم تبطل من ذلك بشيء .

فقال داود فى ابتهاال :

— يا رب ابتلنى بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطنى مثل ما أعطيتهم .

واستأنف داود حياته ، وخرج يوما الى سطح القصر . فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها ، فرأى امرأة من أجمل النساء خلقا ، فحانت منها الفتاة ، فأبصرته ، فألقته

شعرها فاستترت به ، فزاده ذلك فيها رغبة ، وشغل داود بها ،
وسأل عنها ، فعلم أنها زوجة أوريا الحثي ، وهو قائد من
قواده ، وراحت صورة المرأة الفتاة تلح على مخيلته ، وهو
يحاول أن يطردها ، وأخذ يشغل نفسه بالعبادة ، ولكن هيهات
أنه يفارق في يحسر لحي من التصورات التي تدور حول المرأة
الجميلة التي انطبعت في حسه .

وتوافدت الأفكار إلى رأسه متدفقة ملامحة ، وهمس في
نفسه هامس : لو قتل ذلك القائد في معركة من المعارك ،
لأصبحت المرأة له . واستولت عليه تلك الفكرة ، واستبدت به ،
فبعث إلى صاحب الأسلحة التي يعمل بها أوريا ، وأمره أن
يبعثه لقتال عدو شديد البأس .

خرج أوريا للحرب ، ودار القتال ، واشتدت وطأته ،
وحمل وطيسه ، وانجلت المعركة عن انتصار أوريا ، وعودته
متصورا ، فبعث داود إلى صاحب الأسلحة أن ابعثه إلى عدو
آخر أشد بأسا ، فخرج أوريا للحرب وما هي إلا أيام حتى عاد
منتصرا ، فكتب داود إلى صاحب الأسلحة أن ابعثه ليفتح حصنا
من حصون الأعداء ، فذهب أوريا إلى الحصن المتيقن وعند
أسواره سقط مقتولا .

بلغ داود نبأ مصرع أوريا ، فأخذ زوجته التي فتنته وتزوجها ،
ليعيد إلى نفسه الهدوء والاطمئنان !

عادت الطمأنينة الى داود بعد ان اكمل زواجه مئة ، وعادت حياته الى ما كانت عليه ، ولكن ذلك الهدوء لم يدم طويلا ، ففي يوم عبادته دخل الى محرابه بمجد الله بصوته الذى تخشع له الامثدة والطيور والوحوش فى الغاب وجاء رجلان يلتمسان مقابلته . فقال لهما الحراس :

— انه لا يستطيع ان يقابلكما اليوم ، لانه فى يوم عبادته .
فاتطلق الرجلان الى السور وتسلقاه ، ودخلا على داود وهو غارق فى عبادته ، فما شعر الا وهما جالسان بين يديه ، مخافتا منهما ، فقالا له :

— لا تخف ، نحن خصمان بقى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق .

قال لهما وقد افرخ روعه :

— قصا على قصتكما .

فقال احدهما :

— ان هذا اخى ، له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة ، فهو يريد ان ياخذ نعجتى فيكمل بها نعاجه مائة .
فقال داود للآخر :

— ما تقول ؟

— ان لى تسعا وتسعين نعجة ، ولاخى هذا نعجة واحدة ،
فاننا اريد آخذها منه ، مأكمل بها نعاجى مائة .
— وهو كاره ؟ ..

— وهو كاره .
 — اذا لا ندعك وذاك .
 — ما انت على ذلك بقادر .
 — فان ذهبت تروم ذلك ، ضربنا منك هذا وهذا .
 وأشار الى طرف الأنف والجبهة ، فقال الرجل :
 — يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا ، فان لك
 تسعا وتسعين امرأة ، ولم يكن الأوريا الا امرأة واحدة ، فلم
 تزل به تعرضه للقتل حتى قتل ، وتزوجت امراته .
 فنظر داود فلم ير شيئا ، فعرف انهما ملكان أرسلنا ليقهماه
 ما قد وقع فيه وما ابتلى به ، فخر ساجدا يبكى وينتحب ، ويقول
 فى حزن .
 — زل داود زلة هي أبعد مما بين المشرق والمغرب ، رب ان
 لم ترحم ضعف داود ، وتغفر له ذنبه ، جعلت ذنبه حديثا فى
 الخلائق من بعده .

— ١٥ —

اشتد حزن داود ، وشغفه الأسى ، وراح ضميمه يعذبه
 ويضنيه ، وفرائصه ترتعد رهبة من خشية الله ، فكان يخلو
 بنفسه فى محرابه ، ويخر ساجدا لله ، يدعو ويبتهل اليه
 أن يرحم ضعفه ، وأخذ ينادى ربه وقد زلزلت نفسه :
 سبحان الملك الأعظم الذى يبتلى الخلائق بما يشاء
 سبحان خالق النور ، سبحان الحائل بين القلوب
 الهى ! خلعت بينى وبين نفسى ، فزلت بى قدمى .

الهي ! تبكى الثكلى على فلذة كبدها اذا فقدته ،
ويبكي داود على خطيئته .

سبحان خالق النور ، يغسل الثوب فيذهب درنه
أما خطيئتي فلاصقة بى ، لا تذهب عنى .

الهي ! الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا
الخطيئ !

الهي ! بأى عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر
الظالمون من طرف خفى .

الهي ! كانت نجوم السماء تؤنسنى ، وها هى ذى
خطيئتى تكتنفنى .

الهي ! أنا الذى لا أطيق ومدك ، فكيف أطيق وعيدك !
الهي ! الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصاب .

الهي ! رق القلب وجمدت العينان من خشية اللقاء .
سبحان خالق النور ! اللهم برحمتك أغفر لى ذنوبى

ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى ، فانك أرحم الراحمين .
الهي ! انى أعوذ بك ، وبنور وجهك الكريم من ذنوبى

التي أوبقتنى .

الهي ! فررت اليك من ذنوبى ، واعترفت بخطيئتى ،

فلا تجعلنى من القانطين ، ولا تخزنى يوم يبعثون .

وظل داود يبكى خطيئته ، ويدعو الله أن يغفر له ذنبه ،

ويتوب عليه ، وكان لا يرفع رأسه إلى السماء حياء ! وكان الناس

يعودونه فيظنون أنه مريض ، وما به الا الحياء والخوف .

ومرت الأيام والليالى وهو فى مسجوده ، لا يرقا له

دمع . وفى ليلة هادئة نام الناس ، وبقي داود وحده يناجى
ربه .

— يا رب ، قرح الجبين ، وجمدت العين ، داود لم يرجع
اليه فى خطيئته شيء .

ونحب نوبة شقت سكون الليل ، فأوحى الله اليه :

— يا داود ارفع رأسك ، فقد غفر الله لك .

— ١٦ —

ورزق داود بسليمان من بتشيع ، زوجة أوريا ، ومريت
السنوات وداود يغزو أمداءه ، ويتزل بهم الهزائم القاصمة ،
وكبر داود وشاخ ، كان يجلس للناس يحكم بينهم ، وفى ذات
يوم جاء رجلان يختصمان ، قال أحدهما :

— ان غنم هذا الرجل دخلت حقلى ، أكلت ما فيه من
الزرع .

وسأل داود صاحب الغنم :

— هل فعلت غنمك هذا ؟

— نعم .

قال داود :

— يأخذ صاحب الحقل هذه الغنم ، مقابل زرعه الذى

فسد .

وكان سليمان حاضرا ، وكان غلاما فى الثانية عشرة من

عمره ، فقال :

— غير هذا يا نبي الله .

فالتفت داود الى ابنه وقال له :

— ماذا ترى يا سليمان ؟

— ياخذ صاحب الغنم الحقل ليصلحه ، وياخذ صاحب الحقل الغنم ، لينتفع بلبنها ونتاجها ، حتى اذا عاد الحقل كما كان ، اخذ صاحب الحقل حقله ، واخذ صاحب الغنم غنمه .

وتهللت اسارير داود لحكمة ابنه ، وقضى بما قاله ، ولما انفض مجلسه ، ودخل الى اهله ، واقبلت بتشيع اليه ، أخبرها أنه سينصب ابنها سليمان ملكا من بعده .

وفكر ادونيا بن داود في أنه وارث العرش بعد أبيه ، فجهز عجلات وفرسانا ورجالا يجرون أمامه ، ورأى أن أباه قد شاع ، ولم يعد يصلح للملك ، فمزم على أن ينادى بنفسه ملكا على اسرائيل ، فأعد وليمة فاخرة ، دعا إليها جميع اخوته ما عدا سليمان ودعا خدام الملك ، ليبياعوه بالملك في ذلك الحفل .

ودخل حكيم من حكماء القصر على بتشيع أم سليمان ، وقال لها :

— أما بلغك ما فعله اليوم ادونيا ؟

فالتفت في لهفة :

— ماذا فعل ؟

— دعا اخوته الى وليمة ، لينصب نفسه ملكا على اسرائيل ،

دون أن يعلم داود .

— فماذا افعل الآن .

— ادخلى الى داود ، وقولى له : اما وعدتني ان يكون سليمان ملكا من بعدك ؟ فما الذى جعل ادونيا يطلب الملك لنفسه ؟
وقيما انت تحادثين الملك ادخل انا لاشد ازرك .

ودخلت بتشيع على داود ، وقالت له :

— وعدتني ان يخلفك ابنى سليمان على عرشك ، ولكن
ها هو ذا ادونيا يذبح الذبائح ، ويهد الموائد ويدعو جميع اخوته
ليبياعوه بالملك دون علمك ، فماذا انت فاعل ، ان بنى اسرائيل
يتطلعون اليك .

ودخل حكيم القصر وقال :

— انت امرت ان يكون ادونيا ملكا من بعدك ؟

— ادع لى الكاهن ، وادع لى رجالى .

ودخل الكاهن ورجال داود المخلصون ، فقال لهم داود :

— اركبوا سليمان على بغلتى ، وانفضوا فى الأبواق
واهتفوا :

يحيا الملك سليمان . لقد نصبته ملكا على يهوذا
واسرائيل .

وركب سليمان بغلة داود ، ونفخ فى الأبواق ، فجاء الناس
من كل فج عميق يهتفون بحياة الملك الجديد .

وصكت الهتافات آذان من دعاهم ادونيا الى الوليمة
التي جهزها لينادى بنفسه ملكا على اسرائيل ، فارتعدت
فرائصهم ، وانتشر الخوف فى أجوافهم ، ففرقوا ذعرا ،
ودبت الرهبة فى قلب ادونيا ، وخشى ان يفتك سليمان به ،
ففر الى المعبد ولاذ به ، وقال : لن أبرح حتى يأتينى الأمان
من أخى .

وأمنه سليمان ، فوفد عليه يعرض ولاءه .
وصعد سليمان إلى عرش أبيه ، وترجع في دست الملك ،
فخر داود ساجدا في فراشه وقال :

— لك الحمد يا رب على ما أوليتني من نعم ، الهى اغفر
لى عجزى لأن بيانى قد قصر عن أن يفصح عما يجيش به صدرى .
لك الحمد يا رب ، اذ وهبت لى اليوم من يجلس على عرشى ،
وعيناي تبصران .



سليمان و بلقيس

- ١ -

الناس يتنفسون في حذر ، ويتلفتون في ذعر ، ويتهايمسون في خوف ، هجرت الطمأنينة سبأ بعد أن سادها الطغيان ، ونزل بها الرعب والفزع . ان زلة لسان ، أو إشارة امتعاض ، أو غمغمة استياء ، كافية لاطاحة رعوس ، فالدى استلب الملك من ملكهم طاغية قد قلبه من الصخر . كان قاسيا لا يعرف الرحمة ، فأذاق الشعب صنوف العذاب ، وسقاه الذل ، وجرعه الهوان ، انه يلغ في الدماء ولوغا ، وتستريح نفسه لأنات الألم ، وتأوهات الشقاء .

خيم على سبأ محائب داكنة من الذل والخنوع ، وأحسست بلقيس ما يقاسي الناس من كرب بعد موت أبيها ، فتألمت ، وزاد أساها على مر الأيام ، فانتقلت حقدا على الطاغية الغشوم . فما كان الشعب الودييع يستحق كل ذلك الاضطهاد .

أطرقت مهمومة تفكر غيما تعلو لذلك الشعب الذي رماه سوء حظه بحاكم مستبد ظالم لا يطاق ، فالتهمت في رأسها فكرة ، فبيتعت العزم على انقاذها ، لعلها تريح الناس من ذلك الطاغية الجائر ، وتعيد الى القلوب الطمأنينة ، وإلى سبأ العظيمة الأمن والاستقرار .

تزينت وأرخت شعرها السيط الناعم الأسود ، فتهسل
رائعا ، وتحلت بأفخر اللآلىء وأكرم الأحجار ، وأبرزت الفتنة ،
فكانت آية من آيات الحسن والجمال ، وانعلقت الى قصر
الطاغية تسبى العقول ، وتلعب بالأفئدة ، وتأخذ بالآلباب .

ودخلت على الملك فلان القلب القاسى ، فحقق خفقات ،
والتمعت العينان ببريق غريب ، ورنا اليها فى حنان ، وانفجرت
شفتاه من أبسامة فضحت سر الفؤاد . ودنت منه ، فأجلسها
الى جواره ، وأقبل عليها يحدثها فى اشتياق ، فحدثته فى
لين ، ونظرت اليه فى دلال ، فهفت نفسه اليها ، وما قامت
عنه حتى كان أسير العينين المتكسرتين فى اغراء ، والروح
النهافة ، والقدر الحلو المياس .

وترادفت زياراتها للملك ، فهام بها حبا ، كان اذا خلا
بنفسه يشاغله طيفها ، فتلوح له فى جاذبيتها وفنتتها ، فيحقق
قلبه ، ويطلق ليستعيد حديثها ، فيحس سعادة . كان حديثها
يدغدغ حواسه ، وطلعتها تزلزل كيانه ، ونظرة منها تدثره
بالنشوة ، فعزم على أن يتزوجها ، لتشاركه فى ملكه ، وتلا
قصره حورا .

وأوفد اليها رسله ، فاستجابت لطلبه ، وأقيمت فى سبأ
الأفراح ، وتاهب القصر لاستقبال بلقيس ، الأميرة الجميلة ،
ابنة الملك الراحل المحبوب .

ووفدت بلقيس فى ثياب العرس ، فكانت أروع من الزهر ،
وأندى من الفجر ، وأحلى من الربيع ، فهرع اليها الملك وفى
صدره لهفة ، وفى عينيه حب ، وانطلقا الى صدر المكان لتجرى
المراسيم .

وانقضت الحفلات ، فنهض الزوجان الى غرفتهما
وانصرف المدعوون ، وساد القصر هدوء ، ورنا الملك الى
بلقيس الجميلة ، فتحركت متشاعره ، وهم بالدنو منها ،
فقدمت اليه كأس خمر فتجرعها ، فانتشست روحه ،
واقترب منها فقدمت له كأسا أخرى فعبها ، وراحت تقدم
له الكؤوس حتى سكر ، فزحف اليها وهو مخمور ، وفتح
ذراعيه ليضمها اليه ، فاستلقت من صدرها خنجرًا وغيبته
في صدره ، فارتقى في الفراش يخطب في دمه ، وقد طسوته
الموت بذراعيه ، فلفظ أنفاسه التي كان يرجو أن تتردد حارة على
وجنات عروسه الحسناء !

وسارت بلقيس في ردهات القصر ثابتة الخطو ، حتى اذا
بلغت العرش الفت أعوانها يرصدون قدومها في قلق ،
فألقت اليهم برأس الطاغية ، واتجهت الى سرير الملك ، وجلست
شامخة الرأس ، فانطلق أعوانها خفايا ليزفوا الى الشعب النبا
العظيم ، نبا تخليص سبا من سلطان الجور ، واعتلاء بلقيس
عرش البلاد .

- ٢ -

خرج جيش جرار يضرب في القفار ، حتى اذا نال منه
التعب ، رأى أرضا بيضاء حسنة تزهو بخضرتها ، أحب النزول
بها ، فحط الرحال ، والتمس الناس الماء فلم يجدوه ، فتلفت
سليمان يبحث عن الهدد ، وكان دليله على الماء ، فلم يجده ،
فقال في دهش : " "

— مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ؟
 وطلب عريف الطير ، فأقبل النسر ، فقال له سليمان :
 — أين الهدهد ؟
 — أصلح الله الملك ، لا أدري أين هو ؟
 فغضب سليمان وقال :
 — لأعذبه عذاباً شديداً ، أو لأذبحه ، أو ليأتيني بسلطان
 مبين .
 ودعا بالعقاب ، وقال لها :
 — على بالهدهد الساعة .
 فرفعت العقاب نفسها فى السماء حتى انصقت بالهواء ،
 ونظرت يمينا وشمالا فإذا بالهدهد مقبل من نحو اليمين ، فانقضت
 العقاب نحوه وقالت له :
 — ويلك ! ثكلتك أمك ! ان نبى الله سليمان قد حلف أن يعذبك
 أو يذبحك .
 فما ارتفعت فرائص الهدهد ، وطار مطمئنا ، فلما
 انتهى الى المعسكر تلقاه النسر والطير كله ، وقالوا له فى
 اشفاق :
 — أين غبت فى يومك هذا ؟ فقد توعدك نبى الله سليمان .
 فظل فى رفقة العقاب منطلقا هادىء النفس ، مستريح البال ،
 حتى أتيا سليمان ، وكان قاعدا على كرسيه والى جواره وزيره
 آصف بن برخيا ، فقالت العقاب :
 — قد أتيتك به يا نبى الله .
 فالتفت سليمان الى الهدهد ، وفى عينيه غضب ، ورفع
 الهدهد رأسه ، وارخى ذنبه ، وأخذ يجر جناحيه على الأرض
 نواضعا ، فمد سليمان يده الى رأسه فجذبه منه وقال :

— أين كنت ؟ لأعذبتك عذاباً شديداً !
 فقال الهدهد في استعطاف :
 — مهلاً يا نبي الله .
 — ما الذي أبطأ بك عني ! ؟
 — أحطت بما لم تحيط به .
 فالتفت سليمان إلى آصف ، وقال في دهش :
 — ما هذه الدعوى العريضة ؟
 فقال الهدهد في تأكيد :
 — جئتكم من سبأ نبأ يقين .
 — ما هو ؟
 — اني وجدت امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شيء ، ولها
 عرش عظيم .
 — حقاً ؟
 — وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله .
 — ستنظر أصدقت أم كنت من الكاذبين .
 وذهب الهدهد ليدل الناس على الماء ، وكتب سليمان كتاباً
 لبليقيس ، ثم طلب الهدهد ، والبسه التاج على رأسه ، ووضع
 الكتاب في منقاره وقال له :
 — اذهب بكتابي هذا فאלقه اليهم ، ثم تول عنهم ، فانظر ماذا
 يرجعون .
 فطار الهدهد والطيور حوله ، ثم انطلق رسول سليمان وحده
 إلى سبأ حاملاً الكتاب الكريم .

— ❦ —

أغلقت بلقيس عليها باب مخدمها ، ومضت الى فراشها ، واستلقت وقد ثبتت عينيها في سقف الغرفة ، كانت تنكر في أمور ملكها ، وفيما هي في سباحات خيالها اقبل الهدد ، ودخل الى مخدمها من كوة كانت تتسلل منها الشمس ، فألقى الكتاب على نحرها . فانتبهت ، وأخذت الكتاب في عجب ، فمألاً عبير المسك خياشيمها ، وقلبت في يدها ، قرأت الخاتم فيبرها ، ولمحت الهدد في انسحابه فغمفت :

— ان ملكا تكون رسله الطير لملك عظيم !
وفضت الكتاب وقرأته ، فأطرقت ساهمة ، ورأت ان تجمع خواصها وأهل مشورتها ، لتمسرض عليهم امر هذا الكتاب الغريب ، فبعثت في طلبهم ، حتى اذا اكتمل عقدهم خرجت اليهم وقالت :

— ياأيها الملأ ، اتى القى الى كتاب كريم ، انه من سليمان ،
وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، الا تعلو على واتونى مسلمين .
وصممت قليلا ، ونقلت عينيها في وجوه الموجودين ، فلمحت الاهتمام العظيم . فقالت :

— ياأيها الملأ ، افتونى في امرى ، ما كنت قاطعة امرا
حتى تشهدون .

— نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ، والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين .

فاطرقت بلقيس تفكر ، وتمعن في التفكير ، فرائت أن في الحرب دمارا وخسرانا مبينا فقالت :

— إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون ، وإنى مرسل اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون .

ودعت بلقيس المنذر بن عمرو ، وكان رجلا من أشرف قومها ، وقالت له :

— سأبعثك الى سليمان بهذه الهدايا .

وقدمت له لبنات من ذهب ، ولبنات من فضة ، وتاجا مكللا بالدر والياقوت ، وأوعية ملئت بالمسك والعنبر ، وحقنة مغلقة ، وقالت للرسول :

— سله أن يخبرك بما في الحقنة قبل أن يفتحها ، فإذا أخبرك سله أن ينقب الدرة ثوبا مستويا ، وأن يدخل خيطا في الخزة .

— أفعل .

— انظر الى الرجل إذا دخلت عليه ، فان نظر اليك نظرة غضب ، فاعلم انه ملك ، فلا يهولنك منظره ، وإذا رأيته رجلا بشا لطيفا ، فاعلم انه نبي مرسل ، ورد على الجواب كما تسمعه منه .

وخرج رسول بلقيس الى سليمان يحمل الهدايا في ركب فآخر عظيم ، وطار الهدد رسول سليمان يحمل أنباء ما جرى في قصر بلقيس الفاتنة ، التي كانت انصر من ورد الربيع .

أمر سليمان الجن أن يعملوا لبنات من ذهب وفضة ،
ويفرشوها على طريق وفد بلقيس ، وأمرهم أن يجعلوا بين
اللبنات موصعا خاليا على قدر اللبنات التي يحملها رسول
الملكة الساحرة ، فراح الجن يعملون ، والجنود يهيئون
مكان الاستقبال ، ومطابخ سليمان تظهو لذلك الجيش
الجرار الطعام فتذبح آلاف الأغنام والعجول ، وتجلب
مقادير هائلة من الفواكه ، حتى إذا وافى بعيد الغداء ،
مدت الموائد الى مسافات بعيدة ، وأقبل الجنود يلتهمون
الطعام .

وتعد سليمان على كرسيه والى جواره وزيره ، وأحاط
به خلق كثير ، وأمر الجن أن يأتوه بأحسن الدواب ،
فيجعلوها من يمين الديوان وعن شماله ، وأقبل رسول
بلقيس ، ومر على تلك اللبنات الذهب والفضة ، ورأى ملك
سليمان ، فتناصرت إليه نفسه ، ورأى المحل الخالي بين
اللبنات فخاف أن يتهم فوضع ما معه من لبنات في ذلك المحل ،
وما زال سائرا على استحياء ، حتى وقف بين يدي سليمان
مضطربا ، ولكن بشاشة الرجل وتطلق محياه ، أعادت إليه
هدوءه واطمئنانه .

وجلس الرسول يقلب ناظريه فيما حوله من عجائب
وهو ماخوذ ، ووقف غلمان حسان على رأس سليمان
بأطباق من ذهب ، وهى مملوءة من المسك السحيق ، وفيها
صحائف من الياقوت الأحمر ، وفيها شئ من ماء الورد ،
وفوقها طيور صفار ترفرف بأجنحتها ، وتنزل فى ماء الورد ،
وتتبرغ فى ذلك المسك ، وتطير وتتنفض على الحشد الهائل ،
فتعقب المكان بشذا لطيف . وانتهى سليمان من قراءة كتاب
بلقيس ، فقال للرسول :

— أين الحقة التى معك ؟

— ها هى ذى .

فقلبها بين يده وقال :

— فيها درة مئنة من غير ثقب ، وفيها خرزة من جزع وهى
معوجة الثقب .

— صدقت . فاثقب الدرة ، وأدخل الخيط فى الخرزة .

فتناول سليمان الدرة وقال :

— من لى بثقبها ؟

فقتدمت أروسة ، فأخذت شعرة فى فيها ، ومرت فى
الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر ، ورسول بلقيس ينظر فى
ذهول ، وتناول سليمان الخرزة وقال :

— من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط ؟

فقال دودة بيضاء :

— أنا لها يا نبي الله .

فأخذت الدودة خيطا فى فمها ، ودخلت الثقب فخرجت
من الجانب الآخر . وقدم الرسول ما بقى معه من هدايا ،

فلم يقبلها سليمان : فما كان ليقبل منهم الا أن يهجروا عبادة الشمس الى عبادة الله ، فقال :

— اتمدوني بهال ؟ ! فما آتاني الله خير مما آتاكم ، بل انتم بهديتكم تفرحون .

— مولاي !

— ارجع اليهم ، فلنأينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجهم منها اذلة وهم صاغرون .

وعاد الرسول الى بلقيس وقد ملئ عجباً ، وجعل يقص عليها ما رأى في ملك سليمان العريض . فغفمت :

— والله ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة .

— ٥ —

تأهبت بلقيس للانطلاق ، وخشيت على عرشها العظيم ، فأغلقت دونه الأبواب ، ووكلت به حراساً شداداً ، ولما تم كل شيء اذن بالرحيل ، فتشخصت الملكة الجميلة الى سليمان في ركب هائل ، وتقصت ليالى وأيام ، وفي ذات يوم خرج سليمان وجلس على سرير ملكه ، فرأى هرجاً قريباً منه ؟ فقال :

— ما هذا ؟

— بلقيس يا رسول الله .

— وقد نزلت منا بهذا المكان ؟

— نعم .

فأطرق سليمان يفكر ، ان الهدهد وصف له عرشها
فأسهب فى الوصف ، فلو أنه أحضره أمامها الساعة لكان فى
ذلك آية عظيمة ، ودليل على قدرة الله الخائفة ، فرمى رأسه
وقال :

— يا أيها الملأ ، أياكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى
مسلمين ؟

قال عفريت من الجن :

— أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك ، وانى عليه لقوى
أمين .

وقال آصف :

— أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك .

— حقاً ؟

— انظر يا نبي الله الى جهة اليمين .

فنظر ، فما رجع نظره حتى رآه مستقرا عنده . كان
مقدمه من ذهب مطعم باليواقيت الحمر ، والزمرد الأخضر ،
ومؤخره من فضة ، مكلل باللوان الجواهر ، وله أربع قوائم ،
قائمة من ياقوت أحمر ، وقائمة من ياقوت أخضر ، وقائمة
من زمرد أخضر ، وقائمة من در أصفر ، وكانت صحائف السرير من
ذهب خالص ، كان عرشا رائعا ، فشمع بشكر ، ونكس رأسه
فى تواضع وقال :

— هذا من فضل ربى ، ليبلونى الشكر أم اكفر ، ومن شكر
فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ريبى غنى كريم .

— نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تسكون من الذين
لا يهتدون .

فأخذوا يزيدون فيه وينقصون منه ، محاولين أن يخفوا
بعض معالنه ، وأمرهم ببناء صرح ، فبنوه من زجاج مستور .
وأقبلت بلقيس رائحة الحسن ، شديدة الأسر ، نهو إليها
القلوب ، وما أن رأى جمالها حتى مال إليها ، واستقبلها باشا
وكانت في ذهول ! رأت في ملكه عجا لم تر مثله ، يأخذ بالالباب ،
ويحير العقول . وقادها إلى حيث كان عرشها ، وقال :
— اهكذا عرشك ؟

فقلبت نظرها فيه في دهش ، وقالت :
— كانه هو .

وقادها إلى الصرح ، وقال لها :
— ادخلي .

نظرت إلى صقال الصرح فرأت الأشياء معكوسة فيه فحسبته
لجة ، فكشفت عن ساقبيها الرائعتين البديعتين ، فغض سليمان
من بصره ، وقال :
— انه صرح مبرد من قوارير .

وعاشت بلقيس عند سليمان أياما تقضت كحلم جميل ،
رأت فيها عجائب وأسرارا ، وأشياء تحير العقول ، فأيقنت
أن سليمان نبي كريم ، فأمنت به ، ورفعت رأسها إلى السماء
وقالت :

— رب ، انى ظلمت نفسي واسلمت لله رب العالمين .



استر

قصة استر الواردة في التوراة كتبها
مردخاي نفسه ، ولما كان أحد أبطال القصة فقد
كتبها من الزاوية المشرقة ، وقد عالجتها علاجاً
يختلف عن التوراة .

— ١ —

قصر هائل عظيم ، يوحى بالفخامة والسروعة والغنى ،
انه قصر الملك احشويروش الذي انتشر سلطاناه على الهند
وفارس والبلاد الممتدة الى كوش ، انه قصر أغلق أبوابه على
روائع وبدائع ، انه كنز احتوى في بطنه كنوز .

والثسف بالقصر حراس شدداد ، حراس يفسدون
ببروحون ، حراس واقفون لا يتحركون . ووقف مردخاي
ام باب القصر الهائل ، وقد أرقدى ثياباً مزرقة ، وتصرم
قت وهو منتصب كتمثال ، لا تختلج فيه خالجة ، وان
نت الذكريات تتتابع في رأسه ، فتوحى اليه التأمل والتفكير .

راحت ذكريات الأيام الخوالي التي أمضاها في اورشليم

تقد الى ذهنه ، انه يرى نفسه فى المعبد بين قومه يعبد اله اسرائيل ، فيشيع فى صدره حنان ، ولكن سرعان ما ينمحي ذلك الاحساس ، لينتشر احساس آخر يضيق صدره ، ويحرك اشجائه ، فقد قفزت الى رأسه مشاهد اجتياح جيوش بختنصر لبلاده ، انها لتتدفق تدفق السيل العارم ، مخلفة وراءها الخراب والدمار ، ورأى بعين خياله دماء اليهود تجرى فى الطرقات ، وقد تناثرت أجساد القتلى أشلاء ، ورأى نفسه يسقط فى أيدي الأعداء ، ويساق مع الأسرى زمرا ، حتى اذا بلغ الساحة ألغى يكنيا ملك اليهود ند جىء به أسيرا ، ورأى نفسه وبني اسرائيل وهم ينطلقون كقطيع من الأنعام ، منكسي السروعوس ، يحدوهم الذل ، ويعلوهم العار حتى خرجوا من فلسطين ، ليشتتوا فى الأرض فزفر زفرة خرجت من قلب حزين .

وسمع وقع أقدام ، فانتبه الى ما حوله ، فرأى أميرا من الأمراء قادما ، فحياه ، وما غاب الأمير فى القصر حتى عاد مردخاى الى ما كان فيه .

رأى نفسه وهو يباع بأسواق الرقيق بفارس الى رجل فقير ، لم يكن صاحب ضياع أو قصور ، بل كان صاحب عمل ، فاشتراه ليعاونه فى عمله ، ورأى نفسه وهو يعمل لذلك الرجل ، حتى كسب ثقتة ، ثم كاتبه على أن يهب له حريته لقاء مبلغ كبير . ولما كان مردخاى يهوديا ، كان قادرا على كسب الأموال ، فراح يعمل حتى أدخر ما يفك به رقه ، ويعيد اليه حريته .

واستمر مردخاى يفكر ويقلب الفكر ، حتى انتهت نوبته ، فدخل غرفة من غرف القصر الكثيرة التى خصت لمن يعملون فيه .

دخل مردخاي غرفته ، فألقى استر تتطلع الى صورتها
فى المرأة ، وقد لاح فى وجهها الرضا ، كانت رائحة الحسن ،
شديدة الأسر ، عيناها تلمعان ببريق يخطف القلوب ، شعرها
الأسود الجميل المسترسل خلفها ، يزيد لها روعة وحسنا .
كانت فى السابعة عشرة ، يتدفق فيها الدم الفوار ، ويزينها
نواجذ الشباب .

رماها بنظرة خاطفة ثم قال لها :

— تفتحت يا استر ، تفتح الأزهار فى الربيع ، ما أجمل
حسبك !

فقالت استر فى دلال :

— أنا جميلة حقا ؟

فقال مردخاي وقد شرد بصره :

— ما خلق الله هذا الجمال عبثا ، لاند يا استر أن يبذل لمصلحة
بنى اسرائيل .

فقالت له استر :

— ماذا نستطيع أن نفعل ؟

— الجمال يا استر يفعل بالرجال الأعاجيب ، انه يلين
أقنسى القلوب ، واننى لأرجو أن أستطيع بهذا الجمال الساهر أن
أصون مصالح شعبنا ، افنا يا استر شعب مبعض ، يكرهه كل
الشعوب ، لأن الله فضلنا عليهم ، جئنا الى هنا ونحن أسرى

وعبيد ، ولكن بجدنا اغتنينا وأصبحنا أصحاب الثروات في هذه البلاد ، إن فارس والهند وكل هذه البلدان أصبحت في قبضة يدنا .

فقالت أستر وهي تميل برأسها إلى الوراء ، وتنظر إلى صقال المرأة .

— هذا جميل .

فقال مردخاي :

— هذا جميل ما دامت الغشاة على أعين الناس ، أما إذا انتشعت تلك الغشاة ، وراوا أننا نستولى على منابع الثروات ثاروا علينا ، ويا ويلتنا إذا ثار الناس علينا ! ستراق دماؤنا ، وتترك أجسامنا للكلاب . كنت يا أستر يوم غزا يختنصر بلادنا صغيرة ، ولو كنت عاينت ذلك اليوم الرهيب ، لما غادرت عينيك مشاهد ذلك اليوم المشؤم .

فقالت له أستر :

— أنتظن يا عمي أن يعود علينا يوم شديد كذلك اليوم ؟

— هذا رهن بأن يظن رجل واحد إلى ما أصبحنا فيه ، ثم يقوم بتأليب الناس علينا ، أن الشعوب تبغضنا يا أستر ، تبغضنا من أعماق قلوبهم ، كأنما بيننا وبينهم ثارات .

فقالت أستر وهي تنظر إليه بعينيها النجلاوين الساحرتين :

— مصائرنا هنا معلقة بخيط واه .

فقال مردخاي مؤمنا :

— وستظل معلقة بذلك الخيط الضعيف ، إلا إذا استولينا على هذا القصر .

فقالت في دهشة :

— نستولى على هذا القصر ؟

— أجل يا أستر نستولى عليه ونتحكم فيه .

- من ذا الذى يستولى عليه ؟ !
- أنا وانت يا استر ، أنا بدهائى ، وانت بجمالك ، اننى ما جئت الى هذا القصر الا لاسلط عليه ، وأحرك رجاله ، ليعملوا على ما فيه مصلحتنا نحن اليهود .
- فقاتلت له استر وهى ترمقه بنظرة فاحصة :
- هذا حلم لذيذ ، وما أحسب أن ذلك ميسور .
- فقال وقد انفرجت شفاته عن ابتسامة خبيثة :
- ما أيسر ذلك على من يتفق الاموال ، ويقدم مثل جمالك الفاتن البديع .
- وصمت مردخاى قليلا ، ثم قال :
- أتعرفين مموكان حكيم الملكة ، الذى لا يقطع الملك أمرا الا اذا استشاره ؟
- نعم أعرفه .
- انه طوع بنائى .
- وبماذا استملت ذلك الشيخ الفانى ؟
- أغرقته بهداياى .
- فقاتلت وهى تضحك :
- أنت الحكيم يا عماه .
- انه ليس وحده الذى استملته اليانا ، فهناك الخصيان السبعة ، الذين لا يغادرون الملك فى الليل أو فى النهار .
- ورمقته من طرف عينها ، وقالت له فى خبث :
- أتحسب أننا فنجح فى استمالة كل الرجال بالمال ؟
- فقال لها مردخاى وهو يبتسم فى زهو :
- من لم يأسره المال يأسره الجمال .

تاهب القصر للوليمة الكبرى ، التى اعدّها الملك احتشويروس
للأمراء ، وأشراف قومه ، ورؤساء مملكته ، وكان هدف الملك
من هذه الوليمة أن يظهر للناس عظمته ، ليزداد فى أعينهم رفعة ،
لذلك أنفق على هذه الوليمة بسخاء .

وتوافد الأمراء والأشراف الى حديقة القصر الهائل ، وابتل
الملك يتألق كجوهرة ، وبدأ الحفل ، وجاء الخدم يحملون كنوس
الذهب والفضة ، ينطلقون بين أعمدة الممر الهائلة ، التى كسيت
ستائر بيضاء وخضراء وزرقاء ، وينسفلون الى حيث جلس
المدعوون ، يقدمون لهم الخمر ، وراح الجميع يعبون الشراب حتى
ملئوا نشوة .

وانقضى الليل والجميع فى حبور ، حتى اذا قام الملك انصرف
الجميع ليعودوا الى الوليمة فى اليوم التالى . واستمرت وليمة
الأمراء والأشراف مائة وثمانين يوما ، الموائد تمتد ، والخمر تصب
فى البطون ، تتدير الرعوس .

وامدت الملكة وشتى وليمة للنساء ، فما كان الرجال
والنساء يجتمعون فى مكان واحد ، واستمرت هذه الوليمة
اياما واسابيع وشنهورا .

واراد الملك أن يشرك عامة الشعب فى الاعجاب
بعظمته ، فدعا الشعب الى قصره ، ودعت الملكة وشتى
النساء الى جناحها ، وراح الخدم يصيرون الخمر حتى جرت
أنهارا .

وانتشى الملك ، ولعبت الخمر برأسه ، فقال للناس :
— ان امرأتى أجمل امرأة فى هذه البلاد .
وصمت الناس ولم ينبس احدهم بكلمة ، فقال الملك :
— الا تصدقون ؟ سترونها الآن ، وستحكمون انها أجمل امرأة
فى الوجود .
ونادى الملك خشيانه :
— بزتا ، حريوتا اذهبا الى الملكة وقولا لها اننى اطلبها
هنا ليرى الناس جمالها البديع .
وذهب بزتا وحريوتا ، وكان مردخاى حاضرا هذه الوليمة ،
فلمعت فى ذهنه فكرة ، فاقترب من الخصى كركس ، وهمس
فى أذنه :
— هذا فظيع . ليت الملكة ترفض الحضور . كيف تحضر الملكة
الجليلة الى هؤلاء السكارى ؟ انها لو جاءت لسقطت هيبتها ،
من يدري ماذا تفعل الخمر برعوس هؤلاء الحمقى ، ما كان لمولانا
أن يفعل هذا .
وصمت قليلا ، ونظس الى الخصى ، ليرى اثر كلامه فيه ،
فالتفت الى وجهه دلائل الحيرة والتفكير ، فقال همسا :
— لو كان لى من الأمر كثير أو قليل ، لذهبت اليها أشير
عليها بعدم المجيء .
ولاح فى وجه الخصى العزم ، ثم انطلق الى جناح الحريم ،
ومردخاى يرمقه ، وقد انتشرت فى صدره نشوة ، فقد بدأ
ينفذ الخطة التى نسجها شيطانه ، وتلفت يبحث عن موكان
الحكيم حتى وقعت عيناه عليه ، فذهب منسلا اليه ، فلما رآه
موكان حياه فى حرارة وترحيب .

ووقف مردخاي يقدح ذهنه ، وينتقى الالفاظ التي يوحى بها
الى مموكان دون ان يثير ريبه ، ويبقى يترقب ، حتى اذا ما لح
الخصيان عائدين ، وسوس لموكان :

— انظر ! انهم يعودون خائفى الرعوس ، يخيل الى ان
الملكة رفضت المجيء ، فلو انها رفضت اطاعة الملك لكان فى
ذلك اهانة لا للملك وحده ، بل للشعب جميعا .

وانتقل مردخاي من جواره بعد ان وسوس له بما يريد ،
واندس بين الجموع .

وتقدم الخصيان الى الملك وقالوا :

— رفضت جلالتها الاذعان لأوامركم يا صاحب الجلالة ،
وقالت انها لا تقبل أن تجيء تعرض نفسها على سكارى يقرنحون .
وارتفعت اصوات استنكار ما لبثت أن خفت وزالت ، لما هب
الملك غاضبا يصيح :

— أين مموكان ليرى رايه فى هذه العاصية ؟

وتقدم الحكيم من الملك وهو يحنى رأسه ويقول :

— مولاي ؟

— ما رأيك يا مموكان فيما اتته الملكة الآن ؟

— ان ما فعلته يا مولاي ليس جريمة فى حقكم وحدكم ،
يا صاحب الجلالة ، ولكنه جريمة فى حق الشعب جميعا ،
لقد سمع جميع النساء المدعوات الى وليمة الملكة وشتى بذلك
الرفض ، وما هو الا الغد حتى يكون نبا هذا الرفض قد مالا
البقاع ، وبلغ مسامع النساء فى مشارق مملكتم ومغاربها ،
فاذا ما امر رجل امرأة امرا رفضت طاعته تشبها بالملكة وشتى
التي رفضت طاعة الملك .

ان الامر أخطر من ظواهره يا صاحب الجلالة ، لذلك يحتاج

فى معالجته الى قسوة وحزم حتى تعيد يا مولاي الى الرجال
هيبتهم وكلمتهم المسموعة .

ان الامر اخطر من ظواهره يا صاحب الجلالة ، لذلك تطرد
من القصر ، لتكون عبرة للنساء اللاتى يداخلهن الغرور ، فيمصين
أوامر أزواجهن ، وليكتب بذلك الى جميع عمالك يا مولاي ، ليذاع
على الشعب ، مؤكدا أن الرجل هو رب البيت ، الأمر وحده فيه .
فأعجب الملك برأى حكيمة ، فقال :

— على بالكتاب ، ليسكتبوا الى اقطار مملكتى ، ان الملك
أحشويروس قد طلق الملكة وشتى ، لعصيانها أوامره ، فما كان
للأمراة أن تعصى زوجها ، لأنه وحده الحاكم فى بيته .

وخرجت الأوامر الملكية الى فارس والهند والبلاد الممتدة
الى كوش ، وخرج الناس من انوليمة يتحدثون فى هذا الأمر
الخطير ، وأسرع مردخاى الى استر ابنة أخيه يزف اليها نبأ
اقتصاره الكبير .



دخل مردخاي على استر ، فألفاها كعادتها أمام المراة تتزين ؟
وتتطلع في اعجاب الى حسننها ، فدنا منها وقال وهو يتفرس
في مفاتها :

— يا استر ان لهذا الجمال ان يسود .
ولحت استر تلك الابتسامة العريضة التي ارتسمت في
وجهه ، فاستدارت وقالت له :

— ماذا جرى يا عمي ؟
فقال مردخاي وهو يرفو اليها في خبث ، والسعادة تلوح
في وجهه :

— طلق الملك الملكة ، وطردها من قصره .
فقالت استر وهي تنظر اليه مليا :
— ومالي اراك سعيدا كأنما عادت السعادة الى شعب
اسرائيل ؟

فقال مردخاي وهو يمد ذراعه فوق كتفها البديع :
— أغريرة أنت يا استر أم تتخابئين ؟ أما تدرين أهية
ذلك لنا ؟ أن الملك بعد أن طيرد زوجته سيحسن وحشة ،
وسيشعر بفراغ ، وسينتشد السلوى ، سيبحث عن العذاري
الغائبات في مملكته ، وهل فيها من هي أفستن منك يا استر ؟
سأقدمك اليه لتسليه قلبه ، وتقوديه حيث تقودينه ، ولن تقوديه

الا الى ما فيه مصلحة بنى اسرائيل ، ستصحبين مالكة مؤاده ،
نجمالك أسر قاهر ، تعنوا له المهج ، وتذل له اعناق الجبارين .
انك يا اسתר درة ، وستكونين اعلی درة فی مملكته ، فما خلق
الله هذا الجمال الا للملوك .

فقالت اسתר :

— اتقدمنى يا عمى حظية للملك ؟

— وماذا فى ذلك يا اسתר ، وهل كان هذا يشين يهودية ؟ !
على كل يهودى ان يقدم أى شىء وكل شىء فى سبيل بنى
اسرائيل ، عشت اعمل لهذه اللحظة مضحيا بالعمر كله ، لأجنب
اليهود نكبة من النكبات التى خصهم بها الزمن ، فاذا لاحت لى
الفرصة اتحسبين اننى ادعها تمر ؟ لا يا اسתר ، اننى ربيتك
بعد موت أخى وزوجته ، واتخذتك بنتا ، وصرت أرعى جمالك.
واتعهد ، لأقدمه قربانا الى اله اسرائيل ، يا طالما فكرت فى
الطريقة التى استغل بها هذا الحسن الفتان ، لقد شغلت ذهنى
آلاف الفكر ، وها هى ذى الفرصة الذهبية تلوح .. لا تحسبى
يا اسתר أنها جاءت سهلة هينة ، انها ما لاحت لنا الا بعد كد
وتدبير ، وأمعان فى الكد والتدبير .

وغمضت اسתר وقد شرد بصرها :

— حظية الملك .

— أجل ، حظية الملك ، حظية الملك التى تقدم جسدها
صيانة لمصالح شعبها ، يا لها من تضحية كريمة خليفة بنسا
يا اسתר .

وصمت قليلا وفكره بعمل ، ثم قال هامسا :

— غلمان الملك رهن اشارتى ، سأوحى اليهم أن يشيروا
عليه أن يبعث رسله الى انحاء مملكته يلتمسون العذارى الفاتنات ،

ويدفعون بهن الى هيجاي حارس النساء ، ويدخلونهن على الملك .
فمن راقت عينيه ، فليئصبها ملكة مكان وشتى .

اطمئنى يا استر ، فهيجاي صديقى ، سأسخو عليه ،
ليتفنن فى تطييبك وتزيينك حتى اذا دخلت على الملك سلبته ليه
وارادته ، فصار أسير جمال بنت اليهود .

فقال استر حاملة :

— لكائما كل ذلك قد انتهى .

فقال مردخاي وهو يتطلع اليها فى اعجاب :

— انى أراك الساعة يا استر وعلى رأسك الجميل يتالق
تاج ملكة أحشويروس !

فقال وقد التمعت عيناها رغبة .

— يا للأحلام العذاب !

— ٥ —

بعث الملك رسله الى أنحاء مملكته يلتمسون الفتيات الأبار
الجميلات ، وتوافدت الى القصر فتيات رائعات الحسن ، مشوقات
القدر ، كن أمثاجا من الروعة والجمال ، ودفع بهن الى هيجاي
حارس النساء ، ليطيبن بالعطور والأدهان .

وفى ذات يوم همس مردخاي فى أذن هيجاي ، أنه عثر
على تحفة من تحف الجمال ، وطلب من صديقه أن يأتى معه
ليراها ، فإنه على ثقة من أنها ستبهر الخصى الخبير فى
النساء !

وانطلق هيجاي ومردخاي الى حيث كانت استر ، فلما وقعت
عينتا هيجاي عليها ، وهى تتلألأ وتلمع ، لاح فى وجهه الاعجاب
وهمس :

— يا للجمال ! انها كنز يا مردخاي .

فقال مردخاي وهو ينحنى امام الخصى :

— اننى اضع هذا الكنز بين يديك يا هيجاي ..

فقال هيجاي ، وعينه الفاحصة تجول فى مفاتن الفتاة :

— جمال طاغ ، لا يستطيع ان يثبت امامه انسان ، ابعث
بها الى بيت النساء ، وسأنزلها فى أفخم مكان ، اننى لم أنتخب
من بين مئات الوافدين الى القصر الا سبع فتيات ، سأضم اليهن
استر .

فقال مردخاي وهو فرحان :

— غدا سأبعث بها اليك .

وخرج هيجاي ، واقبل مردخاي على استر يضمها اليه نشوان
بخمر النصر ، وراح يهمس فى انفعال :

— غدا يا بنت اخى يفضح جمالك جمالهن ، كما يفضح نور
الصباح أضواء السرج .



تأهبت استر للانطلاق الى بيت النساء ، فاقترب مردخاي منها وقال لها :

— تذكرى يا استر وصاياى لك ، اياك ان يعرف احد أنك يهودية ، لأنه اذا انكشف هذا الأمر فقدنا عطف الناس ، تذكرى يا استر أنك ما دخلت هذا القصر الا لتسهرى على مصالح بنى اسرائيل ، ان قلوب اليهود جميعا ملتفة حولك ، وآمالهم معقودة عليك . مصالح بنى اسرائيل أولا ، ثم يأتى بعد ذلك أى شيء .

واقبل غلام من غلمان القصر ، ليأخذ استر الى بيت النساء ، فسارت متأنقة مثالقة ، وقبل أن تغادر المكان قبّلت مردخاي ، وانطلقت وهو واقف يرقبها خافق القلب ، فلما اختفت عن عينيه غمغم :

— اذهبى يا استر فى رعاية اله اسرائيل .

ودخلت استر الى بيت النساء ، فألفت ختنيات أنضر من الورود ، وأطسب من الأزهار ، فمشيت فى صدرها الرهبة ، وكادت تتعثر من الخوف ، ولكنها تفكرت اطراء مردخاي وهيجاي لجمالها ، فاستردت ثقتها ، ورفعت رأسها تهبها بحسنها

ودفع بها الى هيجاي ، فكان يعالجهما بالادهان والطسب

والمطور الأيام والأسابيع والشهور ، فزادت اسرر روعة على روعة ، وجمالاً فوق جمال .

كان هيجاي يدفع الى الملك معذراء كل ليلة ، فما تنقضى الليلة ، ويلوح نور الصباح ، حتى يدفع بالمرأة الى حارس السراى ، لتضم الى قطيع النساء المترقيات اشارة من الملك للتسرية عنه ليلة .

كانت اسرر ترقب العذارى الداخلات الى مخدع الملك اول الليل ، الخارجات منه اول النهار وفى قلبها فرحة ، لأن احداهن لم ترق عينى الملك ، فمد ذلك فى حبل الأمل أمامها ، لأنه لو استولت امرأة على قلبه واتخذها ملكة مكان وشقى ، قبل أن تدخل هى عليه ، لكان فى ذلك تحطيم لآمالها ، وانهيار للرؤى العذاب التى تتراعى لها ، ولكن ما كانت تلك الفرحة تدوم ، بل كانت تفيض اذا ما خطر على بالها أن مصيرها قد يكون كمصير الاخريات ، اللاتى كان كل حظهن فى هذا القصر ليلة واحدة فى فراش أحشويروس ، ليلة دافئة مليئة بالاحلام ، تعقبها ليال طوال باردة ، كلها سام وممل وفراغ .

وجاءت الليلة المرتقبة ، ليلة دخول اسرر على الملك ، فأخذ هيجاي يتقنن فى تزيينها ، حتى كانت آية من آيات الحسن والابداع ، وقبل أن تدلف الى مخدع الملك ، راح يوصيها بما تفعل ، لتنال فى عينى الملك حظوة .

وانقضت الليلة كحلم بهيج ، حلم كله نشوة ، واقبل الصبح ، فذهبت اسرر الى حجرتها ، واستلقت مسترخية على فراشها ، وأطلقت لامسكارها العنان . راحت مشاهد الليلة الماضية تمر أمام أعين مخيلتها ، أنها لترى الملك بدنو منها متدلها ، وأنها لترى نفسها وهى تتثنى فى دلال ، يا لها

من ليلة ! ترى أنطفئوا ذكراها في رأس الملك أم ترسب ،
كآلاف الليالي التي أمضاها غارقا في اللذة ؟

ومر النهار واستر تترجح بين اليأس والرجاء ، وما وأغى
الليل ، حتى كان هيجاي عندها يزق اليها البشرى الفالية ،
ان الملك يطلبها ليلة ثانية .

وتصرمت الليالي ، والملك يطلب استر كل ليلة ، فقد شغف
بها حبا ، وفي ليلة من الليالي لعبت به الخمر وامانين المرأة .
فوضع القاج على رأس استر البارعة .

واعد الملك وليمة هائلة ، دعا اليها الامراء واشراف القوم
ورؤساء العشائر ، وأعلن انه اتخذ استر له زوجة ، وانتهت
وليمة استر ، وقد أصبحت بنت اليهود ملكة على البلاد ، بينما
كان مردخاي الذي فكر ودبر واقفا بباب القصر ، تشيع في صدره
نشوة عارمة .

— ٧ —

أصبحت استر سيدة القصر ، ومردخاي حارس بابه ،
وعلى الرغم من ذلك كانت الرسل تمشي بينهما ، كانت تصل
اليه انباؤها ، وتصل اليها انباؤه .

وفي ذات يوم ، لاح في ذهنه خاطر ، ان استر أصبحت
ملكة ، فما يدريه أنها قد تستمرىء هذه الحياة ، وتنسى حكمة
دخولها القصر ، فاذا وقعت لبني اسرائيل محنة ، تراخت في
مد يد العون اليهم ، فتكون الطامة العظمى ، ألقه ذلك الخاطر ،
وراح يتدح في ذهنه حتى اهتدى الى أن خير ما يفعله ، أن

يتقرب هو نفسه الى الملك ، فهو يثق في نفسه أكثر من ثقته في غيره ، ولو كان ذلك الغير استر نفسها .

وقر رايه على ان يعمل ليتقرب من أخشويروش ، ولما كان يعلم أن القصور مسارج للدسائس والمؤامرات ، أخذ يتحسس لعله يقع على مؤامرة يرغم أمرها الى الملك ، فتنبه القرب والحظوة .

راح مردخاي يسترق السمع لكل حديث ، ويحصى حركات رجال القصر وسكناتهم ، وفي ذات ليلة رأى غلامين من غلمان الملك يقتصران بالظلام ، ويتسللان الى ركن قصي يتناجيان ، فانطلق خلفهما كطيف ، ووقف قريبا منهما يحمي بالجدران ، يتسمع .

كان الغلامان غاضبين حائنين ، فراحا يتآمران على الملك ، وما انتهيا من بثهما ونجواهما ، حتى انطلقا الى القصر على حذر ، ولو التفتا خلفهما لتيقنا أن سرهما قد افترضح .

وبعث مردخاي الى استر أن ترفع الى الملك أن مردخاي قد قد وقع على مؤامرة دنيئة بيتت بليل ، أن بغشان وترشي خصيى الملك ، حارسي الباب يدبران اغتياله ، فهرعت استر الى الملك تنبئه بالخبر .

وقبض على الغلامين ، وجرت محاكمتهما ، فثبتت ادائتهما . وحكم عليهما بالقتل والصلب ، أما مردخاي فقد فكر الملك في مكائاته .

كان الملك يثق في هامان ، لأنه كان حصيف الرأي ، بعيد النظر ، فكان يستشير في كل أموره ، فبعث اليه ، وقال له :

— ان مردخای انتقد حیاتی ، وانی افکر فی ان أدنیه منی ،
فماذا ترى ؟

فقال هامان :

— اننی یا مولای اری ان تمنحه جائزة ، وان تدمه حیث
هو .

— لماذا یا هامان ؟

— لأنه یهودی ، والیهودی لا یخلص الا لنفسه .

وطلب الملك استر ، فدخلت علیه ، وجعلت تداعبه فی رقة
ودلال ، ثم قالت له :

— ماذا فعلت لمردخای یا مولای ؟

فقال أحشویروش وهو یضحك :

— أعطيته ما یتمنی ، قیل لی ان غایة ما یتمناه یهودی ان
تملاً جیوبه ذهباً .

واحبست استر قهراً ، ولم تعترض خشية ان تكشف عن
خبیئة نفسها ولكنها رأت ان تفعل شیئاً ، قد تستغله یوماً ،
فقالت :

— ان ما فعله مردخای یتحقق ان یسجل یا مولای .

فقال الملك :

— هذا حق .

وأمر ان یدون ذلك فی سفر أخبار الایام .



كان استجاب الملك بهامان يزداد يوما بعد يوم ، فقد أثبت
فى أكثر من مناسبة إخلاصه للعرش وللبلاد ، أراد الملك أن
يكافئه ، فرمى ، وجعله وزيره الأول .

وفى ذات يوم دخل هامان على الملك ، وقال له :

— ان اليهود العبيد الذين وفدوا الى بلادنا سبيا من اورشليم ،
قد عظم نفوذهم فى البلاد ، أثروا واغتنوا واصبحوا أسياد المال
المتحكمين فى الأسواق والأقوات والأرزاق ، انهم يتسلطون
بالأسعار ، ويمتصون دماء شعبك يا مولاي .

ولاح فى وجه أخشويروش الاهتمام ، فراح هامان يقول
فى إخلاص :

— لو كان نفوذهم قد قصر على دنيا المال لهان الخطيب ،
ولكن نفوذهم تغلغل فى كل مكان ، علموا الرؤساء الرشوة ،
وبذروا فى قلوبهم الطمع ، وغرسوا فى النفس الأحقاد
ليشغل الشعب بأحقاده عنهم ، فيسلبوه هئاء وهم آمنون غضبه ،
انهم يا مولاي أس كل البليات فى البلاد . انهم

وصمت هامان فجأة ، فقال فى لهفة :

— انهم ماذا يا هامان ؟

فقال هامان وهو يتحلى أن تتلقى ميثاء بعينى الملك :

— معذرة يا مولاي ، انهم لو قدروا على أن يقوضوا عرشكم
تحتكم لتوضوه .

فبان الغضب في وجه الملك ، وقال :
 — انهم اخبث اهل الأرض ، ماذا ترى أن نفعل فيهم ؟
 فقال هامان في حماسة :
 — نستأصلهم ، نقتل اطفالهم وغلماهم ، وشبابهم ونساءهم ،
 ورجالهم وشيوخهم ، فنستريح من شرورهم .
 فقال الملك في انفعال :
 — هذا هو الرأي يا هامان .
 فقال هامان في حماسة :
 — اننى على استعداد لأن أدفع لمن يقومون بقتلهم عشرة
 آلاف وزنة من الفضة ، يؤتى بها الى خزائن الملك .
 فقال الملك وهو يخلع خاتمه :
 — ابق الفضة لك ، خذ خاتمي ، وأصدر الى الولاة أمرا بقتل
 كل يهودي في ولاياتهم .
 ودعا هامان كتاب الملك ، وأمرهم أن يكتبوا الى الادهاقنة
 والولاة بقتل جميع اليهود في ولاياتهم ، في الثالث عشر من
 شهر آذار ، ولما تمت كتابة الرسائل ، ختمت بخاتم الملك ،
 وانطلق الرسل الى الولاة والحكام .

— ٩ —

علم مردخاي بالأمر الملكي القاضي بآبادة اليهود في فارس
 والهند ، والبلاد الممتدة الى كوش ، فشسق ثيابه ، وانطلق
 الى ميدان القصر يصرخ وينوح ، وراح يحثو التراب على
 رأسه ، ورأى جوارى استر ما حل بمردخاي ، فدخلوا عليها ،
 وقالوا لها :

— ان مردخاي فى ميدان القصر يصرخ ، وقد ارتدى ثيابا
«هليلجة» ، فاغتمت استر ، وبعثت اليه ثيابا جديدة ليرتديها ، فرد
اليها الثياب ، وارسل لها مع رسول :

— ان هامان قد استنصر امرا يقتل جميع اليهود فى الثالث
عشر من شهر آذار ، لقد نزلت المحنة بشعب اسرائيل ، فوجب
عليها أن تمد يد العون الى شعبها الذليل ، صار عليها أن تدخل
على الملك ، مستغلة سلاح جمالها ، ملتزمة منه الرأفة بأهلها ،
فبعثت اليه مع الرسول :

— أنسيت يا مردخاي تقاليد هذه البلاد ؟ كيف أدخل على
الملك دون أن يدعونى ، ان كل من يدخل عليه دون دعوة نصيبه
القتل ، الا من يمد له الملك قضيب الذهب ، ماذا يكون حالى
لو دخلت عليه ، ولم يقدم الى قضيب الأمان ؟ ! سيكون
مصيرى القتل يا مردخاي ، وان مما يزيد فى مخاوفى ان الملك لم
يطلبنى منذ ثلاثين يوما .

فبعث اليها مردخاي :

— لا تحسبى يا استر أنك ستنجين من هذه المذبحة ،
لأنك زوجة الملك . انك يهودية يا استر قبل أن تكونى ملكة ،
وما أيسر أن يبلغ الملك ذلك ، انك ستقتلين حتما اذا
أحجمت عن الدخول عليه ، أما اذا أقدمت ودخلت على
أخشويروش العاشق الولهان ، فمن يدري ؟ فقد يكون فى ذلك
حياتك وحياة شعبك ، اننى على يقين يا استر ان فى اقدامك
بركة ، ففتشجى وأقدمى انقاذا لنفسك ، ان لم يكن انتنا اذا
لحياتنا .

نظرت استر الى المرأة ، فحز فى نفسها أن يكون مآل .

جمالها الرائع العدم ، انها لو استكانت لكان في ذلك القضاء
الآخر . وانه لعزير عليها أن تستسلم للموت دون أن تدفعه
عن نفسها ، وعسزمت على أن تدخل على الملك دون أن
يدعوها ، فقد يكون في الاقدام على الموت دفع له ، وابعاد
لخطره .

وراحت استر تتأهب للمعركة القادمة ، المعركة الفاصلة
بين الحياة والموت ، فجعلت تشحذ سلاحها ، فراحت تتفنن
في ابراز مفاتيحها ، ثم تقدمت الى قاعة العرش ، ومشاعر الرهبة
تنبثق من أعماقها .

نظرت استر ، فرأت الملك جالسا على عرشه ، وهامان
وبعض الوزراء واقفين خائشين ، فخرق قلبها في شدة ،
ولكنها لم تنكص على عقبيها ، بل تقدمت وقد رفعت رأسها ،
وانطلقت وكل خالجة عينا تنفض رهبة . وثبتت عيناها على
يد الملك ، وأرهقت حواسها .

تقدمت رويدا رويدا ، ولحقها الملك فلمعت عيناه سرورا ،
ورفت على شفقيه ابشامة ترحيب ، ورفع يده بقضيب الذهب ،
فأسرعت استر وقد ردت اليها روحها ، فقد رضى عنها الملك ،
ووهب لها حياتها .

واقبل الملك عليها ، وقال لها في بشاشة :

— ماذا تطلبين يا استر ، لك أن تسأليني نصف مملكتي .

فقال استر في رقة :

— كل ما التمسه أن يشرفني مولاي وهامان بالجيء اليوم

الى الوليمة التي أعدتها لجلالتكم .

فقال الملك وهو يرنو اليها في شفقة :

— سنحضر يا استر .

واعسدت استر وليمة فاخرة ، وتأهبت لمقابلة الملك
وهامان عدوها الخطير . وجاء الملك ووزيره ، وبالغت استر
فى اكرامهما ، ولما دارت الكتوس التفت الملك إلى استر
وقال لها :

— ماذا تطلبين يا استر ؟ لك أن تسألينى نصف مملكتى .
نقالت استر فى دلال :

— أن كل ما اطلبه هو رضى مولاي ، وانه ليدخل على
قلبي البهجة لو شرف مولاي وهامان الوليمة التى أعدها غدا
لجلالكم .

وانصرف الملك وهامان ، وهما يحسان نشوة ، الملك
تلعب به نشوة الخمر ، وهامان تلؤه نشوة الزهو ، فقد خصته
الملكة بدعوتها مع الملك ، وميزته عن سائر الأمراء !

ودخل الملك الى جناحه ، واستلقى فى الفراش الوثير .
وحاول أن يغمض عينيه ، واذا بصورة استر تحتل رأسه ،
انه يراها بالغة الروعة والجمال وهى تقتحم عليه قاعة
عرشه وانه ليراها نابضة بالحياة وهى تسقيه اليوم كتوس
النشوة ، وأحس حينئذ اليها ، وهفت روحه الى لقائها ، فبعث
يدعوها اليه .

وجاءت استر ، وهى آية فى السروعة والحسن ، فسراح
الملك بضمها اليه فى وله وهيام ، وتقضى الوقت بهيجا ، وتمددت
استر فى افراء ، وقالت :

— أن أروع لحظات حياتى يا مولاي هى تلك اللحظات
التي أقضيها معك ، وتلك السويعات التى أخلو فيها بنفسى
لأفكر فيك .

فقال الملك وهو يرمقها فى اعجاب :

— جميل يا استر ان يستطيع الانسان ان يعيش فى ماضيه السعيد .

ورأت استر ان الفرصة مواتية لتنفيذ الى غرضها ، فقالت :

— ما الذى تقلب صفحات الماضى يا مولاي ، ان بعض الحوادث اذا عشنا فيها بأفكارنا لنملأنا نشوة أكثر من تلك النشوة التى شعرنا بها يوم عشنا مع تلك الحوادث فى واقع حياتنا .

فقال الملك وهو يعيث بيده فى شعرها السبط المتناثر على الوسائد فى روعة :

— هذا حق يا استر .

فقالت استر وقد أمتر شعرها من ابتسامة رقيقة :

— ما رأيك يا مولاي، فى أن نمضى ليلتنا فى ماضينا ؟

— ماذا تقصدين يا استر ؟

— أن نمضى هذه الليلة فى قراءة سفر الأيام ، فنبعث الى الحياة تلك الوقائع الرائعة التى طواها الزمن .

— فكرة جميلة .

وأمر الملك غلمانه أن يحضرو سفر أخبار الأيام ، فلما أقوا به تناولته استر وأخذت تقرا فيه ، والملك يصغى اليها شارد الفكر ، يتذكر حوادث الأيام . واستمرت استر فى القراءة حتى اذا بلغت قصة مريخاي وتلك المؤامرة التى كانت تدبر لاغتيال الملك تمهلت فى قراءتها ، حتى اذا انتهت منها قالت :

— هذا رجل أسدى الى الدولة أجل خدمة .

فقال الملك :

— هذا حق .

— ماذا فعلت له يا مولاي ؟

— لا أذكر يا استر أننا فعلنا له شيئاً ، كل ما أذكره أننا
منحناه بعض المال ، ماذا يقول الناس عنا ، أننا أخطأنا في
حقه ولا شك ، رجل ينقذ حياتنا ولا نكرمه ولا نطعمه ،
هذا نكران !

فقالت استر وهي تطوقه بذراعها :

— ليت الذين حولك يا مولاي مثل هذا الرجل الذي أضع قلبه
بالإخلاص .

وأحس الملك حرارة أنفاسها ، فقال في حماسة :

— غدا سنفكر ، أنا وهامان في تكريم هذا الرجل .

فقالت استر ، وقد اختلطت أنفاسها بأنفاسه :

— لي رجاء يا مولاي .

— ماذا يا استر ؟

— إذا أردت أن يكون رأي من تستشيرهم خالصاً ، فلا تذكر
له اسم من تريد تكريمه .

— فما أذكر له ؟

— سله عما يشير بفعله لرجل يسر الملك أن يكرمه .

أدار عبير أنفاسها رأسه ، فقال :

— غدا يا استر نتحدث في الأمر .

نغمضت استر :

— في وليمة الغد .

وغابا عن كل شيء إلا عن نفسيهما .



وامسى ميعاد الوليمة التى اعدتها استر ، فاقبل أخشويروش وهامان . وما أدارت استر عليهما كئوس الخمر ، حتى تذكر الملك ما كان فى الليلة الماضية ، فقال لهامان وهو يرنو الى استر :

— بماذا تشير علينا يا هامان فى رجل يسرنا أن نكرمه ؟
كان هامان يشعر بحب الملك له ، فحسب أن الملك ينوى تكريمه لاخلاصه وتغانيه فى عمله لمصلحة الدولة ، وأنه ما سألته هذا السؤال الا ليترك له فرصة الافصاح عما يحب وما يشتهى ليحققه له ، فقال هامان :

— أرى يا مولاي أن يكلف أحد الاشراف باللباس ذلك الرجل اللباس السلطاني ، وأن يقدم له فرس الملك ليركبه فى ساحة المدينة ، وأن ينطلق الشريف أمامه يهتف : « هذا جزاء من يرضى الملك عنه ، ويأمر بتكريمه » .
فثالت استر فى فرح :

— هذا هو الراى يا مولاي ، يا لرجاحة عقل هامان !
وابتسم هامان فى خيلاء . وقال الملك :
— خذ اللباس والفرس يا هامان ، واذهب الى مردخاي ، ذلك اليهودى الجالس ببابى ، وافعل به كل ما قلت ، انه يسرنا أن نكرمه .

واحس هامان انقباضا ، فبا كان يدور بخلفه ان يكرم
الملك يهوديا بعد ان اهدر دم يهود مملكته جميعا ، وفطنت
استر الى عبوسه ، فافترت شفتها عن ابتسامة خبيثة ، وقالت :
— ماذا يا هامان ؟ لكانما امر مولانا ادهشك ؟

فقال وهو يكتم غيظه :

— سأفعل ما امرنى به مولاي .

خرج هامان وفى صدره آتون نار ، وذهب الى مردخاي ،
والبس له لباس الملك ، وأركبه فرسه ، وانطلق امامه ينادي :
— هذا جزاء من يرضى الملك عنه ، ويأمر بتكريمه .

وتجهر اليهود فى مساحة المدينة يهتفون فرحا ، وسار
هامان يترنج يمكاد يموت من الكمد .

ووقد الليل بهدوئه وسكونه واسراره . بعث الملك فى طلب
استر ، فأقبلت تخطر رقبة كالنسيم ، ناعمة كالأنفى ، وارتمت
فى أحضانه ، كأنما تلوذ به وتحتسى فيه ، فمر يده على
عنقها العاجى وعلى جسدها الثرى ، وهمس فى وجد :

— ما أروع هذا العنق البديع !

— هذا العنق البديع يا مولاي يستعمل فيه السكاكين .

فقال أخشويروش مرتعا :

— من الذى يجرؤ أن يمسه ؟ !

— من اساء استغلال عطفكم ورعايتكم .

— من يكون ؟

— هامان يا مولاي ، هامان الذى حرضكم على اليهود ،
الذين اخلصوا لكم ، والذين ما كان لهم هم الا توطيد دعائم
ملككم ، والذين لم يرتكبوا اثما ، ولم يفعلوا ذنبا الا أنهم أحبوكم .
فقال أخشويروش :

— أنى لا أفهم شيئاً ، وما علاقتك أنت بهامان وبأمره بقتل اليهود ؟

— أننى يهودية يا مولاي ، فإذا نفذت أمر القتل فيهم قطعت رأسى معهم . بحق حبيبى يا مولاي أستوهبك حياتى وحياة شعبي .

ولفحت وجهه أنفاسها الحارة ، ورنعت إليه بعينيها الجذابتين اللتين أصبح عبداً لهما ، فتحرك حبه ، فضمها إليه ، أنه لا يطيق النأى عنها ، فمن هو هامان الذى يريد أن يفرق بينه وبينها ؟ ونسى الملك الغارق فى الخمر والشهوة ما أسداه هامان إليه وإلى مملكته ، فصاح بغلمائه :

— إذا جاء هامان المعتوه ، فادخلوه على .

— ١١ —

واقبل هامان ، فأسرع إليه أحد أعوانه يفضى إليه أن الملك حائد عليه ، فمحبب هامان ، واشتد محبه ، فما دار بخلده أن يحقق الملك عليه ، ورأى أن يدخل على استر يسألها سبب ذلك الانقلاب ، وأنه ليرجو أن يجد عندها عوناً ، فقد أكرمه واصطفته على سائر الأمراء .

انطلق الى جناح الملكة ، واستأنن فى الدخول ، فأذنت له بعد أن بعثت الى الملك من يوسوس له أن هامان فى جناح الملكة . ودخل هامان وهو مضطرب ، وما أن وقع بصره على استر حتى قلب فى صوت ينم عن المشاعر المشتعلة فى جوفه :

— بلغنى يا مولاتى أن الملك حاقد على ، ولا أدرى لفضيبه
سببا .

وصمت وانتظر أن تتكلم الملكة ، ولكنها لم تنبس بكلمة ،
بل رمته بنظرة لم يرتج لها ، فملك نفسه ، وقال :

— ليتنى أعرف ذلك الذى مشى بالبهتان بينى وبين
مولاي .

فهيبت كنبرة ، وقالت فى قسوة :

— أنا يا هامان .

بهت ، وأجمته المفاجأة ، وطارت نفسه شعاعا ، وقال فى
اضطراب :

— انت ، انت يا مولاتى ؟ !

— نعم أنا يا هامان ، أنا استر اليهودية التى وسوست لملك
أن يبيدها ويبيد شعبها ، حتى استجاب لوساوسك .

— مولاتى ، ما كنت أعرف أنك يهودية ؟

فقالته له فى سخرية :

— آه ! لو كنت تصرف ذلك لغرشت طريق اليهود

بالورود .

— لا ، ما كنت أفعل إلا ما فيه مصلحة مولاي ومصلحة

بلادى .

— وماذا كنت تفعل ؟

— كنت أشير عليه أن يبيدهم ، الآن فى أبادتهم حياته وحياة

شعبه .

— يا عدو اليهود أمقتك من كل قلبى ، أمقتك بكل جارحة

من جوارحى ، أمقتك مقتى للموت .

— يحز فى نفسى أن يسقط الملك فى حبالك ، انى حزين ،

حزين حتى الموت ، لأن أعداء هذه البلاد تسلطوا عليها . وأصبح
عبيد الأمم السادة الحاكمين .

— لن يطول حزنك يا هامان ، ساريحك من آلام نفسك
الخبیثة .

ودنا هامان منها ، وهو ينظر اليها شزرا ، فصاحت به :
— ابتعد عني ، يا أبغض من وقعت عليه عيناي ، ابتعد .
وفتح الباب ، ودخل الملك وصوت استريرن في اذنيه .
فثارت ثائثرته ، ورأى هامان بالقرب ممن شسفف بها حبا ،
فتحركت غيرته ، فصاح :

— يا للئيم الذي أكرمه فكفر بنعمتي ، ودخل على أهلى
في غفلة منى .

فهتف هامان في توسل :

— مولاي ، أتوسل اليك ان تصفى الى .

— أخرس يا فاجر .

ودنت استر حتى التصقت بأخشويروش ، فصاح :

— ما كان لمن يتكرنى ان يعيش .

— اننى يا مولاي خادمك الأمين .

ونادى الملك رجاله ، وصاح فيهم :

— خذوا هذا القذر واقتلوه .

— مولاي ! مولاي .

وانقض الرجال على هامان الإلاجى ، وخرجوا به ، فغمغمت
استر في راحة :

— الى الجحيم يا عدو اليهود .



قتل هامان ، فخلا الجو لاستر ، فأصبح الملك أطسوع لها من بناتها ، تحركه كيف تشاء ، فكانت تنفذ أهدافها بين رشف الكئوس ، ورشف الثقور ، فمكنت لرخاى فى القصر ، وقريته من الملك ، حتى أمر بمنحه ضياع هامان وقصره وأملاكه .

وظلت استر به حتى أقنعت أن ينقض أمره القاضى بقتل اليهود ، فدفع الملك بخاتمته الى استر ومردخاى ، فبعثا الى كتاب الملك وأمرهم أن يكتبوا الى الولاة أن الملك العادل أحشويروش قد عفا عن اليهود وأكرمهم ، وخصهم برعايته . وخرج الرسل على الخيل والبغال ، وانطلقوا الى الهند وفارس والبلاد الممتدة الى كوش ، يحملون أوامر من أصبح العوبة فى أيدي اليهود .

ولم تتقنع استر بما نالتسه ، فحقدتها على هامان لم يطفىء لهيبه المسوت ، انها تحس رغبة فى أن تبطش بكل ما يمت بسبب اليه ، فواحت تحرض الملك على قتل أهل هامان . فاستجاب لها الرجل المسلوب الارادة ، وبطش بأهل من كان أخلص الناس اليه .

وتحركت فيها روح الشر ، فجعلت تحرض اليهود على التنكيل بأهل البلاد ، لتزل الرعب بقلوبهم ، فتمكن لأهلها فى الأرض ، فقام فى مملكة أحشويروش عهد من الارهاب ، فى ظل استر ومردخاى ، وفى غفلة من الملك اللاهى عن شعبه

بالجسد العرب ، الذى يحوى بين جنبيه روحا تهفو الى سفك
الدماء .

وراح مردخاى يقدم إلى الملك اسرابا من العذارى ،
ليشغله باللذة عن المظالم الواقعة فى ملكه ، فصارت الملائكة
الهائلة الممتدة من الهند وفارس وكوش مرتعا خصبا لليهود ،
فرضوا عن اسستر وقدسوها ، ودونوا قصتها فى الكتب
المطهرة !



سـالـومى

(ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون
النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون
بالقسط من الناس فيشرهم بمذاب اليم ، أولئك
الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم
من ناصرين) •

« قرآن كريم »

— | —

الهدوء يلف كل شيء ، حتى كان زغيف النسيم يسمح ،
والضوء الخافت المنبعث من ذبالة ضعيفة ، يبدد الظلام ، ويفرش
المكان بنور واه لطيف ، نرتاح اليه النفوس ، وكان للمكان قدسية
وجلال ، انه محراب نبي من انبياء الله .

ولاح فى الضوء الخافت اللطيف شبح فتاة ترتدى البياض ،
كعت فى خشوع تبتهل الى الله ، وجرت الدموع على خديها من
لرهبة والوجد ، وكان فى وجهها نورانية وصفاء . واتبل
شيخ يمسير الهوينى ، وقد نال منه الكبر ، يلوح فى وجهه التقى

والصلاح ، ودخل عليها زكريا المحراب ، فوجد عندها فاكهة في غير أوانها . متعجب وقال لها :

— يا مريم أنى لك هذا ؟

— هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب .

وراح زكريا يفكر فى أمره ، انه قارب الثمانين ولم يرزق ولدا ، وحز فى نفسه أن يبقى فردا وقد مسه الكبر ، وتمنى أن يهب الله له غلاما ، ولسكن ما كان له أن يطمع فى ذلك وأمراته عاقر ، ووقع بصره على الفاكهة ، فأحيا ذلك موات الأول فى نفسه ، ان الله الذى يرزق مريم الفاكهة فى غير أوانها ، قادر على أن يهب له ذرية ، على الرغم من أنه شيخ وأمراته عاقر .

ودخل محرابه ، وسجد فى خشوع ، وجعل ينادى ربه فى حرارة :

— يارب . يارب . يارب .

وصفت نفسه وتفتحت روحه . وأحس كأن ينبوعا من النور تفجر فى جوفه ، فبدد الظلام الذى كان يحتويه صدره ، وشعر كأنما دنا من ربه ، فقال :

— رب ، انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيئا ، ولم أكن بدعائك رب شقيا ، وانى خفت الموالى من ورائى ، وكانت امرأتى عاقرا ، فهب لى من لدنك وليا ، يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا .

وأطرق خائسا ، وفاض النور فى المحراب ، وسسمع حفيفا خفيفا ، فثلث ، قرأى ملكا كريما يقول فى صسوت اخاذ :

— يا زكريا ، انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجمل له من قبل سميا .

مرفع زكريا رأسه الى السماء ، وقال :
 — رب ، انى يكون لى غلام : وكأنت امرأتى عاقرا ، وقد
 بلغت من الكبر عتيا ؟ !
 قال الملك :
 — كذلك قال ربك : هو على هين ، وقد خلقتك من قبل ولم
 تك شيئا .
 — رب اجعل لى آية .
 — آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا .
 وخرج زكريا على قومه فى المحراب ، يفيض وجهه بالبشر ،
 ويخفق قلبه من السرور ، ورمز الى قومه أن يسبحوا بكرة
 وعشيا ، فقد استجاب له ربه ، ووهب له يحيى .

— ٢ —

سار يحيى يقسب وجهه فى السماء ، ويمد بصره الى
 ملكوت الله ، فيحس رهبة وجلالا ، ويخشع قلبه ، ويعمل فكره ،
 كان يرى الله فى كل ما تقع عليه عيناه ، انه شىء فى بيت
 النبوة ، فرأى أباه فى محرابه ، يعبد ربه ويقدم له ، فعسرف
 الله ، وصار يهابه ويخشاه .
 وانطلق وهو مشغول الى بيت المقدس ، فلمحه اثرابه من
 الصبيان ، فهرعوا اليه ، وقالوا له :
 — يا يحيى اذهب بنا نلعب .
 فقال لهم وهو منطلق فى طريقه :

— ما للعب خلقت .

ودلف إلى بيت المقدس ، فرأى المجتهدين من الأحبار
والرهبان وعليهم مدارع الشعر ، وبرانس الصوف ، وهم يعبدون
الله في خشوع ، فتفتحت نفسه ، وهنت روحه اليهم ، ووقف
ينظر وقد شاعت البهجة فيه ، وسكنت الطمأنينة قلبه ، وأحس
هدوءاً عجيباً .

وبقى في المسجد هائلاً ، تهيم روحه بملكوت السماء ،
حتى إذا عاد إلى داره احتضت رأسه فكرة ، فأتى أمه وقال
لها :

— يا أمه ، أتسجى لى مدرعة من شعر ، بونسا من
صوف ، حتى آتى إلى بيت المقدس ، وأعبد الله تعالى مع
الأحبار والرهبان .

فنظرت إليه أمه وقالت :

— حتى يأتى نبي الله زكريا عليه السلام ، فأؤامره في
ذلك .

واقبل زكريا ، وتأهب ليدخل محرابه ، فجاءته زوجته
وقالت له :

— أن يحيى قد طلب منى أن أتسج له مدرعة من شعر ،
وبرنسا من صوف .

فالتفت زكريا إلى ابنه وقال :

— يا بنى ، ما يدعوك إلى هذا وإنما أنت صبي صغير ؟
فنظر الصبي إلى أبيه بعينين يتسع منهما بريق الذكاء
وقال :

— يا أبت ، أما رأيت من هو أصفر منى ذاق الموت .
فأشرح صدر زكريا وقال :

— بلى .

ثم التفتى الى زوجه وقال :

— انسجى له مدرعة من الشعر ، وبرنسا من الصوف .

— ٣ —

جلس فيليبس ملك اورشليم على عرشه ، وجلست الى جواره زوجته هيروديا ، وراحت ابنتهما سالومي تنظر من النافذة ، ترقب طرقات المدينة العتيقة . كانت هيروديا رائعة الحسن ، أندى من الندى ، وأنضر من أزهار الربيع . كان جمالها أخذاً ، يعبت بالأمثلة ، وتهفو اليه القلوب .

وأقبل هيرودس أخو الملك ، وأخذ بأسباب الحديث ، كان يحدث أخاه ، ويرنو الى هيروديا فى اعجاب ، ويرمقها فى اشتها ، وكانت عيناها الوالهتسان تتلاقيان وعينيها ، فكانت تحس حرارتها ، وتلم لفتها ، فترقت على شفيتها ابتسامة ، وتتألق عيناها ببريق السرور والارتياح .

واقتربت سالومي من هيرودس ، فمد يده وضمها اليه ، وقال وهو يرنو الى أمها فى هيام :

— يا لروعة حسنك ! جمالك يا سالومي قاهر جبار ، يهز أوتار القلوب ، ويزيد خفقات الأمثلة بين الضلوع .

فأشرق وجه هيروديا ، وقال فيليبس وهو يضحك :

— دع يا هيرودس الفتاة ، لكأنك عاشق برح به الغرام .

فقال هيرودس فى حرارة ، وهو ينظر الى وجه زوجته أخيه الفتان :

— انها يا فيليبس تملعة رائعة لأقدر فنان .

وهام هيرودس بـزوجة أخيه حيا ، وبأدلتـه هيروديا ذلك
الفسـرام ، فراحا يتسـالـقيـان ، وملك حبسه لها حواسسه .
وسيطر عليه ، فلم يطق أن يشاركه فيها أنسان ، ففكر ودبر ثم
قابل هيروديا ، وقابـاجـها وهمس لها بما عقد عليه العزم . فلم
تثر ولم تفزع ، بل شجعته على أن يقدم على أنفاذ ما دبر ، فقد
كانت امرأة تهوى المغامرات .

ومى الليلة الموعودة ، تدثر أعسوان هـيرودس بالظلام .
وانسلوا الى القصر وانطلقوا الى مخدع فيليبس ، فآلفوا كل
شئ هينا ميسورا ، فقد دبـرت هيروديا الأمر ، وأحسكت
التدبير ، كان باب مخدعه مفتوحا ، وما كان هناك أحد من
الحراس .

وانقض الرجال على فيليبس وشدوا وثاقه ، وقادوه الى
سجن القصر ، وما تنفس الصبح حتى كان هيرودس مقربعا
على عرش اورشليم والى جواره هيروديا .

— ٤ —

راح يحيى يهيم فى البرارى ، يأكل من ورق الأشجار ، ويرد
ماء الأنهار ، ويتغذى بالجراد ، ويستر جسمه مدرعة من الشعر ،
وعلى حقوية منقطة من جلد ، وكان يدخل بيت المقدس ينقل الى
الناس أوامر السماء ، ويبشرهم بقرب ظهور المسيح ، ابن
الانسان ، منقذ البشرية .

سار فى مسالك المدينة ، وقد التف حوله من صدقه ، وراح يقول :

— تووبوا فقد اقترب ملكوت السماء .

وعلم يحيى ما فعله هيرودس بأخيه ، فغضب ، وأخذ يقول ان هيروديا لا تحل له ، واشتد فى تقريع المرأة ، وكان كلما قابل جماعة من بنى اسرائيل أعلن سخطه على ما اقترب مفتصب الملك والزوجة ، وبلغ هيرودس ما يقول يحيى ، فثار ، ولكنه لم ينفس عن ثورته ، كان يخشى ان يهد يده الى يحيى بأذى ، خشية أن يثور الشعب لنبيه .

وحققت هيروديا على يحيى ، فطفت تحرض هيرودس على البطش به ولكنه كان يتريث هية منه ، وخوفا من أتباعه ، وفكر فى أنه لو قضى على فيليبس فقد تخفف حملة يحيى الشديدة التى تهدد ملكه ، وتزعزع سلطانه .

وبعث هيرودس جلاده الى السجن ، وما خرج منه حتى كان فيليبس جثة هامدة ، وذاع نبأ قتله ، فاشتد يحيى فى لوم هيروديا الفاجرة ، فأخذت تضغط على هيرودس لينتقم لها من ذلك الذى مرغ اسمها فى الأوجال ، فلم يجد مفرأ من أن يذعن لها ، فأرسل جنوده فى طلبه ، فلما مثل بين يديه قال له :

— ألا تكف عنا ؟

— حتى تكف عن معصية الله .

— وكيف ؟

— أن تهجر الفاجرة .

فثارت هيروديا وصاحت :

— اقتلوه ، اقتلوه .

وقال الملك :

— ولماذا اهجرها ؟
— لأنها لا تحل لك .
وظهر فى وجهه هيرودها الغضب الشديد ، وصاحت :
— اقتلوه .. اقتلوه .
وقال الملك لحراسه :
— القوه فى غيابات السجن .

— ٥ —

راحت سالوى تمرح فى القصر كغراشة طليقة ، وفى يوم
من الأيام بينا كانت بالقرب من السجن ، وسمعت صوتا عميقا يهتف
فى نبرات تهز القلوب :
— فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه ، هو الذى يأتى
بعدى ، الذى صار قدامى ، الذى لست بمستحق أن أحل سيور
حذائه .
ووقفت سالوى تفكر فى ذلك النبى الذى رمى امها بكل
سوء ، فأحسبت رغبة فى أن تراه ، ولم تستطع أن تقلوم اغراء
الفكرة ، فالتجتهت إلى حارس السجن ، وقالت له :
— افتح هذا الباب .
— لماذا يا مولاتى ؟
— أريد أن أرى ذلك النبى .
— محال أيتها الأميرة ، فقد حرم الملك أن يراه أفسان .
— كيف هو ؟ أهو شيخ كبير ؟

— لا يا مولاتي ، انه سائب رائع الحسن .
 قدنت سالومي من الحارس ، وقالت في دلال :
 — افتح لأراه .
 — مولاتي .. مولاتي ..
 — افتح ، ولن يعلم الملك شيئا .
 وفتح الحارس الباب ، فهبطت سالومي درجات ، وألقت
 نفسها في حجرة ضيقة ، وقد وقف في ركن منها يحيى ، بقامته
 المديدة ، وقسماته الجميلة ، ونظرت إليه ، فبدأ في وجهها
 العجب . كان أبيض البشرة ، واسع العينين ، حسن الصورة ،
 فمس حسنه شغاف قلبها ، قدنت منه خافقة الفؤاد ، غرغ
 رأسه ، وقال :
 — من أنت ؟
 — أنا سالومي ابنة هيروديا أميرة الأردن .
 — ابتعدى عني ، فقد ملأت أمك الأرض عصيانا .
 — ما أحلى صوتك يا يحيى .
 ودنت منه ، وهي تكاد تلتهمه بعينيها ، فارتد خطوات ، وهو
 يقول :
 — لا تقتربي مني ، اذهبي ، اذهبي .
 واحسنت شغفا في أن تغري نبيا ، فقتل وهي تتثنى ، وترنو
 إليه في وله :
 — ما أجملك يا يحيى !
 — غضي من بصرك يا فاجرة .
 ومدت يدها تتحسس وجهه ، ولفحت أنفاسها الحارة جيده ،
 فنفر منها وصاح :
 — ابتعدى عني ، ابتعدى عني .

وثبتت عينيها على قمه ، وقالت :

— ما أروع ثغرك يا يحيى ، تعال وضع شفئك على شفتي .

— اذهبي .. اذهبي .

— أنصت يا يحيى ، أنصت . ألا تسمع دقات قلبي ،
أن الفؤاد يخفق بحبك ، وشفتي ترتجفان ، وجسدي
استمر نارا ، قبلة راحدة تطفىء اللهب الذي أشعلته
عينك ..

وأشاح بوجهه عنها ، وهي تدنو منه وتقول :

— قبلني يا يحيى .

— أخرجي يا سالومي .. أخرجي ..

— قبلة واحدة تطفىء النار التي نأججت في صدري .

— اضربي عن وجهي يا فاجرة .

وبقيت سالومي تتكئ وتتاود ، ويحسب ينفسر منها ،
وخرجت أخيرا مطأطئة الرأس ، مقبضة الصدر ، دامية النفس ،
تحس ذلة الاتكسار ، وقد اندلعت النار في أحشائها . جاءت
لترى النبي الذي تمقته أمها : فخرجت من عنده تحس طعم
الصاب في فيها ، فقد أشهت النبي الجميل ، وحاولت أن تضع
شفتيها على شفتيه ، ولكنه صدها أقسى صد ، وترك نار
الصباة ترعى في الصدر ، وتضني الفؤاد .

كان اليوم عيداً من أعياد القوم ، فأتبل إلى القصر لأشرف
وكبار رجال الدولة والأعيان ، وانتظم عندهم ، فجعل الملك
وهيروديا وضيوفهما يعبون الخمر ويضحكون ، وجلست سالومي
ساهرة ، قد غاضت نضارتها ، فقد جرحت هزيمتها كبرياءها ،
وجعلت أبخرة الحقد تنتشر في صدرها فتخفقها .

وارتفعت ضوضاء المجتمعين ، وراحت ضحكاتهم المخمورة
ترن في جنبات القصر ، وبلغ يحيى في سجنه أن المسيح قد ظهر ،
وأنه أحيى الموتى ، وأبرا الأعمى والأصم والابرس ، فصاح :
— العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ،
والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون .

ورن صوته في القصر ، فصمت الجميع ، وقال أحدهم :
— ما هذا ؟

فقال هيرودس :

— أنه يحيى .

— ماذا يقول ؟

— لا أدري .

فالت هيروديا في ضيق :

- انه يهرق .
- وبلغ صوته آذان سالومي ، فزاد امتناعها ، وسرعان ما سادت السرضاء ، وانطلق القوم في مرحهم .
- ولاحظ هيرودس انطواء سالومي على نفسها ، فقدم اليها كأسا من الخمر فرفضتها ، فقال لها :
- اشربي .
- لا يا مولاي .
- اشربي وامرحي يا سالومي ، فاليوم عيد .
- فانتر شغرها عن ابتسامة باهتة ، فقال لها :
- ارقصي يا سالومي .
- لا اشعر برغبة في الرقص يا مولاي .
- ارجو ان ترقصي .
- لا استطيع . . لا استطيع .
- فقال لها في اغراء :
- اذا رقصت لي اعطيتك ما تشائين . . .
- فخطر لها فكرة . انها تستطيع ان تنار من ذلك الذي جرعها كأس الهوان ، قرنت الى الملك وقالت :
- حقا ؟
- أقسم لك يا سالومي .
- بماذا تقسم ؟
- أقسم لك بآلهتي ما سألتنى شيئا الا اعطيتك .
- لقد أقسمت .
- أقسمت يا سالومي وما حدثت في قسمي قط .
- وغابت سالومي قليلا : وعادت في غلالاتها السبع

وانسابت الانتقام العذبة ، خراحت ترقص وتغنى فى خفة الطيف .
وأخذ الجميع يرمقونها نى اعجاب ، وقد حبست الأنفاس .
كانت ترقص فى حرارة تتدفق فى عروقها نار . وانبسطن
الأسارير ، وقاض وجه الملك بالبشر ، وسالوى تميل ، فتميل
منها القلوب ، وما انتهت من رقصتها حتى هرعن الى الملك ،
وانحنن أمامه ، فقال لها فى انشراح :

— انهضى لأمنحك ما تطلبين ، لقد أدخلت يا سالوى على
نفوسنا السرور . ماذا تريدن ؟

— هدية فى طست من فضة .

فظهرت الدهشة فى وجه الملك ، وقال :

— هدية فى طست من فضة ، وما هذه ؟

— رأس يحيى .

فأربد وجه الملك ، وتهلل وجه هيروديا ، وقالت :

— احسنت الاختيار يا فتاتى ، انها خير هدية فى هذا

العيد .

فقتال الملك فى جزع :

— لا . لا يا سالوى . لا تسألينى ذلك .

— أريد رأس يحيى نى طست من فضة .

— لا .. لا .

— لقد أقسمت . أقسمت قسما عظيما .

— أقسمت يا سالوى ، ولكن أقوسل اليك أن تسألينى

شيئا آخر .

— لا أريد الا رأس يحيى .

— لا ...

فقال هيروديا :

— لقد أقسمت ، بر بقسمك .

— أسكتى .

فقالته سالومي فى اصرار :

— أرجو رأس يحيى .

— ما هذا يا سالومي الذى تطلبين ؟ ان ما تطلبين
مريع !

— أعطنى رأس يحيى .

وحسبت هيروديا ان سالومي تطلب رأس يحيى اكراما لها .
فقالته :

— أعطها ما طلبت ، أعطها رأس من سب أمها ، ولطخها
بالعسار .

ونظرت الى ابنتها فى شكر ، وما دار بخسلدها ان
سالومي تطلب رأسه لتنتقم لما نالها من هوان ، لعل النار
التي استشرت فى جوفها تخدم ، ولعل القلب الذى كان
ينزف حقدًا يهدأ ، ولعلها تستطيع ان تلثم الفم البارد الذى عز
عليها ان تلثمه وهو نابض بالحياة .

وانكمش هيرودس من مرثه ، ونزل به هم ثقيل ، وقال
لحراسه فى صوت خفيض :

— أعطوها ما طلبت .

وخرج الحراس ، وساد القاعة صمت رهيب ، ومر
الوقت بطيئا بطيئا ، وقد استولى على الجميع رهبة
وتلق . ثم عاد الحراس يحملون طستا من فضة به رأس
يحيى بن زكريا ، وقدموه لسالومي . فنظرت الى فيه وقد

اتسعت عيناها ، وادنت شفتيها لتلثم شفتيه ، ولكن
الأرض زلزلت ، وانقضت صاعقة من السماء ، فسقطت
سالومي صريعة ، وسقط الرأس بعيدا ، فقد حرم عليها
ان تلثم شفتيه حيا وميتا .

الْقِصَصُ الْكَلِيمَةُ

(قصص من الكتب المقدسة)

نداء من السماء

— ١٦ —

سار « شطا » فى ردهات القصر شاردا اللب ، مبلبل الفكر ، متقبض الصدر ، يمد بصره الى لا شىء ، وقد ارتسمت الحيرة فى وجهه . وكان شابا تدل قسماته على الذكاء ورجاحة العقل ، انطلق دون أن يفطن الى الخدم الذين كانوا يتحنون له تحية واکراما اذا ما أقبل أو أدبر ، ودون أن تجذب بصره تلك التماثيل الرائعة الفخمة ، التى كانت تزين ردهات القصر العظيم ، فقد كان واجما منطويا على نفسه ، انه يحس اضطرابا وقلقا ، فقد كره عيشته ، وعانت نفسه كل شىء ، ودلف الى غرفة كانت من أحب غرف القصر الى قلبه ، ولطالما اجتمع فيها بعلماء المدينة ، وطالما اصغى اليهم فى نشوة ، وطالما أخذوا يأمهم بأطراف أحاديث لذيذة كانت تنعش روحه ، وتعيد اليه هدوءه .

ألقى العلماء مجتمعين يريدون النقاش بينهم ، فجلس كما اعتاد أن يجلس ، وأعارهم سمعه ، وما انتفى قلیل وقت حتى شرد فکره . وعاد اليه وجوه وحزنه ، وسرعان ما فطن الى شرود ذهنه ، فراح يجمع شتات أفكاره ، ويحاول أن يلقى السمع اليهم ، وأن يتتبع حديثهم فى

شغف ، ولكن ما مرت لحظات حتى احس ضيقا وانقباضا ،
فنهض مقبرما وانصرف مساهما مفكرا كما أقبل مساهما مفكرا .

وأغلق عليه بابه ، وراح يفكر فى نفسه وفيما حوله ،
وأرغى لخيساله عنساته ، فألقى نفسه سجين القيود ، وما
أبغض القيود الى النفس ، فما تخلف الا القلق والحيرة والفزع
والخوف والأحزان ، انه يود ان يكون طليقا من كل قيد . فلم
لا يهجر القصر ، وينبذ المال ، ويدع السلطان ، ليعيش وحيدا
بسيدا طليقا ، يتمتع بالراحة وهدوء الببال !

واقبل البامرك تحف به بطانته ، وسال عن ابنه ،
فقال له انه فى جناحه وقد أغلقه عليه ، فأطرق البامرك ،
وطافت به سحائب من حزن . فان ابنه قد ركن الى
الوحدة ، وأصبح يخلق عليه بابه ، لينفرد بنفسه يحادثها
وتحادثه . ان نفور شطا واعتزله أصبح يقلقه ، وان
وجومه صار يحزنه ، فلو ان ابنه كان كلداته من الشيب
بسر بلذات الجسد لمان الأمر ، ولجئت اليه بالجسوارى
القاتنات ، وبالسراى اللاتى يأخذن باللب ، ويشغلن
القلب ، ولكن ابنه أعرض عن كل شئ . وجعل البامرك
يعجب فى نفسه لوجوم ابنه ، وأغراقه فى التفكير ، فما كان
لئله أن يكتب أو يفكر ، فالدنيا لهم بأسسة ، بسيطة فى
العيش ، ومال موفور ، وخدم وحشم ، وسؤدد وسلطان ،
انه ابن حاكم دىياط ، وابن خال حاكم مصر المقسوقس
العظيم !

وسار البامرك حتى اذا ما بلغ باب ابنه طرقه فى رفق ،
ففتح شطا الباب ، فلما رأى أباه ابتسم ابتسامة ، كانت
أقصى على قلب الأب من الدموع ، فزادت من آلامه ، فقد

كانت ابتسامة ساهم واجم ، لا تعرف نفسه السراحة او
الهدوء ، واقترب البامرك من ابنه ، ولف ذراعه حوله ،
ورغا اليه رنوة كلها عطف ، وكلها حنان ، وقال له فى صوت
متهدج :

— ما بك يا بنى ؟

— لا شىء .

— فما بالك تفر من الناس وتغلق عليك بابك ؟

— ضقت ذرعا بالناس وتفاهاتهم .

— اخرج الى القصر يا بنى واختلط بمن فيه تذهب عنك
وحشتك ، ويعود اليك هدوءك .

— سئمت القصر ومن فيه .

— اخرج الى الصيد وروح من نفسك تجد لذة وشغفا
وسعادة .

— هيهات ! ما لى لى اللهو من ارب .

— وما تريد ؟

— ان تأذن لى بان ابنى صومعة ائفرد فيها .

— تبنى صومعة لتتركنا ! ؟

— ان روحى تهلو الى شىء ونفسى تتشوف له ، ولكنى
ادرى ما هو ، وكل ما ادريه انه ليس هنا فى القصر ، ندعنى
احيا حياتى .

— شطا ، ولدى .

— دعنى يا ايت اذهب ، دعنى ان روحى تعذبنى ..

تضيقنى .

فضمه البامرك الى صدره فى وله وحنان ، وقال له فى
توسل :

— لا يا شطا ، لن ادعك أبدا أبدا ، انى لا أطيق فراقك .
— انى أحس أن روحى هنا حبيسة ، ولن تهذا حتى تهيم
طليقة ، لتتصل بالكون .
— ابق من أجلى يا شطا . أما كفائى اليوم أن أعلم أن
العاصمة قد سقطت فى ايدى العرب المغيرين ، حتى تأتى أنت
لتزيد فى كربتى ؟ !
فخفض شطا بصره ، ولم ينبس بكلمة ، ونهض البامرك
وجذب ابنه من يده ، ليخرج به الى القصر .

— ٢ —

انتشرت الجيوش الاسلامية فى ربوع مصر تضع يدها
على مدينة اثر مدينة ، بين فرح الاهلين واغتيالهم ، فقد
كانوا قوما عدلا ، وما كانوا بفاسقين . وأخذ الناس يتناقلون
القصص العجيبة عن الغزاة الفاتحين ، وانتشرت أنباؤهم
حتى بلغت دمياط ، فجعل شطا ينصت الى ما روى عنهم
فى اهتمام وانتباه ، ويستفسر عن ذلك الدين الجديد الذى
جاءوا به لينشروه على العالمين . انهم قوم متواضعون رحماء
لا يريدون مرض الدنيا وزخرفها ، ولكنهم ييغون وجه الله .
انهم على تواضعهم اصحاب مثل عليا يخوضون المهالك
لتحقيقها ، ويجودون بأرواحهم راضين مطمئنين فى سبيلها .
انهم يحبون الموت حبهم للحياة .
وأخذ شطا يتقصى أخبارهم فى شفق ، ويفكر فيهم ،
وفيما جاءوا به ، فلا يزداد الا عجبا وأعجبا . وفى يوم وفد

الى القصر رجل من رجال المقوقس الذى فروا بعد سقوط
حصن بابلين ، فهرع شسطا اليه ، ليستمع الى انبياء أولئك
الذين أصبحوا شغله الشاغل ، وراح الرجل يقص نبأهم ،
فما كان لمصر حديث غيرهم ، وشسطا يستمع فى رضا . قال
الرجل فيما قال :

— انهم فى الليل رهبان ، وفى النهار فرسان ، اذا رأيتهم
فى سكون الليل يدعون ربهم ، ويصلون صلاتهم ، حسبتهم ملائكة
إبرارا ، واذا رأيتهم فى النهار فى حلبة القتال يطلبون الموت
ميفر متهم ، حسبتهم شياطين مردة .

وزحفت جيوش المسلمين تطلب دمياط ، فحصن البامرك
البلد ، وجمع الجيوش ، وتاهب للقاء ، واجتمع بأرباب دولته ،
وكان عندهم حكيم يثقون به وبرأيه ، فأرسل البامرك فى طلبه :
فلما جاء قال له :

— أيها الحكيم العالم ، ما الذى تشير به علينا فى امر هؤلاء
العرب ؟

— أيها الأمير ، ان هؤلاء القوم لا تذل لهم راية ، ولا تلحق
لهم غاية ، وقد فتحوا البلاد ، وأذلوا العباد ، وأشستهم
أمرهم ، وعلا ذكركم ، وقشبا خبرهم ، وعلت كلمتهم ،
وإلحقت بالأرض دعوتهم ، فما أحد يقدر عليهم ، وما نحن
بأشد من جيوش الشام ولا أمنع بلدا ، وهؤلاء القوم أيدوا
بالنصر ، وان الرحمة فى قلوبهم ، فعاهدوهم ، فما عاهدوا
عهدا فخسأوا ، ولا حلفوا بمينا فكذبوا ، وقد بلغك ما هم
عليه من الدين والصيانة والصدق والأمانة ، والراى عندى
ان تصالحهم لتغال بذلك الأمن ، وحقق الدماء ، وصون الحريم ،
ودفع الأمر العظيم .

فثارت نائرة البامرك ، فان الحكيم ليث روح الهزيمة في
القوم ، فاستل سيفه ، وقطع به راسه ، وصاح في القوم ان
يتأهبوا للحرب .

وجاء الليل يمد ارجيته الأسود ، وانسل شسطا الى
معسكر المسلمين ينظر ، فرأى الأعراب في ثيابهم البيض
يرتلون القرآن قرتيلا ، ويبتهلون الى الله في خشوع ،
واستمر يرقب ما يجري في المعسكر فالفى بساطة رائعة
تأخذ بمجامع القلوب ، ففتحت نفسه ، وغشيتة طمانينة
وهدوء ، وعاد شسطا الى معسكره متسللا تراوده امسكار
واحلام .

وطلع الصباح فخرج المصريون للقتال ، وكان البامرك
على رأس جيشه ، وعن يمينه شطا يرقب الأعراب كالمشعوه ،
واضطربت نفسه ، وخفق قلبه في صدره ، وشخص الى
السماء ببصره فرأى كأنما نور عظيم يسقط على عسكر المسلمين ،
فصاح وسقط عن فرسه ، فارتاع أبوه وجميع عسكره من تلك
الصيحة ، فلما أفاق قال له أبوه في اضطراب :

— ما وراءك يا بني ؟

فقال شطا في يقين :

— ظهر والله الحق .

وحرك جواده وقال :

— أشهد أن لا اله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

والتفت الى الرجال وقال :

— من أحبني من رجالى وغلماي فليتبعننى

وانطلق الى صفوف المسلمين وقد ألقى سلاحه ، وإذا

مالسف من المصريين يتبعونه ، ويلحقون به ، ويلتصون
بأسلحتهم .

وتطلع اليادرك الى ابنه ورجاله فى ذهول ، ومضت مدة
قبل أن يفيق الى نفسه ، ولما استرد ليه الذاهل بعد تلك المفاجأة
المباغطة قال :

— والله ما فعل ولدى شطا ذلك الا وقد راى الحق .
وحرك جواده ، وسار الى صفوف المسلمين ، فلما نظر
ارباب دولته ذلك قالوا :

— اذا كان الأمير وولده قد أسلما ، فما وقوفنا !
وانتشر الاسلام فى دمياط دون أن تراق قطرة دم .

— ٣ —

فتحت دمياط ، واعتنق البامرك الاسلام وتعصب له ، وشاء
ان يعمل على شره ، فالتفت الى شطا وقال :

— هذه تنيس بالقرب منا ، وهى جزيرة ، ولا يمكن التوصل
اليها الا فى المراكب ، والصواب أننا نكاتب صاحبها ابا ثوب ،
وندعوه الى الله ، والى دين نبيه ، فان أجاب ، والا قصدناه والله
بنصرنا .

فقال شطا :

— هذا هو الراى ، وانا آكون الرسول اليه بنفسى .

فقال البامرك :

— اعزم يا بنى على بركة الله وعونه .

وجهزت المراكب وركب شطا وأربعة من غلمانه

الخصاوص ، فلما نظر ذلك يزيد بن عامر صاحب رسول الله
قال :

— وانا أسير معك الى صاحب تنيس ، فانه لو سألك
عن ديننا ومعامله لم يجتد عندك ما يشفى غلته ، ونحن بحمد
الله ما فينا من يتكبر ولا يتجبر ، وما طلبتنا الا الآخرة ، والعمل
بها يقربنا الى الله .

واقطع المركب بشسطا ويزيد حتى اذا ما اقترب من الجزيرة
أسرع الحرمس اليهما ، فلما راوا فيها بدويا أظهروا عجبهم ،
وسألوا شطا :

— من أنت ؟

— انا ابن البامرك صاحب دمياط ، ومعنا هذا الرجل من
أصحاب رسول الله ، وقد جئناكم رسلا .

فأرسلوا واحدا منهم يستأذن لهم ، فأذن لهم أبو ثوب ،
فنزلوا في الزورق ، ولما بلغوا اليابسة وجسّدوا أبا ثوب
قد أرسل لهم دواب ليركبوها ، فامتنع يزيد من الركوب ،
ووافق شطا على ذلك ، وساروا كلهم راجلين الى أبي ثوب .

وبلغوا القصر ، فاخسترقوا مواره حتى دخلوا على أبي
ثوب ، واذا به في حشمه وخدمه وزينته ، والحجاب والغلمان
بين يديه ، فلما رأهم مقلين نظر اليهم شزرا ، ثم أعرض عنهم
في عجرة وكبرياء ، ولم يأذن لهم بالجلوس ، فلم يجسر أحد
من جماعته أن يأذن لهم ، فلما رأى يزيد بن عامر ذلك لم يفضب
ولم يثر ، بل قرأ في هدوء : (ان الأرض لله يورثها من يشاء من
عباده ، والعاقبة للمتقين) .

وجلس ، فجلس شطا الى جواره ، وراح يزيد يعرض

على أبي ثوب في ثقة : الاسلام او الجزية او القتال ، فغضب
أبو ثوب ، ولكنه كظم غيظه ، وأخذ بإطراف الحديث مع
يزيد ، واستمر الأخذ والرد ، والجذب والشد ، وأخيرا
أنصرف يزيد هو ومن معه الى دمياط ، وقابلوا البامرك ، فسألهم
عما فعلوا ، فقال يزيد :

— قال أبو ثوب انه سوف يعرض دين الاسلام على أهل
جزيرته وأصحابه وأهله ، ويبني المساجد ، ويأمر بالمعروف ،
وينهى عن المنكر ، فقلت له : ان أنت فعلت ذلك رشدت ، وان
تأفقت فإن ربك لبالمرصاد .

فأطرق البامرك قليلا ثم همهم :

— والله لقد خدعكم بخديعته ، ورماكم بسهم مكيدته .
فقال يزيد :

— (ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين) .

وانقضت أيام ، ووصل الى علم المسلمين أن أبا ثوب جمع
جندا من سائر الجزائر وأنه قادم عليهم ، فلما سمع البامرك بذلك
قال ليزيد :

— ما الذي ترى من الرأي في أمر هذا العدو ؟

— نستعين بالله ، وننتوكل على الله ، ومن قاتلنا
قاتلناه .

وأرسل البامرك شطرا الى البرلس ودميرة وطناح يجمع
الرجال ، فأنطلق شطرا يجند الجيوش ، فجاءوا من كل صوب ،
وطلب يزيد من عمرو بن العاص مددا .

نفر الى أبي ثوب الحساكر ، فأخرجهم بظلساهر تقيس ،
وعدهم في المراكب ، وأتوا نحو دمياط ، فالتوا جيش
البامرك على أهبة القتال ، فوقف الجيشان وجها لوجه ،

وبرز شطا للنزال ، فقتل رجالا ، وجسد ابطالا ، ونشعبت
المسركة ، واستمرت رهيبه حتى خيم الظلام ، فتحاجز
الجيشان ، وراح شطا يصلى الله ، ويدعوهم فى حرارة
وابتهسال حتى مضى اكثر الليل فاضطجع ، فلما كان وقت
الفلس ، وقرب الصبح وتنفس ، استيقظ شطا وهو باكى العين ،
فقال له ابوه :

— يا بنى ، ما الذى ابكاك ؟

— انى لك مغارق ،

فبان القلق فى وجه البامرك ، وقال :

— اعود بالله يا بنى ، ما هذا الكلام ؟

— رايت شيئا فى منامى .

— لعله اصفاء احلام .

— لا والله ما هى اصفاء احلام . انى رايت فى منامى
كان ابواب السماء قد فتحت ، واضواء قد سطعت ولعت ،
ثم رايت ملائكة يسجدوا على جباههم لا يقومون ، وركعا
لا ينتصبون ، وقايما من هيبه ربهم لا يقعدون ، باكين لا تجف
لهم دموع ، ثم رايت قبة من زمرد اخضر ، وفيها قناديل
من الجوهر ، وهى تشع بالانوار ، وتوقد من غير نار ، وفيها
اربعون حوراء ، عليهن حلل ما رايت قط مثلها ، ولا ابصرت
شكلا ، بوجوه مشرقه باسمه ، تفتن من رآها . فصاحت بى
احداهن ، وقالت : يا مفتونا بدار الدنيا ، اما آن لك ان تذكرنا
ان مهرانا منك الجهاد .

وصمت شطا ، وشخص ببصره الى السماء كأنها يتطلع الى
شئ ، وقال البامرك :

— أعلم يا ولدى أن المنام قد يصدق وقد يكذب ، فلا تشغل نفسك بما رايت .

— لا والله يا أبت ، ما بقى لى فى الدنيا طمع .

وصلى شطا فى اطمئنان ، وما طلع الصبح ولاح ، حتى تاهب للخروج الى الحرب ، فتعلق به أبوه دافع العين ، وقال له :

— يا بنى ، بحقى عليك لا تبلى بفراقك .

— دع منك العتاب .

فضم الباهر ابنه اليه فى وله وقد سحت العيون .
وخفتت القلوب فى الصدور ، انه الفراق ، وهمس البساهر فى
أذن ابنه فى صوت مخنوق بالبكاء :

— يا بنى ، ان صح منامك فاذكرنا عند ربك .

وبرز شطا للقتال كليث فى اكمة ، ودعا للبراز ، فخرج اليه واحد فقتله ، وثان وثالث حتى قتل اثنى عشر فارسا ، فلما رأى أبو ثوب ما فعل شطا بفريسيانه لم يطلق صبرا ، فخرج اليه بنفسه ، وكان فارسا صنديدا ، ودار القتال بينهما رهيبا ، لا هواده فيه ولا رحمة ، واستمر نصف نهار ، فمطش شطا ، ولاح له فى السماء الثبة التى رآها فى المنام ، والحوراء التى قالت له : يا مفتونا بدار الدنيا ، ان أن لك أن تذكرنا ، وفى يدها كأس ، وكأنما سمعها تهتف به :

— يا شطا هذا شراب من شرب منه لا يسقم ولا

يفيق .

فتوقف عن القتال ، ورفع بصره الى السماء كالشده ،

فعاجله أبو ثوب بطعنة في صدره ، فأطلع السنان من ظهره ،
فخر صريعا .

رأى البامرك مقتل ابنه ، فأحس نارا تشوى كبده ، وحمل
على الأعداء حملة مفكرة ، تبعه رجاله وأقبل مدد عمرو بن
العاص ، فانهزم جيش الأعداء ، وأخذ أبو ثوب أسيرا وأتى
البامرك شطا فاذا به يبتسم ويتطلع الى السماء ، فطأ البامرك
رأسه ودمعه ينهر ..

-----3-----

هـ — اُرووت و مـاروت

— ١ —

اجتمعت ملائكة في السماء تتهامس ، فطفقوا يتذكرون ما وقع
قبل ان يخلق الله آدم .
قال الله للملائكة :

— اني جاعل في الارض خليفة .
فقال الملائكة :

— اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك ؟
قال لهم :

— اني اعلم ما لا تعلمون .

وها هي اعمال البشر تصعد الى السماء دكناء ممعنة
في الدكنة ، خبيثة كل الخبيث ، محملة بالآثام والاوزار ،
فقد ساد بين الناس اهراق الدماء والظلم والفسق والكذب
والرياء ، وها هم خلفاء الله في ارضه قد اشرکوا بربهم ،
فجعلوا يعبدون اصناما واوثانا ، يمضون نهارهم في لغو
ولعب ، ويقضون ليلهم في لهو وعيب ، يقبلون على الشهوات
اقبالا ، ويلغون من الدنيا ولوغا ، كأنما يتنافسون في المعاصي ،
ويتسابقون في الخطايا .

وظل الملائكة يسخرون واغرقوا فى السخيرية ، وراحوا
يمكرون بنى آدم بذنوبهم ، ينكرون عليهم معالهم ، حتى قالوا :
— هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء فى الأرض واخترتهم فهم
يعصونك !

فقال تعالى :

— لو انزلتكم الى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم ، لفعلتم
مثل ما فعلوا .

فقالوا فى انكار :

— سبحانك ربنا ما كان ينبغي ان نعصيك .

— اختاروا ملكين من خياركم .

فاختاروا هاروت وماروت وكانا اورعهم واكثرهم تقى .

— ٢ —

ابواق موسيقية تبعث منها أنغام شجية ، وقهقهات
عالية مضمورة ، وضحكات نسوية ناعمة مثيرة ، وشسابات
رائعات الحسن يبرزن فتنهن ، فالشعر الأصفر الأخاذ ،
والشعر الكستنائى الجذاب ، والشعر الأسود السسيط
الطويل يتهدل على الأكتاف العارية العاجية ، يبرز محاسن
الوجوه الحلوة التى زانتها عيون اذا نظرت سلبت ، واذا
أسبلت سحرت ، عيون تبعث سهامها الى القلوب ، ثم
تتكسر فى وهن يزيد النار التى تضطرم بين القلوب ضراما ،
واناس يفدون ويروحون يتقدمون خطوة ثم يتلفتون لفتة
أو يقفون لحظة ، فهم فى بابل مدينة الترف واللهو والجمال .

وانطلق فى طرقات المدينة الصاخبة ثيابان جميلان
تنطلق قسمات وجهيهما بالرجولة والفتوة ، وتشمع عيونهما
اشعاعات البراءة والطهر ، سارا مرفوعى الرأس ، وأخذت
الأنغام الموسيقية تداعب آذانهما ، والأجساد النسوية اللينة
المتقنية تمر أمام عيونهما ، فلا يحفلان بالموسيقى المشجية .
ولا بالأجسام الممشوقة المغسرية . كان جمالهما يأسر
الأمثلة ويأخذ بالأسباب ، فلو أنهما انطلقا فى مدينة أخرى لكانا
مفتنة ، ولكنهما كانا فى بابل ، مدينة الفتنة والجمال والخسر
والنساء .

انطلقا يعلوهما مهابة ووقار ، وظلا فى انطلاقيهما يضربان
فى الطرقات على غير هدى . فأخذ نششاطهما يفتر ، وتفقد
العرق ، وبدأ عليهما أعياء ، فالتفت أحدهما الى الآخر
وقال :

— ائى أشعر بضيق فى صدرى وارتنساء فى جسمى ودوار
فى رأسى .
فقال الآخر :

— أحس وهنا فى ساقى ، وأشعر كائى سائهار .
وكانا قد بلغسا مكانا يكسوه العشب الأخضر الفدى ، وقامت
فيه أشجار كانت تنشر ظلها ، هنا وهناك ، هارتجا فى ظل
شجرة ، وتمددا فى تراخ ، وجعلا يملآن صدريهما بالهواء فأحسا
بعض الراحة ، ولكن استمر الوهن يسرى فيهما ، فقال أحدهما
وقد وضع يده على بطنه :

— أحس ألما ها هنا .

— انه الجوع .

— أتكابد ما أكابد ؟

فهز الآخر رأسه وقد شخض بصره الى السماء ،
وعبق المكان برائحة شواء ، وملاّت خياشيمهما ، فهيا من
رقدتهما ، واجالا الطرف حولهما ، فلمحا أناسا قد جلسوا
يشورون صيدا على قيد خطوات ، فهما بأن يهرعا اليهم ،
ولكن زجرهما زاجر من نفسيهما ، انه الكبرياء ، فلبثا قليلا
فى مكانهما ، وراح الجوع يعضمهما ، ورائحة الشواء تداعبهما
فتضنيهما ، فدحرت الكبرياء ، فتقدما على استحياء حتى
وقفا بالقرب من القوم ينظيران ، واحس الناس وقوفهما ،
فدعوهما الى الطعام .

جلسا يأكلان حتى اذا امتلا تطلعا الى القوم ، فسرايا
رجالا ونساء ، وكان بين النساء امرأة باهرة الجمال ،
حسنها قاهر ، كانت عيناها فى زرقة السماء ، وكانتا
ساختن سخونة الشمس ، فما يتبعث شعاعهما الى
إنسان حتى يسرى فى بدنه دفء ، وكانت بشرتها ناصعة
البياض ، انصع من مسحابة . وكان شعرها كجدول من
الذهب الرقراق ، أما الصدر فقد كان الفتنة والاغراء ،
فراحا يختلسان النظر اليها ، فيخفق القلب ، ويتوه الفكر ،
ثم يثوبان الى نفسيهما ، فيغضان الطسرف فى ندم وحياء ،
فيهب وسواسهما يوسوس لهما أن يمتعا العين بالجمال الفتان ،
يرفعان بصرهما اليها وقد تألقت العيون ببريق الرغبة ، ثم
زجرهما زاجر من جوفهما ، فيشعران بشيء من القدم والخجل ،
ولكن سرعان ما يذوب الخجل ، ويتبخر الندم ، فيتمللعان ثابدة
فى وله واشتهاء .

والتقت العيون أكثر من مرة ، مخفقت القلوب فى
الصدور ، وثاربت الدماء فى العروق ، واعتري الشسايبين تبدل

وارتباك ، وخشيسا أن يفتن الناس الى ما اعتراهما من
تغير ، أو يبلغ مسامع القلوب خفتان القلوب ، فاستأذنا
شاكرين ، ونهضنا وقد استبلا عيونهما ، حتى لا تقع على
الفتنة الجالسة أمامهما ، وما أن ابتعدا خطوات حتى أحسنا
قوة عاتية خفية ترغمهما على التلفت ، فالتفتا الى المرأة التي
أُشرق وجههما بابتسامة جذابة تسبى العقول ، فهنت
نفساهما اليها ، ولو أطلعا قلوبهما لعادا ليتزودا من
الحسن والجمال ، ولكنهما كبتا عواطفهما ، وانطلعا وفي اللاب
لوعة ، وفي الصدر نار .

سارا صامتين ، وظلا ساهمين ، لا ينطق أحدهما بكلمة ،
فقد كان كل منهما يفكر في ذلك الصراع الذي ينشب في جوفه
في كل لحظة وفي كل آن ، والتفت أحدهما الى الآخر ، وقال
في جزع :

— ركبت في نفس خبيثة تدفعني دفعا الى ما تشتهي
ثم تنهائي بعد وقوع المحذور ، وتهال على باللوم والتقريع ،
فما أخبت هذه النفس !

— أنها نفس من نفوس البشر .

— انحص ما أحس ؟

— أحسه وأقاسي منه .

— أخشى يا هاروت أن تذلي هذه النفس .

— لا تخش شيئا ، سنكبح جماحها ، وسندحرها وسنخلصها
من ذلك الخبث .

فقال هاروت في حراية :

— سندحرها ما في ذلك شك .

وبلغ هاروت وماروت مسكانا هادئا بعيدا عن المدينة
الصاخبة المأجنة ، كان كل ما فيه يتنطق بعظمة الخالق .
فأجالا بصرهما مأخوذين ، فأنزل القضاء اللانهائي الواسع
العريض بقلبيهما الخشوع ، وحلت رقصة السماء الصافية
الزرقاء التي زينها قرص الشمس عقدة لسانيهما ، فسبحا
له في حرارة ، وصفر الريح صغيرا خافتا ، فكان في آذانهما
كأهازيج السماء ، واستنامت احساساتهما الفوارة ، وشاع فيها
طمأنينة وأمن ، وصفت نفساهما ، ورقت مشاعرهما ، وهامت
روحاهما سابحتين في الكون ، فقد كانا في هذه اللحظة أقرب
لأهل السماء منهما لأهل الأرض .

وراحت الشمس تنحدر نحو الأفق الغربي ، وأخذ توهجها
يخفت ، وخبا بصرها حتى صارت قرصا من عقيق أحمر ،
وجعلت تغوص في الأفق البعيد وقد تغير لونها ، وعلتها
صفرة الاحتضار ، وتاهب الكون للنوم ، ولكن هاروت وماروت
كانا في صلاتهما غارقين ، وظلا في تسبيحهما حتى نشر الظلام
جناحيه ، فحجب كل شيء ، وهبت الرياح في قوة ، فجعلت تصفر
في شدة ، وتزمر في حدة ، فصار صوتها أشبه بصوت
العويل ، فأحسا شسورا غريبا ، أحسا وحشة تسرى في
مديريهما ، ورهبة تستولي على مشاعرهما ، فلم يحملا البقاء
في ذلك المكان الهاجع ، فقد كان سكونه يخلع القلوب ، فنهضا

لينصرغا الى المدينة الصاخبة ، لعل الظمانينة تنزل بالقلب
الواحف ، وما ان ابتعدا عن المكان قليلا حتى سكن روعهما ،
وهدأت نفسيهما ، فعجبا من تلك المشاعر المتضاربة السريعة
القلب في صدر الانسان !

وراحا يضربان في الظلام ، واستمرا في سيرهما حتى
عاودهما احساس سبق ان شعرا به ، فقال هاروت :

— احس جوعا .

فقال ماروت في اسى :

— يا ويلتنا ، صرنا عبيد هذا البطن .

— وما العمل ؟

— ننطلق الى المدينة نبحث عن طعام .

— انعيش عيالا على الناس ؟

— وما نعمل ؟

— نمارس عملا مما يمارسونه .

— اى عمل ؟

— والله لا ادرى ؟

واطرق هاروت يفكر ، فبان في وجهه الاهتمام ، فقال له
ماروت :

— قلندع مقاليدنا لله .

ودخلا المدينة وحاما خلالهما ، وقد نال منهما الجهد
والجوع ، فأتيا أناسا يترنحون من السكر ، فرمقاهم
شزرا ، ولاح في نظراتهما الاحتقار الشديد ، ولحا جوعا
تنطلق الى دار فاخرة فذهبا معهم ، واجتازا بعض ممر
طويلة هائلة ، كل ما فيها ينطق بالفنى ، فوجدا نفسيهما في
قاعة مسيحة هائلة ، قد مدت فيها موائد عامرة

بالأطعمة الشهية ، والفواكه المنوعة ، فأجالا بصرهما في المكان ،
فرايا سيدا يرتدى ثيابا مزركشة فاخرة ، يلوح عليه الهيبة
والسلطان ، قد جلس عند رأس مائدة كبيرة ، واصطف حول
الموائد رجال يلوح عليهم الثراء ، فظهر على هاروت وماروت
الارتباك ، فأطرقا حياء وهما بالانسحاب ، ولكن السيد
لمحهما ، وحزر ما يعانيانه ، فأشعار اليهما ، ودعاهما الى
الجلوس .

جلسا يتناولان طعامهما في صمت ، وقدمت اليهما الخمر ،
فاعتذرا ، فمرقهما في دهش ، ولكن سرعان ما عاد القوم الى
احاديثهم ، فأسدل ستار على ذينك اللذين ترفعا عن احتساء
ما قدم اليهما من شراب .

وفطن هاروت ومارت الى ان السيد الجالس عند
رأس المائدة الكبيرة ، هو حاكم المدينة ، وصاحب الصولة
والسلطان ، وأن الآخرين خواصه وندماؤه ومستشاروه .
وتحدث الحاكم فأعاره الجميع سمعهم ، وتعلقت عيونهم
به ، فراح يبسط نزاعا نشب بينه وبين أحد الموجودين ،
وما ان انتهى من تولى ، حتى تأهب الجميع ليحكموا
لصالح السلطان ، وما كان الحق في جانبه ، ولكنهم اعتادوا
ان يحكموا لصالح الأقوى ، ولكن الحاكم رثا الى هاروت وماروت
وقال .

— أحب ان يحكم ضيفانا في هذه القضية ، فشخصت
اليهما الأبصار . كان القوم على يقين من انهما سيحكمان لصالح
رب الدار ، فهما في بيته ، وعلى مائدته يطعمان ، ولكن هاروت
وماروت وان ركبت فيهما غرائز البشر ، الا انهما لم يتلفتا بعد
النفاق والرياء ، فحكما بالحق ، وأدانا الحاكم المهيب رب الدار ،

فسرت همومة وغممة ، وبان في الوجوه العجب ، ثم انبعت
صيحاح انكار ، وتطلع القوم الى الحاكم ، وترقبوا في لهفه
ما ينطق به ، وقال الحاكم في هدوء :
— قد وليتكما القضاء .

— { —

خصص لهاروت وماروت جناح في القصر العظيم ، فدلغا
اليه مختبئين ، فقد صار لهما عمل يعملانه ، ولن يكونا بمسد
الليلة عيسالا على الناس ، وطفقا يصليان لله ، ولكنهما لم يحسا
صفاء النفس الذي كانا يشعران به لما صليا أول مرة . كان
فكرهما يشرد ، فقد كانا يعرضان في صلاتهما ما مر عليهما من
أحداث ، وكان الزهو والغرور والخيلاء ترحف لتحفل الصدر
النقى لتعكر صفاءه ، وتلوث نقاءه .

ودب التعب فيهما فاضطجعا ، وأحس ماروت بعينيه
تسبلان برغمه ، ويسرى في بدنه خدر ، ففتح عينيه في قزع
واستمسك قليلا ، ولكن سرعان ما انطبق جفناه ثانية ، فهب
مرعوبا وقال في رهبة :

— اكتب علينا الموت يا هاروت ؟

— لماذا ؟

— أحس قوة ترغمني على أطباق عيني ، وأحس عدم قدرة
على السيطرة على حواسي ..
— أشعر بما تشعرون به .

— ما أبشع الموت . انفى ؟

— لا أظن .

وتنأى ماروت وهوم فى جلسته ، ثم رقد وهو يتكلم فى
نعاس ، أخذ صوته يخفت ، حتى صمت راح فى النوم ، فرمقه
هاروت فى عجب ، قالفاه يتنفس فى هدوء وقد أسبل عينيه ،
غاطمان بعض الشيء وغمغم :

— لعله شعور جديد لا ندره .

واسلم جفنيه للرقاد ، فراح فى سبات .

وتنفس الصبح ، فنظر هاروت الى رفيقه ، غالى وجهه قد
أشرق ودبت فيه الحياة ، فغمغم :

— ما الذ الرقاد بعد التعب والجهد !

فقال ماروت وهو يملأ صدره بالهواء :

— أحس كائى خلقت من جديد .

وجلسا للناس يفصلا فى قضاياهم ، فرضى الناس ،
وترادفت الأيام وكرت ، وتقضت هائلة لينة لا ينفصها شيء .
فقد كانا اذا ما انتهيا من عملهما يعتكفان فى جناحهما ، يسبحان
بحمد الله ويقديسان له ، ودعاهما الحاكم الى ولائمه مرات ،
فكانا يشاركان فى الطعام ، أما اللهو والشراب فقد كانا يعرضان
عنهما ، برغم انها يهوان اليهما .

وفى يوم اقبلت الزهرة تعرض عليهما قضيتها ، فما أن
اهلت بطلعتها حتى خفق القلب ، وما أن التقت عيونهما
بعينيها الزرقاوين ، حتى تدفق الدم حارا الى رأسيهما .
انهما ليذكران ذلك الحسن الرائع ، وهاتين العينين الساخنتين
الصافيتين . واسبلا عيونهما ، ونظرا من خلل

أهسدايهما الى الشمسعر الذهبى ، والجيد العاجى ، والفتنة
المشرقة ، فأحسا رعدة تسرى فى بدنيهما ، وعجب كل منهما
فى نفسه لذلك التبدل المارئى ، فقد أرهفت حواسه وشعر
بروحه تهفو اليها .

انهما قابلاهما مرة واحدة قبل اليوم ، كان ذلك يوم هبطا
الى الأرض ، وهذه هى المرة الثانية ، فما بالهما يتلهمان اليها ،
وما بال القلب يخفق كل ذلك الخفقان ؟ !

وحسب كل منهما أنه وحده يعانى ما يعانى ، ويحس ما
يحس ، فرنا كل منهما الى صاحبه ، ليستشف ما يخفى فى صدره ،
فما التقت العيون حتى أبقن كل منهما أن صاحبه يكابد ما يكابد ،
وانه مسرح لاهساسات جبارة عاتية .

وأخذت الزهرة تقص قصتها فى نبرات حلوة ، كانت تدغدغ
آذانهما ، فتنبها أن تسترسل فى الكلام ، وجعل كل
منهما يحاول أن يفض بصره ، ولكن قوة طاغية ترغبه على
الظفر .

وأتمت الزهرة قصتها وهاروت وماروت يعساان ضغط
الاحساسات التى ضاق بها الصدر ، وابتسمت ابتسامة زادت
لهيب القلب ، وقالت فى دلال :

— هذه قصسقى عرضتها عليكما ، وفى انتظار حكمكما
العادل .

فرفع ماروت رأسه وقال فى صوت متهدج :

— هذه قضية تحتاج الى درس ، فالى الغد . .

فقال هاروت فى انشراح :

— هذا هو القول .

وقامت الزهرة ورمقتهما بنظرة هزت كيانهما ، وانسلت كما
ينسل الطيف ، وبقي هاروت وماروت في صمتهما ، واخذت
الاحساسات تتبخّر ، حبي اذا انمحت وصفت النفس ، رفع
هاروت راسه وقال في عتاب :

— لماذا اجلت هذه القضية الى الغد ؟

— والله لا درى . نطلق لسانى دون ن يوجهه فكرى .

— اخشى يا ماروت ان تقهرنا هذه النفس .

— دع هذه الوسوس ، هذه تجربة بسيطة واختبار يسير

سنجتازه في يسر .

فسمع هاروت صوتا ينبعث من جوفه كأنما يأتى من مكان
سحيق يهمس في ذنه : يا ليت !

— ٥ —

وتنفس الصبح وجلسا للناس وقد ارتسم في وجهيهما قلق
ووجوم ، ولبثا صامتين ، ثم قال ماروت :

— ما بك ؟

— اتى مهموم .

— لماذا ؟

— رأيت رؤيا أفزعنى .

فقال ماروت في صوت خفيض :

— رأيت الزهرة ولا ريب .

— وكيف عرفت ؟

— رأيت ما رأيت .

— يا وليتنا ، هل كنا .

— هلكننا . هذه الرؤيا نذير السماء .
— لا تقنط ، ولنعمل جاهدين على ألا يحدث فى اليقظة ما قد
جرى فى المنام .
— حاشا لله ما كنا فاسقين .
— وما ينبغى أن نكون ..
— وعلام عولت ؟
— اذا أقبلت هذه المرأة فصلنا فى قضيتها ، وتركناها
تصرف .

— فى الحال .
ودخلت الزهرة عليها فى خفة الغزال وقد بدت زيتنها ،
فطغى جمالها الساسحر ، فما ان وقع بصرها عليها حتى
اضطربا ، ولكنهما تجلدا ، وتحديث وهما فى ثكلفتها ،
واصطناع الوقار ، ولكن ما دار الحديث بينهم حتى نسوا
انفسهم ، فاقتربا هاروت منها ، فشعر بنشوة ، واخذ
يدها بين يديه ، فغمره احساس لذيق اطمأن اليه ، ودنا
ماروت منها ، ومس كتفه كتفها ، فخفق بدنه خفقات ،
وسرى فيه خسر انشرح له صدره . ورفعت الكففة ،
وضحكت الزهرة ضحكات تمت عن قلب خلى طسروب ،
ودكت حصوتها . ولحست المرأة ذلك البريق الذى ولد فى
عيونها ، فنفسرت فى خفة ، وابتسعدت فى دلال ، فقال
هاروت :

— الى أين ؟
— الى المعبد ، هيا .
— وماذا نفعل هناك ؟
— نصلى للشمس .

— لا . لن يكون ذلك .

— اذن الى الغد .

— الى الغد .

وخرجت الزهرة وتركتهما لنفسيهما ، فهب ذلك الصورت
الذى لا يرتفع مزجرا الا بعد حلول البلاء ليعتب ويؤنب ، ويزجر
ويخز النفس وخزات ، فقال هاروت فى التبايع :

— قطعنا فى المعصية شوطا ، فحل علينا العذاب .

— هون عليك ، فما هذه النزوات الا السكين التى تخضد
شسوكة الزهر ، ان هى الا حطب الايمان ، تزيد حسراته
وتؤجج ناره ، اننا نزداد خشوعا فى صلاتنا كلما هفونا هفوة ،
لنفكر عن خطايانا .

— بالله دع منك هذا ، اننا ننزلق فى طريق الدنس .

— لا تجزع ، وانكر رحمة ربك ، فقد وسعت رحمة ربك

كل شيء .

وتصرم النهار وهما فريسة للمساوس والأفكار ، وانقضى
شطر الليل وهما فى قلتها واضطرابهما ، واخيرا مس النوم
جفونهما ، فأراحهما من وخز الضمير وشبهوات النفس وعذاب
الفكر ، وتسالت اشعة الشمس الى الحجرة ، فها من نومهما
وقد أشرقت نفوسهما ، فقد انجلت المشاعر عن صدريهما ،
فمزما على ان يزجرا الزهرة اذا ما اقبلت وحاولت اغراءهما .

ودخلت عليهما ، فنسيا كل شيء الا ذلك الحسنى ،
وتضعضعت ارادتهما ، وانهارت مقاومتهما . وحلت عقدة
اللسان ، فانساب الحديث عذبا شهيا ، وما ان انتهى حتى كان
ثلاثتهم فى دار الزهرة .

وجاءت الزهرة بخمر ، وقدمتها الى الرجلين ، فرغضا

ان يعمساها ، فأظهرت الاستياء ، فساءها غضبها ، ولعبت الخمر
برأسيهما ، فقاما إلى الزهرة وقد التمعت عيونهما ببريق الرغبة
والاشتقاء .

وسمع وقع أقدام فرغح هاروت وماروت رأسيهما فزع .
وبان في عيونهما الغضب ، وظهر عليهما الارتباك ، فقد رأى
الرجل ما يقترفان . لن يكتف الرجل ما رأى ، وسيمسح فضيحتهما
على كل لسان ، فلن يستطيعا بعد اليوم أن يمشيا بين الناس
مرفوعي الرأس ، وفي مثل لمح البصر خطرت لهاروت فكرة .
انه يستطيع أن يقتل المضيحة في صدر ذلك المتطفل الدخيل ،
فوثب عليه ، وقبض على رقبته ، واخذ يحاول أن يكتف أنفاسه ،
وهرع ماروت يعاون رفيقه ، وما تركاه حتى كان جسدا
بلا حياة .

وطارت الخمر من رأسيهما ، فألقا إلى نفسيهما ، فشعرا
برعب شديد ، وفزل بهما هم ثقيل ، فقد تطلعا في لحظة بكل
الأوزار ، واقترفا ما يقترفه احقر انسان . واحسا خزيا ،
فطأطا رأسيهما ، وعزما على أن ينطلقا إلى السماء ، ليكفرا
عن خطاياهما ، ولكنهما احسا بأرجلهما قد تسدت إلى الأرض ،
فندبت منهما صرخات مزع ورعب ، فقد ضامعا بين الأرض
والسما .



رابعة العدوية

— ١ —

انين خافت ينبعث في جوف الليل البهيم ، وظلام تكاثفت طبقاته وهدوء شامل لا يعكره الا ترديد الانين ، كانت امرأة فقيرة وحيدة تقاسي آلام الوضع ، وما كان يؤنسها الا زوجها المهوم ، الذي قبع في مكانه وقد غشيه قلق ووجوم ، وهتفت المرأة في صوت خفيض :

— اسماعيل ، اوقد القنديل .

فقال الرجل في نبرات تتم عن الالسف العميق :

— ليس في الدار زيت .

— سل الجيران .

— لا اسال احدا ، لا اسال الا الله .

واطرق الرجل ، وزاد الانين ، ثم وضعت المرأة طفلة ، ولولا الظلام لبان في وجه اسماعيل الاسى والحزن العميق ، فله ثلاث بنات يقاسي ما يقاسي في سبيل القيام بعبثهن ، فقد كان في شظف من العيش شديد ، وها هي ذي الرابعة جاءته الليلة لتزيد في اعبائه وتقصم ظهره .

وهدأت المرأة وضمت وليدتها اليها ، ثم اغفت ، فتسام اسماعيل وهو حزين ، فرأى فيما يرى النائم رسول الله

قد أقبل عليه يواسيه ويقول له : لا تحزن ، قد وهب
الله لك أمة من عباده الصالحين ، فقام اسماعيل من نومه
منشرح الصدر ، هادئ النفس ، وانطلق الى الوليد ، ونظر
الى وجهها الصغير ، فتحرك حنانه الدفين ، فابتسم وغمغم :
ايه يا رابعة .

— ٢ —

خرج اسماعيل الى أسواق البصرة ، ليكدح في سبيل
تحصيل قوت عياله ، وخرجت رابعة الى المسجد الكبير ،
لتندس في الحلقات التي تعقد حول صحابة الرسول واكابر
التابعين . كانت جارية صغيرة ، مرهفة الحس ، صافية الروح ،
فكانت تشعر بخشوع ، اذا ما ذكرت قدرة الخالق ، وترتجف
اذا ما ذكرت النار والعذاب والحساب .

وغابت الشمس ، وسجا الليل ، فقفل الناس الى دورهم
عائدين ، وعاد اسماعيل مكودا يحمل بين يديه طمأنا ،
وجلس مبهور النفس ، يلتقط أنفاسا متتابعات ، ولما استراح
جاء بالطعام الذي كدح طوال يومه ليجنه ، ووضع على
الأرض ، فتحلقوه وطفقوا يأكلون ، ولكن رابعة شردت بفكرها
قليلًا ، ثم قالت :

— يا أبت لست أجعلك في حل من حرام تطمئنه .

فرفع الرجل رأسه . وحدجها ببصره ، وقال :

— أرايت ان لم نجد الا حراما ؟

فقالت في ايمان عميق :

— فقصبر في الدنيا على الجوع ، خير من أن نصبر في
الآخرة على النار .

ودارت عجلة الزمن ، فطوت أسهاميل ، فحزنت رابعة
لفقد أبيها ، وقد حل ذلك الحزن بنفس شفاقة ، فجعلها تفكر
في الموت وما بعد الموت ، وكانت ذكية الفؤاد تكثر من التأمل
العلوي ، فراحبت تبحث عن المعرفة في كل ما تقع عليه
عينها .

وما كاد حزنها على أبيها يبلى حتى فجعت في أمها ،
فرسخ في نفسها أن هذه الدنيا أن هي إلا دار زوال ، أنها ممر
إلى مقر ، فالتقى من شغل بها عن أخراه ، فجعلت تبذل الجهد
في نظام جوارحها عن الشهوات .

ونزلت باليصرة ضائقة ، وجاء القحط ، ففترقت أخوانها
بحثا عن الطعام ، وشغل الناس بأقواتهم ، ولكنها لم تشغل
شيء عن الله طرفة عين ، كانت تناجيه بالليل ، وتفكر فيسه
بالنهار ، حتى صارت لا تحس توافه الاحساسات التي يحسها
الناس ، فقد ذابت نفسها في الله .

وخرجت تتأمل الكون ، فما سنح لبصرها صورة إلا عبرت
إلى المصور بصائرهما ، وانطلقت نشوى ، فقد أصبحت من
نفس روح الوصال سكرى ، وأصبحت من ملاحظة سباحات
الجلال حيرى ، وفيما هي في هيامها ، لحها رجل من تجار
الرقيق ، فانقض عليها وخطفها ، فوقعته في ذل الأسر ، وراحت
تحمل صنوف العذاب في صبر ، ولم تجار بالشكوى فقد كانت
فيها زراية لا تليق بها .



وخرج الرجل بها الى سوق الرقيق ، فباعها فى قبيلة
بنى عدى بستة دراهم ، فاصبحت رابعة العدوية مسولة آل
عتيك ، وكان سيدها جاف الطبع يسومها سوء العذاب
لأنفسه الأسباب ، فما كانت تفكر فى ذلك الاضطهاد ، فقد
كانت مشغولة بحبها : لقد ملئ قلبها عشقا لله حتى ناض .

وفى يوم بعثها سيدها لقضاء حاجة له ، فانطلقت
تهرول فى ازقة البصرة ، ولحها احد المارة ، فاعجبه شباها ،
فرماها بنظرة منكرة ، فاضطربت وارتجفت ، وحاولت أن تزور
عنه ، فزلت قدمها ، وسقطت على الأرض ، فانكسرت
ذراعها ، فغشى عليها ، لشدة ما أصابها . وبقيت فى غيبوبتها
لحظات ، ولما استردت صوابها رفعت رأسها خاشعة الى
السماء تناجى ربها : رباه قد انكسرت ذراعى ، وأنا اعانى الألم
واليتيم ، وسوف اتحمل كل ذلك واصبر عليه ، ولكن عذابا أشد
من هذا العذاب يؤلم روحى ، ويفكك أوصال الصبر فى نفسى ،
مفتشوه ريب يدور فى خلدى ، وهل أنت راض عنى يا الهى ،
هذا ما اتوق الى معرفته .

وأطرقت قليلا ، فغشىها أمن ، ثم نهضت مطمئنة .

وفى ليلة من الليالى أرق سيدها ، فاذا بصوت يرن فى
أرجاء داره ، فخسرج من غرفته يتلفت ويتلمس مبعث الصوت ،
وتأدته أذناه الى غرفة رابعة ، فظهر فى وجهه العجب ،

أن مولاته تعبد ربها خاشعة ، وقد أنهل دمعها غزيرا ، فوقف يرقبها مشدوها ، وخیل اليه أن قنديلا من نور يتالق فوق رأسها ، فشمع برهبة ، وسك أذنيه قولها ، ربى انك تعلم أن أشد ما أتوق اليه هو عبادتك ، وتأدية ما لك من حقوق ، ولكنى أسيرة لا أملك حريقى ، فلا سبيل الى تحقيق هذه الفاية ، فلتعذرنى يا الهى ، فاشتد وجيب قلب الرجل ، وأحس وجلا يلفه ، فراح يفكر فى إطلاق سراح مولاته ، فما كان له أن يحبس صالحة وهبت نفسها لله .

وما انطلق عمود الصبح حتى بعث اليها ، فلما مثلت امامه قال لها :

— أنت حرة طليقة يا رابعة ، ولك الخيار فى أن تمكثى هنا أو تذهبى الى حيث تشائين :

فخرجت رابعة من دار آل عتيك تستنشق عبير الحرية ثانية ، وكان قلبها مفعما بالفرح ، فقد صار وقتها كله فى يدها ، فلن يشغلها عن الحبيب بعد اليوم شاغل .

وانطلقت الى الصحراء حيث الصفاء والهدوء ، وهامت تناجى ربها ، ولكنها عادت واتخذت لها خلوة متواضعة تخلو فيها بالحبيب . ظلت طوال الليل تصلى ، حتى اذا ما تبين الخيم الابيض من الخيم الاسود هجعت فى مصلاها هجمة خفيفة ، ثم هبت مذعورة وهى تقول : يا نفس كم تنامين ؟ ! والى كم تنامين ؟ ! يوشك أن تنامى نومة ٧ تقومين منها الا لصرخة يوم النشور . وانهمرت دموعها ، وجرت على خدها ، فرفعت رأسها ، ونظرت الى السماء من خلال الدموع وهتفت : يا الهى ، اتحرق بالنار قلبا يحبك ؟ !

واشتهر أمر رابعة في البصرة ، فقطالت اليها الاعناق ،
وقصدها كبار العلماء ، فوفد عليها حسن البصري التقى
الشهير ، وشقيق البلخي الصوفي العظيم ، وسفيان الثوري
المجتهد الكبير ، والملك دينار حاكم الكرج ، وكانوا لا يجدون
غضاضة في ان يأخذوا عنها أمر دينهم ، فقد أخذ كبار الصحابة
عن عائشة ثلثي الدين .

حمل الناس اليها هداياهم ، ولكنها كانت ترد عطايا الناس
وهي تقول : ما لي بالدنيا حاجة .

وزارها أحد التجار يوما ، فوجدتها تعيش في دار
متواضعة تحتاج الى اصلاح وتعمير ، فعرض عليها أن
يعطيها دارا من دوره حتى يتم الاصلاح ، وما زال بها حتى
وافقت فانتقلت الى دار الرجل ، فوجدت جدرانها تزدهى
بزيينات تأخذ بالالباب ، وزخارف تسبى العقول ، وساخت
قدمها في طنافس فاخرة ، ولمست الحرير الهفاه ،
فراحت تنقل عينيها فيما حولها وهي حيرى والهة ، انها
لم تر قبل اليسوم مثل هذا النعيم ، فتأملت طويلا حتى
سفلت به ، وسرعان ما عادت الى طبيعتها فأنكرت على نفسها
ما هي فيه ، لقد سفلها العرض الزائل عن ذكر الحبيب ،
فانقبضت وأشاحت بوجهها عن التحف المتناثرة ، وخرجت من
الدار ، فرارا من الفتنة التي كادت تستهويها .

ولمحا الرجل وهي خارجة ، نهرع اليها وقال :
— الى أين ؟

— الى دارى .

— انتظري حتى يتم اصلاحها .

— لن اعود ثانية الى هذه الدار ، ولو مكثت بها لآلتفت
نفسى بهذه الأشياء الجميلة ، فيستهوينى لطفها ، فيحول دون
ما انا صائرة اليه ، من الاخذ بأسباب الآخرة .

— ٥ —

وانطلقت رابعة شاردة اللب تفكر فى الله ، وكانت زرية
الحال ، فلقيها سفيان الثورى ، فقال لها : يا أم عمرو ، أرى
حالا رثة ، فلو أتيت جارك يغير بعض ما أرى !
فقلت له فى هدوء : والله أتى لأستحي أن أسأل الدنيا من
بملكها ، فكيف أسأل من لا يملكها .

فأطرق سفيان ، ثم استأنف حديثه ، فتجاذبا أطرافه ،
وفيما هو يتحدث قال : واحزنناه !

فقلت فى حزم : لا تكذب بل قل : واقلة حزنى ! ولو كنت
محزونا لم يتهيا لك أن تتنفس .

فأريد وجهه ، ولكن سرعان ما عاد اليه هدوءه ، فقال
لها : كيف أيمانك يا رابعة ؟ وكم هو مبلغ اعتقاساك بالله
تعالى ؟

— لا أعبد ربى خوفا من ناره ، أو شوقا الى جنته ، ولكن
أعبده لحض المحبة والاخلاص .

ورفعت رأسها الى السماء ، وأخذت تناجي ربها ،
الهي احبك لوجهين : احبى وهيامى بك ، والآنك اهل للمحبة
والعبادة ، فباشتياقى ومحبتى أذكر اسمك ، وأشغل بذاتك
العلية ، وبأهليتك للمحبة أنال من لدنك مرتبة المشاهدة ، فلا يقف
حمدك وثناؤك لأمر منهما ، وانما لك الشكر ، ومنك الفضل
للحاليين .



وكان أبو سليمان الهاشمي واليا على البصرة ، وكان
يريد الزواج ، فبعث الى علماء البصرة يستشيرهم في امرأة
يتزوجها ، فأجمعوا على رابعة ، فكتب اليها ، بسم الله
الرحمن الرحيم ، أما بعد فان ملكي من غلة الدنيا في كل يوم
ثمانون ألف درهم ، وليس يمضي الا القليل حتى أتمها مائة
ألف — ان شاء الله — وأنا أخطبك ، وقد بذلت لك من
الصداق مائة ألف ، وأنا مصير اليك بعد أمثالها فأجيبيني .

وبلغتها رسالة الوالي ، فلم تجد هوى في نفسها ، انه
يمرض عليها الدنيا وما كانت الدنيا تهما ، فسراحت تكتب
اليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فان هذا الزهد
في الدنيا راحة القلب والبدن ، والرغبة فيها تورث الهم
والحزن ، فاذا أتاك كتابي فهبىء زادك ، وقدم لمعادك ، وكن
وصى نفسك ، ولا تجعل وصيتك الى غيرك ، وصم دهرك
واجعل الموت فطورك ، فما يسرفني أن الله عز وجل خولني
أضعاف ما خولك فشغلني به عنه طرفة عين ، والسلام .



كانت رابعة صائمة . فخلت الى ربها تدعوه وتناجيه ، وغربت الشمس وهي على هذه الحال منقطعة الى العبادة ، وعادت الى نفسها فغمغمت : الى متى تعذبين نفسك يا رابعة ، وتحملينها مثقلة ليس بعدها مثقلة ؟

وصك أذنيها طرق على الباب ، فذهبت فاذا برجل في يده صحن من الطعام ، تركه ثم انصرف ، فتناولت الصحن ووضعت في زاوية من الغرفة وتثأملت بإصلاح القنديل . فدخلت هرة فأكلت ما في الصحن ، فلما عادت رابعة وجدت الصحن خاويا فقالت في نفسها : لا بأس ، انظر على الماء .

وذهبت لتعود بالماء فانطلقا القنديل ، فلم تطق احتمالا ، فقالت : اللهم لم هذا العذاب ؟

وأحسبت ندما ، فأطرقت في استحياء ، وسمعت صوتا أكيا من جوفها كأنها ينبعث من مكان سحيق يقول : لو شئت يا رابعة وهبنا لك ما في الدنيا ، ومحونا ما في قلبك من نار العشيق ، لأن قلبا مشغولا بحب الله لا يشغل بحب الدنيا .

أسفت رابعة أشد الأسف لما بدر منها ، فوطنت العزم على ألا تعود فتتمنى سعادة الدنيا .

واقبل الملك ديسار ، فوجدها على حصيرة بالية ، وموضع الوسادة قطعة من الأجر ، وتثرب من أناء مكسور ، فقال لها :

— أعرف يا أم الخير أصحابا لى من ذوى اليسار ، فاسمحي لى أن اذهب اليهم ، اطلب اليهم مصونتهم فى أمر رفاهيتك وراحتك .

كان الملك دينار يريد أن يستأذنها فى أن يأتيا ببعض حاجات ، فهو يعلم أنها ترد ما يعطيها الناس ، ولكنها كماداتها لم تأذن له ، وقالت :

— ان الله رازق الأغنياء يهون على الفقراء أيضا حاجتهم ، فما علينا الا الصبر والقناعة .

— V —

واقبل حسن البصرى ليزور رابعة كماداته ، فرأى على بابها تاجرا يبدو عليه التردد ، فسأله من حاجته ، فقال الرجل :

— أحضرت كيمسا من الذهب لرابعة ، واننى مضطرب لا أدري أقبله أم ترفضه ؟ فادخل بالله وانتدنى من هذا الاضطراب .

فدخل حسن وأخبرها خبر الرجل . فقالت :

— الا تعلم يا حسن أن الله يرزق عباده ، حتى الذين هم عنه لاهون ، فما بالك بمن يكن فى سويداء قلبه محبة يقف دونها الحصر لفاطر السموات عز وجل !

اننى يا حسن لم أتوجه الى غير الله منذ اليوم الذى أدركت فيه قدرته الالهية . كيف أستطيع قبول هدية هذا التاجر وأنا لا أعلم هل اكتسب ماله من حلال أو من حرام ؟

وماتت زوجة حسن البصرى ، فطلب رابعة للزواج ، فلم تقبل ، فجاء يكرر طلبه ، فقالت له :

— اتزوجك ان أجبتني على ما يشغل خاطري .
 — قولى .
 — هل أموت وأنا على إيمان كامل ؟
 — علم ذلك عند ربى .
 — هل أنال صحيفتى بيدى اليمنى يوم الحساب ؟
 — فسكت قليلا ، ثم قال :
 — علم ذلك عند ربى .
 — مع أى فريق أكون يوم الحشر ، أمع الذاهبين الى الجنة
 أم مع الهالكين فى جهنم ؟
 — علم ذلك عند ربى .
 — وساد بينهما صمت ، ثم قالت :
 — فإذا كنت مشغولة اللب بأمثال هذه الأمور ، فكيف أبحت
 عن الزواج ؟ !
 — فحججها ببصره وقال :
 — اليس لك رغبة فى الزواج ابدا ؟
 — فقال فى هدوء :
 — إنما يتزوج من يملك ارادة نفسه ، أما أنا فليس لى
 ارادة ، ان أنا الا عبدة المولى عز وجل .
 — وانصرف حسن البصرى ، وجن الليل ، ونام الكون ، فقامت
 رابعة البتول على سطح لها ، فنادت :
 — الا هذات الأصوات ، وسكنت الحركات ، وخلا كل
 حبيب بحبيبه ، وقد خاوت بك ياها المحبوب ، فاجعل خلوتى
 منك فى هذه الليلة عتقى من النار .

~*~*~*~

أرض الله

انسأب فى طرقات المدينة أشعث أشبر ؄ وقد طسال
شعره ؄ واسترسلت لحيته ؄ وبرقت عيناه ؄ وبان فى وجهه
الهم الدفين ؄ وراح يثق صدره بقبضة يده ؄ ويصيح فى
أسى عميق :

— واشقائى ؄ واعذابى ؄ حطمت سعدى بجهلى ؄ وعدت
الى الشقاء بعد النعيم .

وراح الناس ينظرون اليه فى رثاء فقد كانوا يعرفونه .
وكانوا يحبونه ؄ كان عاقلا زينا ؄ فاذا بهم يصبحون ذات
يوم ؄ فيجدونه ينطلق فى مسالك المدينة شارد اللب ؄ شاخص
البصر ؄ يهمهم فى جنون .

وأصبحوا فى حيرة ؄ فهم لا يدرون ما حل به ؄ وراحوا
يتهايمسون عما جرى له ؄ ويقولون ان طول قيامه ؄ وكثرة
عبادته ؄ وقلة نومه ؄ اطاشت عقله ؄ وذهبت بلبه ؄ وجملته
فى ذهول ؄ أصبح مجذوبا يهذى ؄ يبعثر الكلام دون فكر
أو تدبير .

وساء واحدا من أصحابه ما أصابه ؄ فعزم على أن يحدثه ؄
وعلى أن يلتمس منه أن يلزم داره ؄ حتى يريح أمصابه ؄ ويعود
الصفاء الى ذهنه المكدود ؄ فلما لمح قادمه يصرخ فى لوعة
ووله ؄ ذهب اليه ؄ وقال له فى توسل :

- أرح نفسك .
- فقال نى يأس مرير :
- دعنى فى شقائى .
- فبد يده وجذبه نى رقة ، وقال له :
- تعال معى ، وهدىء من روعك .
- هيهات أن يهدا روعى ، أنا الطريد ، أنا الممذب .
- يا لشقائى .
- ما هذا الذى تقول ؟
- عدت الى الجحيم ، عدت الى البؤس المقيم ، وولت أيام
الهناءة كحللم قصير .
- ما هذا الجزع ؟
- لو رأيت ما رأيت ، وطردت من النعيم كما طردت ، لكان
جزعك أشد من جزعى .
- وماذا رأيت ؟
- دنيا السعادة ، عشت فيها أرشف كئوس الهناءة ،
حتى ارتكبت الخطيئة الكبرى ، فخرجت منها مذموما
مذمورا .
- فهز الصديق رأسه نى حزن وقال :
- آه .
- فقال الرجل :
- بالله لا تسمى الظن بى ، غانى لم أجن بعد .
- لا أستطيع أن أفهم ما تقول ؟
- وكيف تفهم اذا كنت لم تر ما رأيت ، لو أنك تركت دنياك
هذه وانتقلت الى الدنيا السعيدة التى عشت فيها ، لما ملتقى
على ما أنا فيه .

— واين دنياك هذه ؟
— اتعرف ذلك الجامع المهجور الكائن فى طسرف المدينة
الشرقى ؟
— أعرفه .

— اذهب اليه ، واصعد مؤذنته ، ستجد بها نافذة ، انظر
منها تر عالما عجبا .

ورمى صديقه ، فالفساه يرمو اليه فى انكار ، لم يكن
يصدق ما يقوله ، فانطلق فى طريقه يدق صدره بقبضة يده
ويصيح :

— واشقائى ، واعذابى ! حطمت سمى بجهلى ، وعدت
الى الشقاء بعد النعيم .

ووقف صديقه يرقبه حتى اختفى عن عينيه ، فعاد الى
داره مطرقا يلفه حزن عميق ، وخلا بنفسه وجعل
يفكر فى صديقه الذى أصابه مس من الجنون ، فائقبض وزاد
أساه ، واحتلت ذهنه صورته وقد اتسعت عيناه وهو
يقول : « اتعرف ذلك الجامع المهجور الكائن فى طرف المدينة
الشرقى ؟ اذهب اليه ، واصعد مؤذنته ، وستجد بها نافذة ، انظر
منها تر عالما عجيبا » .

وخطر له أن يذهب الى ذلك الجامع المهجور ، وسفر
من ذلك خاطر . ولكنه ظل يلح عليه ويضايقه ، ويحتل
أقطار رأسه ، فلم ير بدا من أن ينهض وينطلق اليه
ليستريح من ذلك خاطر المجنون ، سار كان قوة خفية
تدفعه حتى اذا بلغ الجامع المنشود أحس شعورا غريبا يستولى
عليه ، وسرت فيه تلك المشاعر التى تمرى غيما يكون مقبلا
على عمل خطير .

وعجب من تلك الاحساسات التى اكتنفته ، فتمسك

نفسه ، واتجه الى المئذنة وراح يصعد في درجها كدوامة يدور .
حتى اذا خرج الى سطحها العلوى الذى يتحلقها . ولفح
وجهه الهواء البارد احس راسه يدور ، وتلفت بعيون زائفة ،
فراى شياكا فى الجدار ، فحقق قلبه واضطرب ، فما كان فى
جدران المآذن شيايبك .

واتجه اليه ، واطل منه ، فبان فى وجهه الدهش ، وكادت
المفاجأة تذهله عما حسوله ، واحس قواه تخور ، ولكنه
امسك بالنائذة ، وظل ينظر وهو مأخوذ . راى دنيا واسمة
عجيبة يتألق فيها نور هادى لطيف ، وقد امتدت الدور
الأنيقة على نهر رقرق ، يحيط بها حدائق زاهرة بهيجة تسر
العيون ، وتأخذ بالالباب ، وراى فى ناحية من المدينة سوقا
تسقت تنسيقا بديعا ، أمثالات حوانيتها بالخيرات ، وأناسا
يفدون ويروحون فى طرقاتها ، يلوح عليهم الدعة والاطمئنان ،
وتعرف فى وجوههم نضرة النعم ، فهفت نفسه الى ذلك العالم
الفاثن الجذاب .

ورفع راسه ، فراى دبلا قريبا يتدلى فى الهواء ، فخطر له
ان يستعين به على الهبوط ليجوس خلال تلك الديار ، فتسلق
النائذة ، ومد يده وامسك بالحبل ثم راح يتدلى فى حذر ،
وما هى الا دقائق حتى النى نفسه يسعى فى المدينة ويتلفت
فى دهش واعجاب .

كان الجميع منهمكين فى أعمالهم ، فراح يتفرس فيهم ،
فراعه ذلك الصفاء الرائع المتساق فى عيسوتهم ، ومسحة
الدماينة التى تكسو وجوههم ، وذلك البشر المترقق فى
مدياهم ، ولاحوا لعينيه كاطيايف شفافة نقية ، لا يشدها الى
الأرض خبائث النفوس .

وانطلق كالمأخوذ ، وقد أدهشته تلك السكينة النازلة
بالقلوب ، وحيره أمر القوم ، فلم يجد لذلك النقاء من تأويل .
ورأى اثنين يتناجيان ، فاسترق السمع ، فزادت دهشته ،
وزاد مجبه ، كان حديثا لطيفا ، كله ود وإخاء ، لا لغسو فيه
ولا قاتئيم . قلوب فطرت على الوداد ، وصدور نقية أنقى
من البلور ..

وبلغ السوق فراح يتلفت في ذهول ، كانت البضائع منمقة
تنمقا بديعا ، يأخذ بالألباب ، وكانت في أماكن مفتوحة
لا نوافذ فيها ولا أبواب ، وتسر بالجوع ، فذهب إلى مخبز ،
ومد يده في جيبه ، فلم يجد معه نقودا ، فهم أن يدور على
عقبه ، وأن يعود من حيث جاء ، ولكن رجلا أقبل على الخباز
وقال له :

— أعطني رغيفين على بركة الله .

فناول الخباز الرغيفين بوجه مسح كريم وقال له :

— خذهما على بركة الله .

فاتسعت حدقتا الواعد الغريب ، وبانت في وجهه الحيرة
والعجب ، لم يفهم ما جرى أمامه شيئا ، وخطر له أن ينطلق
وراء ذلك الرجل الذي أخذ الرغيفين ، ليرى ما يكون ، ففسار
خلفه حتى إذا بلغ سماكا ، وقف على قرب منه ، وأرهف
سمعه ، فسمعه يقول :

— أعطني سماكا على بركة الله .

فناول السمك ما طلب مشرق الوجه ، فقفر الغريب
غاه من الدهشة ، وخطر له أن يفعل ما فعله ذلك الرجل ،
فعاد إلى المخبز ، وأجف القلب ، يحس رهبة وقلقا ، وقال

فى نبرات خافتة ، كأنها آتية من أغوار بئر عميقة :

— أعطنى رغيفا على بركة الله .

فناوله الرجل الرغيف ، والابتسامة الحلوة ترف على شفاهه ،
فأخذه وسار ، وهو حائر لا يدري شيئا ، ثم اتجه الى جزار ،
وقال له :

— أعطنى رطل لحم على بركة الله .

فأعطاه ما طلب ، فذهب الى فرن قريب وقال :

— ائمو لى هذا على بركة الله .

وجلس ينتظر ، وحاول ان يفكر فيما رأى ، ولكن الجوع
استبد به ، وعطل تفكيره ، فجعل يرنو الى ما حوله وهو
فى شبه غيبوبة ، لا يدري أنائم هو أم يقظان ! وقدم اليه
الفران اللحم المشوى ، فأخذه شاكرا ، وذهب الى حديقة وارفة
الظلال ، تطل على نهر المدينة الصافى الذى يفساب فى وقار ،
وتعد يلتهم طعامه . حتى اذا سكث صراخ بطنه ، جعل يقلقت
حوله فى عجب ، لم يكن فى الحديقة البديعة غيره على الرغم
من جمال الجو وروعة المناظر الخلابة ، وأعمل فكره ، ليعرف
لذلك سببا ، ولكنه لم يهتد الى شيء .

وتمدد على الخضرة وشخص الى السماء ، وراح يفكر
فيما مر عليه ، فتكشف لعينيه بعض ما كان مفلقا عليه ، اهتدى
الى انه هبط الى مدينة سعيدة ، لا تعرف النقود ، ولا المصارف ،
ولا الصكوك ، ولا الديون ، ولا الهموم ، فعاش أهلها سعداء ،
لا يتعاملون الا ببركة الله .

وظل في رقدته ، واسترسل في تفكيره ، فأحس رغبة
في العودة الى المدينة السعيدة لينعم بها فيها من عجائب
واسرار ، فتهاهى وغادر الحديقة الفتانة ، وراح يضرب في
مسالك المدينة ، وقد نزلت بقلبه سكونة وأمن . وانساب
صوت المؤذن عذبا حنونا ، يهز المشاعر ويعبث بالقلوب ،
يؤذن بالعصر ، فقادر الناس المتاجر والأعمال ، وأقبلوا على
المسجد الكبير خاشعين ، يلوح في وجوههم الايمان العميق .
تركوا البضائع والمروض في أماكنها المفتوحة ، دون أن يفلتوا
دونها الأبواب ، فما كانت تجارتهم ؟ انها أموال الله ، تركوها في
حراسة الله .

واقفرت الطرقات من الناس ، ولم يسبق بها غيره ،
فسار الى المسجد الكبير ، وراح يصلى العصر في اطمئنان
غريب ، كان كل ما حوله يخشع القلوب ، ويتدوس ساوس
الصدور ، ولأول مرة في حياته يحس أن روحه صفت ،
وانها حلفت وهامت ، حتى اتصلت بملكوته السماء ، وامتلأت
بالنور .

وقضيت الصلاة ، فارتفعت الأصوات تسبيح بحمد
الله الرازق الوهاب ، ثم نهض الناس ، وراحوا يغادرون المسجد
الى دورهم ، او الى الحدائق الممتدة على شاطئ النهر
الصابى ، الذى استمد صفاءه من صفاء النفوس ، كانت
صلاة العصر ايذانا بانتهاء ساعات العمل ، وابتداء ساعات
الدعة والهدوء .

وخرج من المسجد ، فالفى فتيات رائعات الحسن في
ثياب بيض ، تحلين بأساور من الفل ، وقلائد من الورد .

كانت فتنتهن تبهر الأبصار ، وتجعل القلوب تخفق فى الصدور ،
فنظر اليهن فى ذهول ، فألفى كلا منهن تحمل ابريقا من بلور ،
به ماء زلال سائغ للشاربين ، فأحس رغبة فى الشرب ، فاتجه
إلى فتاة كأنها من الحسور الممين ، يشمع من عينيها بريق
ناتن ، اخترق صدره ، ونزل بسويداء قلبه ، فرنا إليها فى
اعجاب ، فغضت من بصرها فى حياء ، فمد يده وتناول الابريق ،
فاحمرت وجنتاها ، وهزها السرور ، وشرب منه وأعادته إليها
شاكرا ، ودار على عقبه ليصرف ، فالترب منه رجل ، وهمس
فى رقة :

— لعلك غريب ؟

— نعم .

— انها أصبحت زوجك ؟

فالتسعت حدقتاه ، وقال فى دهش :

— زوجى ؟ !

— أجل زوجك ، انهن فتيات حان اوان زواجهن ، يحملن
ابريق السعادة على باب الله ، فى انتظار الزوج السعيد ،
فمن يشرب من يد احدهن كان ذلك اختيارا لها وقبولا منه ،
لتصبح زوجته .

فقال فى صوت خافت :

— وما مهرها ؟

— حسن معاشرتها ، خذها على بركة الله .

فلفته سعادة عارمة ، وسرت فى صدره نشوة ، ومد
يده ووضعها فى يدها ، وسار وهو مسرور ، لا يدري أعلى
الأرض يمشى أم فى السماء يطير . انطلقا الى شاطئ النهر .

وراحا ينعمان بمشاهدة الغروب ، وفى سديهما نشوة ، وفى
قلبيهما حب .

وجاء الليل ، وأرخى ستائره السود ، فتحرك حبه ،
وطغى وجدده ، فلف ذراعه حولها ، وضمها اليه ، وراح
يلثمها فى جنون . وتصرم الوقت وهو لا بدري ما يفعل . ولا الى
أين يتوجه ، فالتفت اليها وقال :
— الى أين نذهب انبيت ليلتنا ؟
— تعال .

وسارت وسار الى جوارها ، حتى بلغا دورا تحيط بهما
حدائق زهراء ، ينبعث منها ضوء شاعري خافت ، يحرك المشاعر
فى الصدور . ووقفنا أمام دار جميلة ، والتفتت اليه ، وقالت وقد
أشرق وجهها بابتسامة عذبة :
— هذه دارنا .

— دارنا ؟
— أجل ، كل هذه الدور أعدت للمتزوجين .
وتقدما حتى اذا ما اقتربا من باب الدار ، سمعا صوتا عذبا
يهمس :

— ادخلا على بركة الله .
فالتفتا ، فألفيا رجلا يبتسم لهما ابتسامة حلوة ، كادت تنير
لهما الطريق .

ودخلا الدار ، فإذا فيها ما يحتاج اليه الزوجان من متاع .
نغمدا يتناجيان ويتمانقان ، فغمرت السعادة ، وأحس أحساس
النائم الفارق فى حلم لذيذ .
وانقضت الليلة كالحلى ما تكون ليلة ، وأشرقت الشمس ،

وطلع الفهار ، وهو راقد فى سريرد نشوان ،
فدنت منه ، فجذبها اليه فى حنان ، فسدفعه فى رقبه ،
وقالت :

— هيا ، انهض .

— لماذا ؟

— لتذهب الى عملك .

— لن أخرج اليوم .

— بل لا بد ان تخرج .

— له ؟

— على من يعيش فى أرض الله ان يعمل .

— لن يضير المدينة السميدة شيئا لو لم أعمل اليوم .

— لو ان كل انسان قال ما تقول لتقوضت مدينتنا ، ولا ندك
صرح هناثنا .

— يوم واحد الى جوارك ، ثم اذهب الى العمل .

— لا . على من يعيش فى أرض الله ان يعمل من الصباح
حتى العصر ، فى تقديم خيرات الله ، الى عباد الله ، ثم يتمتع
بعد ذاك بما يشاء .

— ماذا أعمل ؟

— أى شئ يعود على الجماعة بالخسير ، ازرع الأرض
... احصد الحب ... اتسج الثياب ... اصنع ما تشاء
لتبكن الناس من ان يأكلوا من رزق ربهم ، وأن يعيشوا فى سعادة
وأمان .

وترك فرائشه وخرج ، وفيما هو فى طريقه ، راح يفكر
فما يفعله ، تذكر انه كان تاجرا ماهرا يبيع الناس أشياء
بأبسط الاثمان ، ليحضى الأرباح ، ويكسب الأموال ، ولكن

هنا لا بيع ولا شراء ، ولا أموال ، ولا أطماع . الكل يعتمدون على الله ، ويعيشون على بركة الله . وتذكر أنه كلما مر على صانع الزجاج انتهى أن ينفخ الزجاج مثله ، وأن يصنع الأواني والقوارير والأكواب ، فعزم على أن يعمل زجاجا . واستمر في سيره ، ووقعت عيناه على قطعة كبيرة من الذهب ملقاة في الطريق ، فخفق قلبه ، واتجه إليها وفي قلبه غبطة ، وتناولها هيمان ، ولكن لم يطل سعيه ، فقد تذكر أن لا قيمة للذهب في أرض الله ، فالتقى بها بعيدا دون اكتراث ، كما يلقي المارة بحجر يصادفونه في عرض الطريق .

ومرت الأيام ، فصفت نفسه ، وشقت روحه ، وانشرح صدره ، ولكن لم يبلغ ما بلغه أهل المدينة السعيدة من إيمان عميق . واعتاد أن يبعث إلى زوجته زاد يومها عقب خروجه إلى عمله ، وما كان يبعث لها إلا ما يكفيهما ، وفي يوم من الأيام بينما كان عائدا إلى داره ، رأى سمكا طيبا فاشتدته نفسه ، فطلب من السماك أن يعطيه بعضا منه على بركة الله ، فأعطاه ما طلب .

ودخل على زوجته ، ودفع السمك إليها ، فقالت له في انكار :

— ما هذا ؟

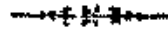
— سمك طيب .

— ولماذا أحضرته ؟

— أشتهته نفسي .

- ولكن عندنا قوت يومنا ، فما نفعل به ؟
 — نبقية الى الغد .
 فاريد وجهها ، وبان فيه الفرع ، وصاحت فى لوعة :
 — الغد ؟ ! يا لحظى العاثر ، انتهت أيام هنائى .
 — ماذا تقولين ؟
 — لقد جئت امر ادا .
 — ماذا فعلت ؟
 — فكرت فى الغد ، واخترنت طيبات الله ، ولا يكون المؤمن
 مؤمنا حتى يكون بما فى يد الله اوثق منه بما فى يده .
 — اكفر عن ذنبى .
 — هيهات .. ان معصيتك زلزلت جنبات مدينتنا السعيدة ،
 اغضبت الخالق الذى نعتمد عليه ، لقد جرح تفكيرك فى الغد
 ايماننا العميق بالله ، واتكالنا عليه .
 ودنا منها مضطربا ، وتال فى صوت كقحيح الأفعى :
 — وماذا افعل ؟
 — لا تستطيع ان تفعل شيئا ، انتهى كل شيء ، وقعت فى
 الخطيئة الكبرى ، وحق عليك العذاب المهين .
 — اى عذاب ؟
 — العذاب الذى كنت فيه ، ستخرج من ارض الله مذموما
 مدحورا .
 فغطى وجهه براحتيه ، يراح يصيح فى جزع شديد :
 — ويل لى .. ويل لى !
 وأحس رأسه يدور ، وشعر بالأرض تميد تحت قدميه ،

وبدوامة من الريح تصفر في اذنيه ، وظل في شبه غيبوبة ،
حتى اذا افاق الى نفسه رفع راحتيه عن وجهه ، فوجد
نفسه فوق منذنة الجامع المهجور ، وفي صدره حيرة وقلق ،
وتفكر ما جرى له كما يتذكر حلما افاق منه ، فهرع الى
نافذة المنذنة ، التي تطل على المدينة العجيبة ، ولكنه لم
يجد نافذة ، كانت المنذنة مسماء كجميع المآذن ، فراح يلف
حولها يبحث وينقب في جنون ، ثم نزل في الدرج يصرخ
ويصيح ، حتى اذا بلغ اول الطريق ، اندفع الى المدينة ، يبكي
وينتحب ، ويدق صدره في جزع شديد ، حزنا على الفردوس
المفقود .



وادی الأرزاق

أطرق بفكر مهموما ، فعلا وجهه عبوس ، وسرى في صدره تبرم وصيق . انه استورد بضاعة كان يطمع في أن يجنى من ورائها أرباحا وفيرة ، فلما باعها لم يكن ربحه يتفق وما كان يحلم به ، وزاد في ضيقه أن هذه ليست أول مرة تتقوض فيها آماله ، ويخيب تقديره ، أخفق مرات في أن يحقق الأرباح التي كانت تتراءى له في خياله قبل أن يقدم على صفقاته .

ولج في التفكير ، قرأى رفقاءه الذين ربحوا أموالا كثيرة وما كانوا أكثر منه خبرة ، أو ألم منه بأسرار السوق ، فربما حزنه ، وزاد ألمه ، وأحس طعم الصاب في فيه ، ودخلت عليه أمه وكانت عجوزا نالت منها السنون ، وجلست إليه ، فاعتكرت منه عبوسه ، وحزرت سبب حزنه ، فقد كانت تعلم سبب تعبومه وضيقه ، فأحسست يدا قوية تهصر قلبها ، وقالت له توأمسيه ، في صوت خافت حنون :

— روح عن نفسك يا بني ، لا طائل من استسلامك لأفكارك ، فلن تجنى إلا الهموم .

فرفع وجهه العبوس وغمغم :

— ما أمر الفشل !

فقالت أمه في إيمان :

— بعد الضيق الفرج ، واقنا والله الحمد فى سعة .
فقال فى حلق :
— لست أدري لماذا افشل انا وينجح من دونى ؟ لا .
— أرزاق .
فقال فى ثورة :
— اية أرزاق ؟
— أرزاق تهبط من السماء يا بنى .

وهم بأن ينفجر فى ثورته ، ولكنه كبح جماح نفسه ، ونظر
الى العجوز المؤمنة من بين أهدايه ، ورفعت على شفثيه ابتسامة
سخرية ، فما كان من المؤمنين بالأرزاق التى تنزل من السماء .
ولاذ بالصمت العميق .



وفكر ، وأمعن فى التفكير ، حتى اذا ما خيل اليه انه
اهتدى الى الخطأ الذى يضيع بسببه ما يرجوه من أرباح ،
اتخذ كل ما فى متدوره لعلاج ذلك الخطأ ، ثم أقدم على صفقة
جديدة ، وقد تجددت ثقته فى أنه فى هذه المرة سيحقق ما يرتجيه
من أرباح .

ومرت الأيام والأمل يداعبه ، والأرباح الوفيرة تتراعى له ،
حتى اذا تمت الصفقة ، عاد اليه عبوسه ، فقد انتهت على
غير ما يشتهى ، ولم يحقق ما كان يرجوه من مكاسب ، وانزوى
فى غرفته مطأطئ الرأس مهموما ، وأقبلت عليه أمه العجوز
تخفف منه وتواسيه ، وراحت تقول :
— لا يجنى الانسان الا ما كتب له .

- فقال فى مرارة :
- أكتب على أن أجد الأشقى ؟
- أى شقاء ؟ أننا فى سعادة ، ادع الله أن يديمها علينا .
- لعلك تحسب هذه الخيبة المتلاحقة سعادة !
- أننا بخير يا بنى ، أرح نفسك التى تضنيها بالباطل .
- ومن أين الراحة إذا كان الاخفاق حليفنا !
- من أنفسنا . لو أنك رضيت نفسك على الرضا لعشت هائنا سعيدا .
- كيف ارضى وأنا أرى من هم دونى ينالون ما يبتغون ، وأنا أشقى باجتهادى ؟
- قسمة .
- أصبح رفقاءى يملكون الدور والقصور ، والشركات والمنشآت ، وأنا لم أحقق ظلما واحدا من أحلامى .
- أرزاق .
- فقال فى ثورة ساخرة :
- لعلك تقصدين أرزاقا تهبط من السماء !
- فقلت فى ايمان :
- أجل يا بنى ، أرزاق تهبط من السماء ، لو رضيت بما قسم لك كنت أغنى الناس .
- بل أشقى الناس ، هذه القناعة التى تبذرونها فى نفوسنا هى بلوانا ، انها تورثنا الخنوع والاستسلام .
- انها البلسم الشافى ، الدرع الواقية التى تقابل بها القدر الجبار .
- درع صقمت من لوهام ، لو أعرت نصيحتك أذنا

مصغية لفبت في فراشي ، ورحبت أرقب رزقي المنهمر من
السماء .

— لا يا بنى ، ما قلت لك أقعد عن طلب الرزق .

— فماذا تقولين اذن ؟

— اعمل ، ورض نفسك على ان تجسد السعادة في
عملك ، وعلى الرضا بما تجرى به الأقدار ، فليست بقادر على
تغيير ما كان .

فقال في استكبار :

— انى قادر على ما أريد .

— كل ما تقدر عليه هو الاسترسال في التفكير ، والاسراف
في الحزن .

— انى قادر على ان اصنع نفسى بيدى .

— هيهات ، اجمع هواهيك ، واحشد قواك ، وافعل كل ما في
طاقتك لتغيير ما كان .

— سأغير ما سيكون ، سأخلق مستقبلى بعزى ، واصفمه
كيف أشاء .

— والله لن تجنى الا ما وعدت به فى السماء .

فقال في تعرم :

— ولن أومن بهذا حتى اعرج الى السماء لأرى منبع
الأرزاق .



ودخل فراشه ، وأسلم جنبه للرقاد ، وأسبل عينيه ،
ولكن النوم جافاه ، كان ذهنه يفكر فيما جرى بينه وبين أمه
من حوار ، وفكر في الأرزاق التي تهبط من السماء ، فارتسمت
على شفثيه ابتسامة هازئة ، وإن حسد في قرارة نفسه إله
على إيمانها الذي يدها بالراحة والأطمئنان ، وظل فريسة لأفكاره ،
حتى غلبه النوم فنام .

راح في سبات ، فرأى نفسه فيما يرى النائم يسير في
السماء ، يلقفت ذات اليمين وذات الشمال ، وإذا بملك كريم
لاح لعينيه ، وقال في رفة :

— عم تبحث هنا ؟

— عن رزقي .

فأشار الملك بأصبعه بعيدا وقال :

— هناك في وادي الأرزاق .

فانطلق يهرول ، ثم أخذ يمدو حتى أشرف على واد هائل ،
لا يبلغ البصر مداه ، انفجرت فيه الأرزاق كينابيع الماء ،
وكاست الينابيع تتفاوت في قوة اندفاعها ، فبينما بعضها يقبض
في غزارة ، إذا بعضها الآخر تمسيل منه الأرزاق كـرذاذ
الماء .

ووقف ينظر خائف القلب ، مكروب الأنفاس ، وقد لاح
في وجهه الدهش ، وبقى في مكانه لا يربم قاعا مضطربا ، حتى
إذا هذا روعه ، انحدر كالعاصفة إلى وادي الأرزاق ، وتد
أرهمت منه الحواس ، وجعل يجوس خلال الينابيع المتفجرة ،
منقب عن رزقه في جنون .

جعل يعدو هنا وهناك ، يبحث وينقب ، وقد علاه البهر -
واخيرا وقف امام ينبوع اوحى اليه انه رزقه ، فنظر اليه في تبرم
وضيق ، كان الرزق يتدفق منه في اعتدال ، فما كان كالارزاق
المنبثقة في قوة وغزارة ، وما كان كالارزاق الواهنة التي تسيل
قطرات .

ومد بصره الى الينابيع القوارة ، وظل يديم النظر اليها .
ولم يعر الينابيع الضحلة ادنى القفات ، فأحس كأن عقدة عقدت
في صدره فضيقته ، وأبصرة الجسد تنتشر في جوفه ففضليه ،
فراح صدره يرتفع وينخفض في حلق شديد .

وتمنى ان يجد في هذا السوادي الهائل العجيب . قدسوما
ومسمارا يوسع بهما الثقب الذي يتدفق منه رزقه ، وما
ان خطرت هذه الأمنية على باله ، حتى ألقى القدوم والمسمار
بين يديه ، فأثلج صدره ، وهرع الى رزقه نشوان ، فما
هي الا دقائق حتى يتفجر رزقه تفجيرا يفوق كل ما في وادي
الأرزاق .

ووضع المسمار في ثقب ينبوع ، ثم طفق يدق عليه
بالقدوم في قوة وعزم ، وتقصده منه العرق ، ونال منه
التعب ، ولكنه لم يلتفت الى تعبته ، فما هي الا دقائق
أخرى حتى ينتهي كل شيء . واستجمع قواه ، ودق على
المسمار دقة هائلة ، فكسر المسمار في الثقب ، فجعل يحاول
جاهدا ان يخرج المسمار المكسور وهو مرعوب ، وأخفقت
محاولاته ، فأحس خوفا شديدا ، وقلقا يافه ، ورهبة تستولى
عليه ، فقد حبس رزقه بيده ، ولم يعد له ينبوع في وادي الأرزاق ،
وخطر له أن الرزق لا ينحبس الا اذا مات صاحبه ، فأقنع نفسه
أنه قد مات .

وهب من نومه مذعورا ، وقد سرت في يده رعدة :
ودب الرعب في جسمه دبب النمل ، وجلس في فراشه يرتجف
من الخوف ، يحس جفائفا في حلقه ، وراح يمرر يده على
وجهه ، ثم يتحسس جسمه ، ليقنع نفسه أنه ما زال حيا يرزق ،
وأخذت رهبته تنقشع رويدا رويدا ، حتى اذا ما اطمأن قليلا ،
راح يفكر في حلمه ، فعادت اليه رهبته ، وفكر فيما يفعله
لو حبس رؤقه عنه ، غربا خوفه ، وزاد اضطرابه ، ونهض من
فراشه بجوس خلال داره ليهدئ قلبه النائر المرعوب .

راح يتلفت حوله فرأى بديع الرياش الذي ائث به داره ،
ولاح مقعدا وثيرا ، فاتجه اليه ، وغاص فيه ، وراح خونه ينقشع ،
حتى اذا هدأت نفسه ، وزال خوفه ، فكر في أمره ، فشعر لأول
مرة بأنه سعيد ، وأنه في نعيم .



الفهرست

٥	خطيئة ودم
٢٥	ابن الذبيح
١٩	موسى
٩٣	داود
١٣٤	سليمان وبلقيس
١٤٦	امستتر
١٧٨	سسالومى
١٩٥	نداء من السماء
٢٠٧	هاروت وماروت
٢٢٢	رابعة العدوية
٢٢٣	ارض الله
٢٤٦	وادي الارزاق

مؤلفات

عبد الحميد جوده السحار

—•••••

الطبعة الاولى

أحمس بطل الاستقلال	قصة	مايو سنة ١٩٤٣
أبو ذر الغفاري		يوليو سنة ١٩٤٣
بلال مؤذن الرسول		مايو سنة ١٩٤٤
في الوظيفة	مجموعة أقاصيص	ديسمبر سنة ١٩٤٤
سعد بن أبي وقاص		يوليو سنة ١٩٤٥
همزات الشياطين	مجموعة أقاصيص	فبراير سنة ١٩٤٦
إبناء أبي بكر الصديق		أكتوبر سنة ١٩٤٦
الرسول (حياة محمد) ترجمه مع محمد محمد فرج بنابر سنة ١٩٤٧		
في قافلة الزمان	رواية	سنة ١٩٤٧
أهل بيت النبي		مايو سنة ١٩٤٨
أميرة قرطبة	قصة	سنة ١٩٤٩
النقاب الأزرق	قصة	مايو سنة ١٩٥٠
المسيح عيسى بن مريم		سنة ١٩٥١
محمد رسول الله (مترجمة)		١٩٥١
قصص من الكتب المقدسة		سنة ١٩٥١
الشارع الجديد	رواية	سنة ١٩٥٢
صدي السنين	مجموعة أقاصيص	سنة ١٩٥٣
حياة الحسين		سنة ١٩٥٤
قلعة الأبطال	قصة	سنة ١٩٥٤
المستنقع	قصة	ديسمبر سنة ١٩٥٧
أم العروسة		يناير سنة ١٩٥٨
وكان مساء	قصة	مارس سنة ١٩٥٨
الدرع وسيقان	قصة	يوليو سنة ١٩٥٨
الحصاد	رواية	سبتمبر سنة ١٩٥٩

الطبعة الاولى

سنة ١٩٦١	القصة من خلال تجاربي الذاتية
أكتوبر سنة ١٩٦٢	جسر الشيطان
ديسمبر سنة ١٩٦٣	ليلة عاصفة
يناير سنة ١٩٦٤	النصف الآخر
يونيو سنة ١٩٦٥	السهول البيضاء
يوليو سنة ١٩٦٧	وعد الله وإسرائيل
يناير سنة ١٩٧٢	عمر بن عبد العزيز
أكتوبر سنة ١٩٧٢	الحفيد
فبراير سنة ١٩٧٤	هذه حياتي
أبريل سنة ١٩٧٤	تكريات سينمائية
١٩٨٣	شك الموسيقى
١٩٨٣	خفقات قلب
١٩٨٣	صور وتكريات
١٩٨٣	الأسراء والمعراج
أبريل سنة ١٩٨٤	عدو البشر (سيناريو وحوار)
أبريل سنة ١٩٨٤	القميس (سيناريو وحوار)
أبريل سنة ١٩٨٤	الله أكبر (سيناريو وحوار)
١٩٨٥	أبطال الجزيرة الخضراء
١٩٨٥	ثلاثة رجال في حياتها
١٩٨٥	مسجد الرسول
أبريل سنة ١٩٨٦	ذات اليمام (سيناريو وحوار)
أبريل سنة ١٩٨٦	آدم إلى الأبد (سيناريو وحوار)

التصنيفات

(الأقسام)

في ١٨ جزءا	قصص الأنبياء
في ٢٢ جزءا	قصص السيرة
في ٢٠ جزءا	قصص الخلفاء الراشدين
في ٢٤ جزءا	العرب في أوروبا

محمد رسول الله والذين معه

في عشرين جزءا

أكتوبر ١٩٦٥	١ - إبراهيم أبو الأنبياء
مارس ١٩٦٦	٢ - هاجر المصرية أم العرب
سبتمبر ١٩٦٦	٣ - بنو إسماعيل
فبراير ١٩٦٧	٤ - العدنانيون
مايو ١٩٦٧	٥ - قريش
يولية ١٩٦٧	٦ - مولد الرسول
أكتوبر ١٩٦٧	٧ - اليتيم
يناير ١٩٦٨	٨ - خديجة بنت خويلد
مارس ١٩٦٨	٩ - دعوة إبراهيم
مارس ١٩٦٨	١٠ - عام الحزن
سبتمبر ١٩٦٨	١١ - الهجرة
نوفمبر ١٩٦٨	١٢ - غزوة بدر
يناير ١٩٦٩	١٣ - غزوة أحد
مايو ١٩٦٩	١٤ - غزوة الخندق
يونية ١٩٦٩	١٥ - صلح الحديبية
نوفمبر ١٩٦٩	١٦ - فتح مكة
نوفمبر ١٩٧٠	١٧ - غزوة تبوك
مايو ١٩٧٠	١٨ - عام الوفود
نوفمبر ١٩٧٠	١٩ - حجة الوداع
ديسمبر ١٩٧٠	٢٠ - وفاة الرسول

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - النجيلة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السبعار وشركاه

To: www.al-mostafa.com